



مطبوعات كتابي

الترجمة الكاملة للأدب العالمي

الشار للوطن

أروع ما كتب الروائي العالمي المعاصر
جون شتاينبيك

١٠ قروش



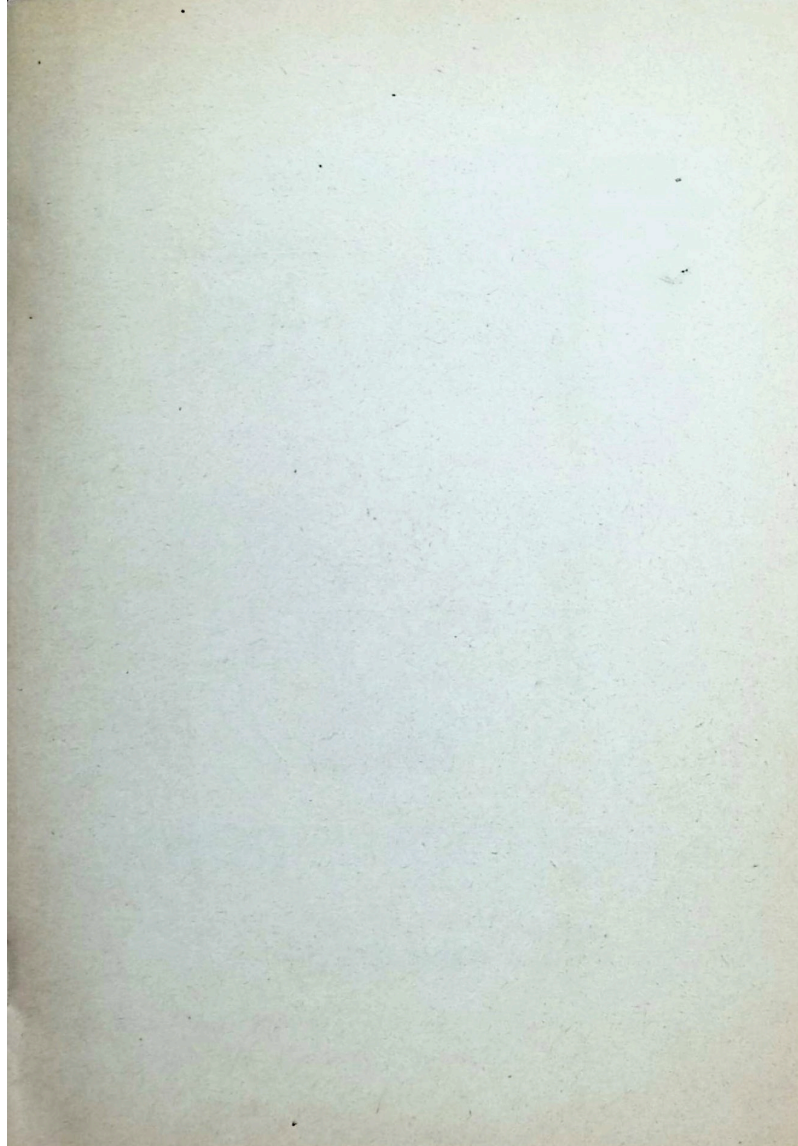
جون ستاينبيك

الشار للوطن



THE MOON IS DOWN

BY : JOHN STEINBECK



مطبوعات
كتاب

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حلمى مراد

شعار « كتابى »



مصباح الفكر عند الافريق

الكتاب العشرون

الشار للوطن

تأليف : جون شتاينبيك

ترجمة { محمد بدر الدين خليل
وديع سعيد

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

مجموعة « كتابى »

(الكتاب الشهري لتلخيص الكتب العالمية)

صدر منها حتى الآن سبعة وخمسون كتابا ، يضاف إليها كتاب جديداول كل شهر .. وفيما يلي قائمة الكتب التى صدرت :

خطايا الحب وكتب أخرى . قلب عذراء . الهاربة من الجنة . حواء الجديدة . أحذب نوتردام . جريمة حب . عشيقة نابليون . مذكرات كيوييد . صنم تحطم . حديقة الله . عندما تحقد المرأة . لعبة الحب والموت . توبة خاطئة . أيها الربيع ترفق . الشيطان على الأرض . ليدى هاملتون . الارملة المرحة . حياة جورج صاند . حياة سارة برنار . رباعيات عمر الخيام . حياة بتهوفن . حياة موسولبنى . كوخ العم توم . الزوج والعشيقة . البوهيمية . فتاة لها ماض . ترويض النمرة . فن الحب . الجريمة والعقاب . المنافق . أميرة مصر . الامطار . افروديت . أقنعة الحب السبعة . سالومى . الاعداد من ٣٦ - ٥٧

• وتطلب من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد الاول سابقا) بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص اجرة البريد المسجل ، ما عدا العدد العاشر وثمنه عشرون قرشا ، والاعداد ١٣ ، ١٦ وابتداء من العدد ٢٥ ، ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا . اما الاعداد الستة الاولى فقد نفذت ، والادارة مستعدة لشراؤها .

• الاشتراكات : عن سنة (١٢ عددا) : فى مصر والسودان : ١٢٠ قرشا وفى العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز : ما يوازى ١٤٠ قرشا مصريا وفى الكويت وعدن وحضر موت واليمن وقبرص وانجلترا وامريكا وفرنسا واستراليا وتركيا : قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا « عن سنة » خالصة اجر البريد المسجل ، وفى المانيا ١٦٠ قرشا بخلاف اجر البريد الجوى .

• ملحوظة : ترسل قيمة الاعداد والاشتراكات : فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة او تحويلات عليه . واذا تمتر فترسل كوبونات دولية فئة ٤٠ مليما على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر ، علما بان الكوبونات الدولية فئة الاربعين مليما تصرف بسبعة وثلاثين مليما .

مطبوعات كتابى

صدر منها : قصة مدينتين ، ذات الثوب الابيض ، الخالدون ، الخاطئة ، حياة امرأة (جزءان) ، الخطيئة الاولى ، اوديب ، مدام بوفارى (جزءان)، عاشقات فى الخريف ، قلوب ضالة ، ديكامرون ، الظما للحب ، جين اير (ثلاثة اجزاء) ، فانتات الرجال، رجال ونساء . وثمن كل من الاول والرابع والسابع ٢٠ قرشا ، والثانى والثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ١٢ قرشا ، والثانى عشر ١٤ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش (خالص اجرة البريد المسجل)

نوفمبر ١٩٥٦

لماذا اخترت لك هذه القصة

عزيزى القارئ :

عندما خطر ببالي ان اقدم لك فى هذا العدد من « مطبوعات كتابى » قصة « الثأر للوطن » ، التى تعتبر من أروع ما كتب عن حركات المقاومة للاحتلال الاجنبى ، وجدت فكرى يتجه من تلقاء نفسه الى الربط بين الظروف التى كتب فيها « جون شتاينبيك » هذه القصة ، والظروف التى تجتازها مصر منذ بدأ العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى الفادر عليها ، والذعر الذى نقلته البرقيات الى كافة ارجاء العالم .. ذعر الأنذار المعتدين ، من المقاومة النبيلة التى يصلهم شواظها أبطال بور سعيد !

لقد كتب « شتاينبيك » هذه القصة عندما سولت الاطماع لالمانيا النازية ان تعتدى على حرية الدول ، فأشعلت نار الحرب العالمية الثانية ، وأرسلت قواتها لاحتلال بلاد النرويج الآمنة، غير حافلة بحيادها الذى كانت تضمنه القوانين الدولية . ولن تتمالك نفسك من ان تتمثل بورسعيد الباسلة ، وانت تقرا قصة البلدة النرويجية الصغيرة التى اتخذها «شتاينبيك» مسرحا لوقائع قصته .. البلدة الآمنة التى احتلها جنود المظلات النازيون غدرا ، فاذا بشعبها المسالم يقض مضاجعهم ، واذا الشعب الأعزل يصبح مصدر فزع وذعر للفزاة المسلحين ، واذا القوم المغلوبون يصبحون هم المنتصرين !

ومن سخريات القدر ان النرويج فى كفاحها النبيل ، كانت تتطلع الى انجلترا كملجأ للحرية .. بل ان ابطال حركة المقاومة النرويجية كانوا يتطلعون الى انجلترا كما لو كانت الزعيمة التى تحمل لواء الدفاع عن الحرية .. ولكن القدر شاء قبل ان تنقضى أربع عشرة سنة على كفاح النرويج ، ان يكشف حقيقة

انجلترا للعالم بأسره ، فاذا ((بطلة الحرية)) تنصو ثوب البطولة
الزائف عنها ، وتتنكر لكل المبادئ التي أجادت أجهزة دعايتها
تزييفها ، لتبدو على حقيقتها . . ذئبا كاسرا ، لا يصبأ بشرف ،
ولا مبادئ ، ولا مثل عليا ، ولا قوانين دولية ، في سبيل اشباع
نهمه الاستعماري البشع !

هذه المفارقة العجيبة ، أو هذا التناقض العجيب بين انجلترا
في ثوب البطولة الذي تنكرت فيه أيام الحرب العالمية الثانية
لتثير العالم ضد النازية - حماية لأمنها وسلامتها ، وليس
دفاعا عن الحرية ! - وبين انجلترا كما تجلت على حقيقتها
للعالم في العدوان الوحشي الآثم على بورسعيد . . هذا التناقض
الصارخ كان من أهم العوامل التي شجعتني على ان اقدم لك
هذه القصة

وثمة عامل ثان ، هو انني لم أتمالك نفسي من الاستسلام
للزهو والفخر ، وأنا أقرأ قصص مقاومة الشعب النرويجي
للغزاة المعتدين - وقد صورها شتاينبيك نقلا عن أكثر المصادر
دراية بها ، كما ستقرأ في المقدمة التي تلي هذه السطور -
فأجد صور هذه المقاومة ، على نبلها وبسالتها ، تبدو باهتة
إزاء البطولة الفذة التي تجلت في حركة المقاومة الشعبية في
بورسعيد الخالدة !

بقى عامل ثالث . . ذلك هو الاعجاب بشتاينبيك نفسه .
فان شتاينبيك في كفاحه من أجل النجاح ، ضرب أمثلة خليك
بكل كاتب أن يتدبرها ، ليرى كيف تتغلب الأمانة للرسالة على كل
بريق للمادة ! . . ولكنني لن أزيد ، لاترك لك مجال الحكم
بنفسك !
وتقبل تحياتي . .

حلمي مراد

١٩٥٧

جون شتاينبيك

الكاتب الذى كان يخشى الشهرة خشيته للموت !



لعل الاقدار كانت تريد لجون شتاينبيك أن يصبح قصصيا ، منذ مولده فى ٢٧ فبراير سنة ١٩٠٢ . فقد ولد فى بلدة (سالىناس) بولاية كاليفورنيا فى أمريكا ، وهى بلدة صغيرة فى مقاطعة (مونتيرى) ، احدى المقاطعات الامريكية التى لاتزال تعيش فى فطرة البداوة الى حد بعيد .. فلاتزال نفوس أهلها صافية ، وقلوبهم عامرة بالطيبة ، وعقولهم ساذجة الى

الحد الذى يجعلهم يعشقون رواية القصص أو الانصات اليها ، حول النار التى يسمرون حولها فى التلال ..

ولقد ولد « جون » لاب المانى الاصل ، وأم ايرلندية الاصل .. فاذا علمت أنه كتب هذه الرواية « غروب القمر » - أو « الثائر للوطن » كما آثرنا أن نسميها - كمساهمة فى مقاومة العدوان النازى على شعوب أوروبا ، وشعب النرويج بالذات ، خلال الحرب العالمية الثانية ، فلا تعجب لتفكره للاصل الذى انحدر منه ، إذ أن الحرية التى رضعها مع لبنان أمه الايرلندية - سليله الشعب الثائر المجاهد - كانت أقوى من النفرة العنصرية !

ولقد كان والد شتاينبيك هو المسئول عن الشئون المالية

في مقاطعة (مونتيرى) ، اذ كان مدير الادارة المالية في حكومة المقاطعة .. اما أمه ، فكانت معلمة ، ولعلها صاحبة الفضل في شغفه بالقراءة والكتابة . على انه لم يكتب بوحى من دروس أمه فحسب ، وانما استمد الهامه من دراسته للناس ونفوسهم ، ومن اختلاطه الحقيقى العملى ، بالحياة ذاتها وتفاعله معها . فقد اعتاد أثناء دراسته الثانوية ان يقوم ببعض الاعمال المؤقتة في المزارع .. فعمل مساعدا لنتجار ، وصيا لنقشاش ، وعاملا في المصانع .. كما دفعه حبه للعلوم الى أن يعمل مساعدا في بعض المعامل الكيميائية ..

الخفير الذى انصرف الى تأليف الروايات !

♦ ثم التحق بجامعة « ستانفورد » في سنة ١٩١٩ ، ولكنه شغف أثناء دراسته الجامعية بالتجوال فى المراعى ومزارع تربية المواشى ، فكان لا يحضر سوى الدروس التى تروق له ، ثم يهيم فى تلك المزارع ، ويقضى أوقاتا بين أهلها . ومالبت أن ترك الجامعة فى سنة ١٩٢٥ ، دون أن يظفر بدرجة جامعية . ومنذ ذلك الحين ، أصبح همه فى الحياة التجوال والكتابة .. فرحل الى الولايات الشرقية من أمريكا على احدى سفن البضائع ، حتى اذا بلغ (نيويورك) ، أثر الاستقرار فيها .. وكان لا بد له من مورد يتعيش منه فى (نيويورك) .. المدينة الكبيرة التى لم يكن له فيها معارف أو أصدقاء .. ومن ثم عمل كمخبر صحفى فترة ، ولكنه مالبت أن فقد عمله ، فلم يتورع أو يخجل من ممارسة بعض الاعمال التى تبدو تافهة فى نظر أى شخص حظى بقسط من الدراسات الجامعية ، حتى لقد مارس حرفة البناء ، واشتغل مع البنائين فترة من الزمن ! .. ومالبت بعد عامين أن عاد الى ولاية كاليفورنيا ، فاستؤجر لحراسة بيت فى منطقة (هاى سيراى) الجبلية !

والظاهر أن مركزه كخفير أتاح له فسيحة من الوقت ، وجوا

من الاستقرار . ففي أثناء عمله في الحراسة ، وضع أولى رواياته ، وهي التي نشرت في سنة ١٩٢٩ ، تحت اسم «الكاس الذهبية» . . . ومن عجب ، أن أحد الناشرين عرض عليه بعد سبع سنوات - وبعد أن ذاع اسمه - أن يعيد طبع هذه الرواية ، فكتب الى « ميكنتوش » و « أوتيس » اللذين صارا وكيلى أعماله ، يتصلان بالناشرين ويشرفان على مصالحه . . كتب اليهما يقول : « لست أشعر بفخر جم بهذه الرواية ، وقد كنت أؤثر لو أنها لم تنشر قط . . أما وقد نشرت بالفعل ، فلا سبيل الى حجبها . . ولا بأس اذن من إعادة نشرها ! »

ثمن القهوة . . من الجريمة !

• وهذه ناحية في شخصية « شتاينبيك » قد لاتجدها لدى كثيرين من الادباء والمؤلفين . . وأعنى عزوفه عن نشر ما لا يرتاح اليه من انتاجه ، مهما تكن حاجته الى المال ، ومهما يكن أغراء وكيليه والناشرين الذين يطمئنون الى اقبال القراء على أى كتاب يحمل اسمه !

ومن نوادره في هذا الصدد ، انه وضع حوالى سنة ١٩٣٢ رواية بعنوان « اللحن الاخرس » . وبينما كان وكيلاه يعرضانها على الناشرين ، خطر له أن يعيد قراءتها ، فما ان فعل ، حتى كتب اليهما يرجوهما أن يرداها اليه ، قائلا : « اننى أشعر بخجل اذ كتبت شيئا كهذا ! » . وكان قد حاول في تلك الاثناء أن يتمشى مع التيار الذى جرف دنيا القصة في أمريكا منذ العقد الثالث من القرن الحالى ، فكتب قصة من قصص الجريمة ، ودفع بها الى وكيليه . . فلما سحب « اللحن الاخرس » ، كتب اليهما في الخطاب ذاته يقول : « ان الجريمة قد تصالح لو أنها اختصرت قليلا . . ولو أنها درت مبلغا ضئيلا من المال ، لكان هذا أفضل من حزمة الورق التي تضممتها . . انه قد يساعد على دفع ثمن القهوة التي احتسبها ! » . . وفي

الخطاب ذاته أيضا ، كتب يقول : « لقد اقترب موعد دفع أجره المنزل ، وسنضطر الى مغادرته عاجلا .. الى حيث لا أدرى ! »

عميل غير مريح لناشريه !

♦ على انه اذا اقتنع بوجاهة احدى الافكار التى يبنى عليها رواياته ، لا ينشئ عنها حتى يجعل منها رواية ناجحة . وقد حدث - فى نفس الفترة التى ذكرناها - ان كتب رواية بعنوان « الاله المجهول » ، ودفع بها الى وكيله ، وكانا فى بداية علاقتهما ، ولم يوفقا بعد فى بيع شئ من انتاجه للنashرين .. وعرض الوكيلان الرواية على عدد من دور النشر فأجمعت على رفضها ، ومن ثم كتبنا الى « شتاينبيك » يعربان عن أسفهما ، فرد عليهما قائلا : « ان ما ذكرتماه عن فشل الكتاب فى الظفر بناشر ليس بالنبا البقيض أو المؤلم .. بل اننى ساعيد كتابة الرواية من جديد ، وسنرى ما اذا كان اعتقادي فى روعة الوقائع والحوادث يتمشى مع آراء النقاد والنashرين .. على اننى لن أبذل أى جهد للاتصال بالصحفيين للترويج للقصة .. فشكرا لنصيححتكما .. ولكننى عميل غير مريح ! »

ولكن الحظ متقلب مع الزمن .. فبعد ست سنوات ، وكان اسم شتاينبيك قد بدأ يشتهر ، كانت هذه الرواية - بعد ان أدخل عليها بعض التنقيحات والتعديلات التى ساعدت على نشرها تحت اسم « نحو اله غير معروف » - سببا فى علو صيته ، ورواج مؤلفاته ، وزيادة دخله .. كذلك !

تجديد .. فى فن الرواية

♦ على أن بداية المجلد شتاينبيك - ككاتب روائى - اقترنت برواية « مراعى السماء » ، التى حاول الكاتب أن يصور فيها الحياة فى واد كانت ترفرف عليه السعادة بأجلى آياتها ، وكان الوثام يسود الأسرات العشرين التى كانت تعمره .. ذلك هو

وأدى « باستوراس ديل سيلو » ، أى مراعى السماء .. نفس الاسم الذى أطلقه على الرواية ! وترجع قيمة هذه الرواية بالنسبة لمجد « شتاينبيك » الى أنه اتبع فيها طريقة مبتكرة لم يألّفها الروائيون .. اذ جعل الكتاب عبارة عن مجموعة من القصص المستقلة ، تصلح كل منها لان تكون قصة قصيرة كاملة ، ولكنها ترتبط بعضها ببعض بوحدة الشخصيات ، والوسط الذى تدور فيه الحوادث .. وتتوالى فى ترتيب يجعل بعضها استئنافا لبعضى - رغم استقلالها - حتى تصل أحداث الرواية الى أوجها ! .. ولعل الحافز الذى شجع شتاينبيك على الاتجاه الى هذه الطريقة ، هو انه لم يعتقد أن يرسم مقدا فكرة معينة لقصته وهيكلا يتشبه بهما فى علاج الحوادث ، وفى التقيد بأسلوب معين أو بطريقة معينة للعرض ، كما تفعل الغالبية العظمى من الروائيين والقصصيين !

وما أن ظهرت « مراعى السماء » - فى سنة ١٩٣٢ - حتى قوبلت بحرارة وتشجيع من النقاد ، وان لم يكن رواجها عظيما .. والى هذا التشجيع وتلك الحرارة ، يرجع الفضل فى وصول شتاينبيك الى أولى درجات المجد ..

ينزعج من الشهرة .. الى درجة الموت !

♦ ولكنه لم يرق السلم درجة فدرجة ، اذ استطاع بروايته التالية « كورتيللا فلات » - أو هضبة تورتيلا - أن يطفر طفرة واسعة . وقد اتبع فيها عين الطريقة المبتكرة السابقة .. . طريقة تكوين الرواية من عدة قصص قصيرة . ولعل هذه الطريقة هى السر فى أنك لا تجد لهذا الكاتب كثيرا من القصص القصيرة القائمة بذاتها ، فهو يشبع ميله الى القصص القصيرة بكتابتها على شكل حلقات فى رواية طويلة ! .. ومما زاد « تورتيلا فلات » روعة ، انه مزج فيها الفكاهة بالمأساة ، والجذال بالهزل ، فى براعة نمت عن نبوغ !

والواقع أن النبوغ في شتاينبيك غريزة فطرية كان يكشف عنها شيئاً فشيئاً في اجتهاده ودأبه وممارسته للكتابة .. ومن ثم فقد كان إنتاجه - لا تقريظ النقاد - هو الذي أظهر عبقريته ودعم مكانته في عالم الادب الأمريكي الحديث !

وعندما نشرت « تورتيللا فلات » - في سنة ١٩٣٥ - استقبلت استقبالا مشجعاً ، حتى ليتمكن اعتبارها أول رواج فعلي لشتاينبيك ، أو بالاحرى أول إنتاج أذاع اسمه لدى جمهور القراء عامة في بلاده ، بعد أن كانت شهرته مقتصرة في باكورتها على طبقة أو طبقات معينة من القراء والعجيب في الامر ، أن الكاتب نفسه لم يرض عن هذه الرواية رضاه عما سبقها ، حتى لقد كان يعتبرها « إنتاجا من الدرجة الثانية » ، وكتب لوكيليه يبدى عجبه من النجاح الذي لقيته ، قائلاً : « من العجيب أن هذا الكتاب الذي اعتبره من الدرجة الثانية ، والذي كتبته لمجرد الترويح عن النفس ، قد أثار كل هذه الضجة ! »

والاعجب من هذا ، أن النجاح أخافه وقلقته . فقد مضى يقول في ذلك الخطاب : « اننى منزعج - الى درجة الكون - من الشهرة .. فقد أفسدت على كل انسان عرفته ! » .. وعندما طلبت اليه دار النشر - التي تولت نشر الكتاب - صورة له تستغلها في الاعلان ، كتب يقول : « قط لم تلتقط لى صورة .. ولست أزعم أن هذا راجع الى طبع متأصل في نفسى ، أو الى تعمد .. كل ما هنالك اننى لا أومن بالزج بين الشخصية والعمل .. ولعل هذا المزج عادة مألوفة ، ولكننى أحب أن أخرج على هذه العادة .. فانى أخال ان الجمهور يضيق بالتفصيلات التى تنشر عن الكاتب ! »

يكره الاعلان عن شخصيته !

♦ وسواء اكان شتاينبيك مخطئاً أو كان مصيباً فيما خاله

من ضيق القراء بما ينشر عن الكاتب ، إلا أن هذا الظن اتخذ عنده شكل اليقين ، فظل أمينا له ، لا يخرج عنه . وعندما نال أول تكريم أدبي شبه رسمي ، حين اختار « نادى كتاب الشهر » - وهو من أكبر الهيئات الأدبية في أمريكا - كتابه « فئران ورجال » ، الذى نشر فى سنة ١٩٣٧ ، سئل أن يوافى النادى بشيء عن تاريخ حياته وشخصيته ، فكتب لوكيليه يقول: « لعلكما تعرفان مدى بغضى للمادة التى تنشر عن شخصى ، فأرجو أن تنقلا عنى هذا .. والواقع اننى أؤثر من المسئول عن النشر أن يقصر حديثه على الكتاب ذاته .. وجليه الامر ، اننى لا يمكن أن أفصح فى تأليف الكتب اذا فرض على أن أعند بنفسى وأفكر فيها »

وكانت الفكرة التى تشبث بها هى أنه لن يرضى عن نفسه، إلا اذا استطاع أن يطمئن الى أن الجمهور عرفه من إنتاجه ، وليس مما يكتب أو يذاع عنه ! .. والواقع أنه كان مصيبا فى رأيه هذا .. فان الكاتب الذى يصبح شخصية عامة ، يفقد الكثير من مسلكه العادى ، اذ أن الخوض فى سيرته وحياته لا يلبث أن يوحى اليه بأنه على غير شاکلة الناس الذين يقرأون له . ومن ثم يتباعد شيئا فشيئا عن قرائه ، اعتدادا منه بأنه من « المؤلفين ! » .. وهذا ما حرص شتاينبيك - ولا يزال الى اليوم يحرص - على تفاديه !

ومع ذلك ، فان رواج مؤلفاته لم يلبث أن غير من معالم حياته بالفعل ، اذ تحسنت أحواله المادية ، حتى أنه كتب لوكيليه - اللذين صارا أقرب الاصدقاء اليه - يقول : « لشدة ما صارت الحياة جميلة منذ أن ابتعت مدفأة تشعل بالكبروسين لغرفة مكتبى .. لقد تغيرت نظرتى الى كل شيء تغيرا شاملا .. الا ما أبدع اليدى الدافئتين ! »

آراء أبطاله ليست من تعاليم « الصالونات » !

♦ على أن رواية « تورتيللا فلات » لم تكن أول رواج لانتاج

شتاينبيك في ميدان النشر فحسب ، بل انها كانت كذلك اول اتصال بينه وبين (هوليود) وميدان السينما ، اذ ابتيع منه حق اخراجها على الستار الفضى .. وكانت هذه من اكبر المفاجآت في حياته .. فقد كان ، كما وصف نفسه ، لا يذهب الى دار السينما سوى مرة في العام عادة !

ولقد اثارت رواية « المعركة المشكوك فيها » - التي نشرت في سنة ١٩٣٧ - كثيرا من المتاعب قبل أن تخرج الى واجهات المكتبات .. فقد كانت - كما وصفها شتاينبيك أثناء انهماكه في تأليفها - « كتابا قاسيا ، لانه خال من أية فكرة أو موعظة أخلاقية .. وقد يبدو الحوار بين العمال - في سياقه - مما يחדش الأذان في النوادي النسائية الراقية ، ولكن هذا ليس بالمهم ، اذ إن النساء لن يصدقن أن مثل هذا الحوار يجري في الواقع .. ولكنني خير بهذا الاسلوب ، وقد مللت أن أجرد العمال من أسلوبهم الطبيعي لأجعلهم يتكلمون بأسلوب براق !! » وعندما أبدى الناشر شكه من أن يكون في الكتاب ما يؤخذ على انه آراء شيوعية ، أجاب شتاينبيك قائلا ان ماتضمنه الكتاب انما اخذ عن العمال الايطاليين والاييرلنديين ، الذين اكتسبوا آراءهم من واقع الحياة والعمل .. فاذا كانت هذه شيوعية ، فهي شيوعية من صميم الحياة . وليست تعاليم تلقن في الصالونات .. « أنهم لا يؤمنون بالمذهب والآراء والاساليب المثالية ، لانهم انما يفعلون ما تدفعهم اليه الظروف التي يعيشون فيها ! » .. وكان أشد ما ألمه بعد نشرها ، ان النقاد تناولوها من الناحية السياسية لا الادبية .. فقد ساءه ان لا يظن النقاد الى القيمة الروائية للكتاب ، وهي التي يعتز بها الكاتب !

النرويج .. مسرح « الثار للوطن » !

♦ وأتاح نجاح كتاب « فشران ورجال » لشتاينبيك فرصة

القيام بأول رحلة له الى أوروبا ، وكان مشوقا لزيارة الدول
السكندنافية ، اذ كانت لغاتها هي اللغات الاجنبية التى ترجم
اليها انتاجه لأول مرة .

على أن قلبه لم يعلق بأى من الدول السكندنافية بقدر
ما علق بـ (النرويج) ، التى جعلها - بعد خمس سنوات -
مسرحا لأولى القصص التى تقدمها لك فى هذا العدد من «مطبوعات
كتابى» . . . وهى قصة « غروب القمر » أو « الثأر للوطن » . .
وبينما كان كتابه الجديد «الفرس الاحمر» - تحت الطبع،
ترك شتاينبيك وزوجته الدول السكندنافية الى روسيا ،
ولكنهما لم يقضيا فيها المدة التى كانا يرجوانها ، بل بادرا بالعودة
قبل الموعد المحدد الى أمريكا ، حيث شرع الكاتب فى اعداد مادة
كتاب جديد ، نشر فيما بعد باسم « كروم السخط » . . فلقد
عاش شتاينبيك فى المزارع والمراعى أمدا طويلا منذ صباه ،
فعرّف الفاقة التى كان يعيش فيها أبناء الوديان القابعة بين
الجبال فى كاليفورنيا ، ولمس مرارة عيشهم ، وكتب الى وكيله
يقول : « لابد لى من أن أسعى الى الوديان الداخلية ، فهناك
خمس آلاف أسرة تتضور جوعا ، الى درجة الموت . . وان
الحكومة لتحاول أن تعينهم بالطعمة والخدمات الطبية، ولكن الهيئات
الاستغلالية الفاشية والمصارف وكبار ملاك الاراضى الزراعية ،
يحاربون هذه الجهود . . أفتعلمان ما الذى يخيفهم ؟ . . أنهم
يرون انه اذا أتيح لهؤلاء الناس أن يعيشوا فى معسكرات تتوفر
فيها كافة الضرورات الصحية ، فانهم لن يلبثوا أن ينتظموا
. . وهذا هو الشيء الذى يقض مضاجع كبار ملاك الاراضى
والشركات الزراعية ! . . لسوف أبذل قصارى جهدى من
أجلهم . . الا ما أقل الكتب التى تواجه مثل هذه المآسى
المفجعة ! »

وقام بجولته ، وبذل قصارى جهده كما وعد ، حتى اذا
عاد الى داره ، عكف على تأليف أقوى كتاب وضعه حتى ذلك

الحين .. وهو « كروم السخط » ، الذى نشر فى سنة ١٩٣٩!

ينقد نفسه وانتاجه بمرارة !

• ولكن ، ما أعجب الاحداث التى مرت منذ بدا شتاينبيك
اول سطر فى هذا الكتاب ، وبين اليوم الذى نشر فيه الكتاب ! ..
فبعد أن فرغ من الكتاب ، كتب لوكيليه يقول: «انه كتاب ردىء ،
ولا بد من أن أتخلص منه .. فلا سبيل الى طبعه .. وترجع
رداءته الى انه ليس امينا ! .. حقيقة ان الوقائع التى تضمنها
حدثت كلها ، ولكن .. ولكنى لم أورد من الحقيقة عنها بقدر
ما أعرف !»

ويمضى شتاينبيك فى الخطاب قائلا : «لقد وضعت حتى الآن
ثلاثة كتب غير امينة ، لانها أقل من قصارى جهدى . واحدهذه
الكتب لم ترياه ، لأننى أحرقتة فى اليوم الذى فرغت فيه منه .
اما الثانى فهو قصة الجريمة .. وهذا هو الثالث . ولقد
انسقت الى كتابة الاول والثانى لدفع ضيق مالى شديد ، اما
هذا الكتاب فانسقت فى كتابته الى التزام شعرت به ! .. اننى
أعرف أنكما قد تبعلان من هذا الكتاب ٣٠٠٠٠ نسخة ،
وأعرف أن عددا كبيرا جدا من الناس قد يخالون - بعد
قراءة هذا الكتاب - أنهم أحبوه .. ولقد ناقشت نفسى كثيرا ،
ولكنى لا أحب الكتاب ! .. ولسوف يتأتى عن طبعه ضرر
يفوق الضرر الذى ينجم عن اعدامه .. فأنا لم أشعر قط أثناء
كتابته بتلك المتعة الدافئة العجيبة التى تعترى المرء عندما
يكون العمل سائرا على مايرام . لقد كان حافزى على العمل
منذ البداية هو حمل الناس على أن يفهم كل منهم الآخر ، فاذا
بى أنزلق فى وضع هذا الكتاب الى حمل الناس على أن يكره
كل منهم الآخر ، عن طريق التفاهم الناقص ! .. ومالم أستطع
أن اكتب أفضل من هذا ، فانى اكون قد انحدرت بدرجة كبيرة!

.. ان الكتاب يجب أن يكون حياة تعيش أمدها بأكمله ..
وهذا الكتاب لا يفعل ذلك ! »

ثم يضرب شتاينبيك المثل للكتاب الذين يقفون حائرين بين المادة والأمانة الأدبية ، فيقول : « اننى أكافح الفقر سنوات طويلة عديدة ، ولكننى أكون ملعونا اذا هبطت عن مستواى عند أول هبة من رياح النجاح ! .. ان الهبوط عن المستوى شبيه بالاقدام على السرقة للمرة الاولى ، فهو عسير محفوف بالمشقة ، ولكنه فى المرة الثانية أقل عناء ، ثم لا يلبث أن يغدو سهلا بعد قليل .. ان هذا الكتاب تجربة فى الخداع .. والخداع فى كتاب هو الفش والخيانة ! »

ويختتم خطابه قائلا : « اعتقد أن هذا الكتاب سيكون درسا نافعا لى .. فاننا الآن فى خطر من أن أصدق الدعاية التى تدور حولى .. اننى ادرى الناس بكتابى ! »

« كروم السخط » .. حدث بارز فى تاريخ النشر !

• وبدلا من ان يصدر « كروم السخط » ، نشر بدلا منه - فى سنة ١٩٣٨ - أول كتاب تضمن قصصا قصيرة ، غير مترابطة ، فى مجموعة واحدة !

وعكف شتاينبيك على « كروم السخط » يعيد كتابتها من جديد ، فأرهق نفسه كل الارهاق ، وكان خليقا بالنجاح الذى ظفر به .. فقد أثارت الرواية ضجة هائلة فى الولايات المتحدة ، تحسنت على أثرها أحوال سكان الخيام فى وديان كاليفورنيا ! .. بل لقد اعتبر هذا الكتاب من الاحداث البارزة فى تاريخ النشر فى أمريكا . ولكنه خلف شتاينبيك منهوك القوى ، معلولا ، فلم يسترد قواه ونشاطه الا بعد شهور عديدة .. ولم يستطع أن يجرى على مألوف عادته ، فبدأ كتابا جديدا قبل ظهور آخر كتاب فرغ منه !

وثمة انقلاب آخر أحدثه هذا الكتاب فى حياة شتاينبيك

.. فلقد دفعه الى تيار الشهرة على الرغم منه ، حتى لقد كتب يقول عن متاعبه : « لقد أصبحت في شغل بشهرتى ككاتب ، حتى اننى لم أعد أجد وقتا للكتابة .. وكأنا طرح عشرة آلاف شخص كل أعمالهم وشئونهم ، لكى ينصرفوا الى حملى على الكلام . وقد اخذ خوفي من الوجود بين جماعات من الناس يزداد الى درجة اننى أصبحت ارتبك اذا تحدثت الى أكثر من واحد ! »

وفى تلك الاثناء ، كانت الحرب تخيم على سماء شتاينبيك ، كما كانت تخيم على سماء العالم . وهكذا تضافرت العوامل على تعطيله عن الانتاج . وحاول فى البداية أن يقاوم ، ففر الى المكسيك .. اذ نمت اليه أن عالما يدعى « أدوارد ريكتيس » أعد رحلة الى هناك للدراسة وجمع المعلومات ، فشاطرته الرحلة وعاد من المكسيك بمادة لكتابين .. أولهما « القرية المنسية » ، الذى نشر فى سنة ١٩٤١ ، والذى اتخذته السينما المكسيكية مادة لاحد أفلامها الناجحة .. أما الكتاب الآخر ، فكان لونا جديدا من الانتاج .. كان مادة علمية - عن دراسات بيولوجية تدور حول الكائنات الحية فى المكسيك - صاغها فى قالب قصصى مستساغ .. وقد نشر هذا الكتاب فى سنة ١٩٤٢

العدوان النازى .. أساس فكرة « الثار للوطن » !

♦ واتسع نطاق الحرب ، حتى انزلت الولايات المتحدة الى المعركة . وعرض شتاينبيك جهوده ومواهبه على الحكومة ، فاستعانت به كثير من المصالح والهيئات الحكومية ، ولكنه صدم حين تبين الهوة الواسعة التى تفصل بين الحماس القومى والروتين الحكومى

على انه انتهز هذه الفرصة لكى يسجل كراهيته للعدوان ، وانتصاره للحرية .. ولكى يواسى الترويج - التى أحبها منذ زارها فى سنة ١٩٣٧ - فقد قدر له أثناء عمله فى ادارة

«الخدمات الاستراتيجية» ان يصاحب أحد الضباط المتخصصين في فنون مساعدة حركات المقاومة في الدول الأوروبية التي احتلها النازيون .. ومن الاحاديث الجدية التي دارت بينه وبين هذا الضابط ، استطاع أن يكون فكرة قصة « غروب القمر » ، حتى اذا تبلورت في ذهنه ، وتجمعت لديه البيانات الكافية عن حركات المقاومة وأساليبها ، عكف على كتابة هذه الرواية ، فاذا بها تلقى نجاحا مدويا ، عندما نشرها في سنة ١٩٤٢ . وقد شجعه هذا النجاح على أن يقتبس من الرواية نفسها مسرحية من جزئين - بنفس الاسم - ظهرت في العام ذاته !

ومع أن خمسة عشر عاما انقضت على نشر هذه الرواية لأول مرة ، الا انها تعتبر من أروع وأدق ماكتب عن المقاومة السرية للعدوان والاحتلال الاجنبى ، حتى اليوم . وقد ترجمت أثناء الحرب العالمية الثانية الى عدة لغات ، مما اكسبها شهرة عالمية

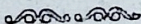
الساحر اللطيف .. الخشن !

♦ كذلك خرج شتاينبيك من أحاديثه مع أحد قادة السلاح الجوى الأمريكى بفكرة كتاب يدور حول تدريبات وأعمال السلاح الجوى ، اسماء « قنابل الى الخارج » . على ان من المغالطة أن يدرج هذا الكتاب في قائمة الانتاج الادبى لشتاينبيك ، لانه في الواقع لم يكن مادة أدبية بالمعنى الصحيح ، ولا كان نابعا عن تفاعلات صادقة ، وانما .. كان نوعا من « المقالوة » عهد به السلاح الجوى الأمريكى لشتاينبيك ، فسخر قلمه وفكره في انجاز هذه « المقالوة » .. أو بمعنى أصح ، كانت مهمة كلف بها رسميا ، فاداما اظهارا لشعوره القومى !

على انه خاض تجربة أخرى أثناء الحرب ، اذ اتيح له في سنة ١٩٤٣ أن يرحل الى أوروبا مع بعثة أمريكية ، فقام بمهمة

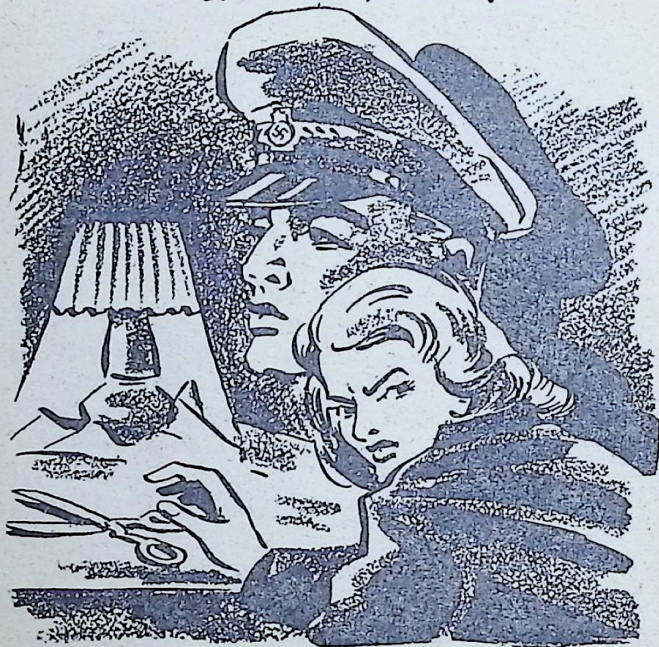
المراسل الحربى لصحيفة « الهيرالد تريبيون » فى انجلترا وحوض البحر الابيض المتوسط وفى غمرة هذا النشاط الحربى ، راوده الحنين الى الادب ، والى تأليف الروايات .. واتجه حينه بوجه خاص الى جو واسلوب وطريقة « تورتيللا فلات » التى ألفها قبل ذلك بعشر سنوات ، فأخذ ينساق لهذا الحنين فى صمت ، ثم فاجأ وكيليه فى سنة ١٩٤٤ برواية « كنارى رو » .. كما كتب « اللؤلؤة العالم » للسينما المكسيكية التى أخرجتها فى فيلم فى سنة ١٩٤٥ . وقد حاول شتاينبيك ان يحذو فى « اللؤلؤة » حذو الادب الشعبى التقليدى . على أنه خرج من هذه التجربة بعزم وثيق على أن لا يكتب للسينما بعد ذلك !

ولقد تتابعت مؤلفات شتاينبيك بعد ذلك ، ولكنها ليست بالوفرة التى تدفق بها انتاجه فى المرحلة التى فصلناها هنا .. كما انها ليست من الاهمية بمثل تلك المؤلفات الاولى ، لا لانها اقل منهاقيمة - من الناحية الادبية - وانما لان هذه المؤلفات الاولى كانت الدعامات الاساسية فى مجد شتاينبيك .. كانت الانتاج الذى جعل النقاد يصفونه بأنه : « نابغة ساحر فى رواية القصص .. يجمع بين العنف والعاطفة ، وبين اللطف والخشونة ، وبين الازعاج والجمال » .. فهو يجيد وصف كل لون ، ويمزج الالوان بعضها ببعض فى قصصه ببراعة عبقرية !



الشار للوطن

للكتاب العالمي "هون جتاينيك"



THE MOON IS DOWN

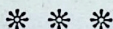
الفصل الاول

♦ ما أن حلت الساعة الحادية عشرة الا الربع حتى كان كل شيء قد انتهى . فقد تم احتلال البلدة ، ومنى المدافعون عنها بالهزيمة ، ووضعت الحرب أوزارها ، اذ كان الفازى قد أعد العدة لهذه الحملة بنفس العناية التى كان يبذلها للحمولات الاكبر منها !

وكان موزع البريد والشرطى قد خرجا لصيد السمك - فى صباح ذلك اليوم من أيام الأحاد - فى قارب المستر «كوريل» ، اذ كان صاحب المتجر المشهور قد أعارهما هذا القارب الاثيق ذا الشراع ليقضيا فيه يومهما . وما أن توغسل موزع البريد والشرطى بضعة أميال فى عرض البحر ، حتى شاهدا ناقلة الجنود الصغيرة ، الداكنة اللون ، تمر بهما فى هدوء . . ولم يكن ثمة شك فى أن هذا الامر يعنيهما بوصفهما من موظفى المدينة ، فبادرا الى العودة . وما أن وصلا الى الميناء ، حتى كانت الكتيبة قد استولت على البلدة فى الواقع ، الى حد أن موزع البريد والشرطى لم يستطعا دخول مكنتيهما فى مبنى البلدية ، ولما أصرا على أن هذا من حقهما ، اخذا كاسيرى حرب ، وألقى بهما فى سجن البلدة !

وكان الجنود المحليون الاثنا عشر غائبين جميعا فى صباح ذلك اليوم من أيام الأحاد ، اذ أن المستر كوريل ، صاحب المتجر المشهور ، كان قد قدم الفداء ، و «الاهداف» ، والخراطيش ، والجوائز ، هدية منه فى مسابقة للرماية اقيمت فى مرج جميل كان يمتلكه بين الجبال ، على مسيرة ستة أميال من

البلدة . وكان الجنود الحليون من الشبان ذوى العزائم المتراخية! ومع أنهم أسرعوا فى خطى حثيثة ، عائدين الى البلدة ، بمجرد أن سمعوا أزيز الطائرات ، وشاهدوا على البعد هبوط جنود المظلات ، الا أنهم لم يصلوا حتى كان الغزاة قد نصبوا المدافع الرشاشة على جانبى الطريق . ولم يكن لهؤلاء الجنود سوى خبرة ضئيلة بالحروب ، كما أنهم لم يكونوا قد عرفوا الهزيمة من قبل ، فبدأوا باطلاق النار من بنادقهم ، وأجابتهم المدافع الرشاشة ، فان هى الا لحظة ، حتى سقط ستة منهم صرعى ، وأصيب ثلاثة منهم بجراح خطيرة جعلتهم اقرب الى الموت منهم الى الحياة ، ثم فر الثلاثة الباقون الى الجبال يحملون بنادقهم !



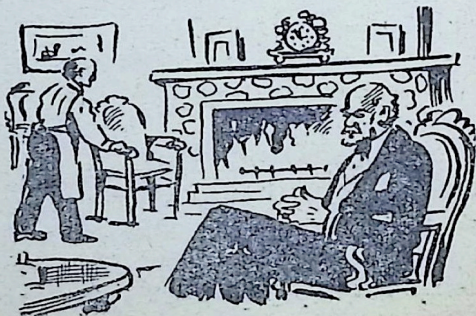
وما أن حانت الساعة العاشرة والنصف حتى كانت فرقة الغزاة الموسيقية تعزف الحانا عاطفية شجية فى ميدان البلدة ، بينما وقف أهلها مشدوهين ، وقد نطقت عيونهم بالدهشة ، وأخذوا ينصتون الى الموسيقى ويحدقون النظر فى الرجال ذوى الخوذات الرمادية الذين كانوا يحملون البنادق السريعة الطلقات .

وفى الساعة العاشرة والدقيقة الثامنة والثلاثين ، كان الجنود الستة الذين سقطوا صرعى قد دفنوا ، وطويت المظلات، واتخذت الكتيبة الفازية مقامها فى مستودع المستر كوريل بجانب رصيف الميناء ، وقد زودت رفوفه بالاسرة والبطاطين التى تكفى أفرادها .

وفى الساعة الحادية عشرة الا ربعا تلقى «أوردن» - العمدة المسن - طلبا رسميا ليسمح للكولونيل «الانسر» ، من فرقة الغزاة ، بمقابلته . وقد حددت المقابلة فى الساعة الحادية عشرة تماما بقصر العمدة ذى الخمس غرف . وكانت غرفة الاستقبال فى القصر آية فى البهاء ، اذ اجتمعت

فيها كل أسباب الراحة ، وتناثرت مقاعدها المذهبة - المكسوة بأغطية (بياضات) بالية - في غير ترتيب ، كأنها خدم يزيدون كثيرا عن حاجة العمل في بيت ولا يجدون ما يفعلون ! .. وكانت ثمة مدفأة مقوسة من الرخام اشتملت على موقد استعرت فيه نار هادئة لا تصعد لها ، وصورة رسمت باليد تمثل حامل الفحم ، وعلى رف المدفأة استقرت ساعة من الخزف المجعد ، تحيط بها آيتان ضخمتان للزهور ، امتلأت جوانبهما برسوم للملائكة على وشك السقوط ! .. وكان ورق الجدران أحمر داكنا ، وقد اشتمل على أشكال ذهبية ، بينما بدا الاطار الخشبي - الممتد في أسفل الجدران - نظيفا بهيجا . أما الصور التي عُلقت الى الحائط ، فكان معظمها يمثل مناظر رائعة لبطولة الكلاب الكبيرة في انقاذ اطفال حاق بهم الخطر . فما كان الماء ولا النار ولا الزلازل لتنال من أى طفل طالما كان الى جواره كلب كبير يحرسه !

وجلس الى جوار المدفأة الطبيب الشيخ «الدكتور وينتر» . وكان رجلا ملتحميا ، يتسم بسلامة الطوية ودمائة الخلق . .. وكان مؤرخ البلدة ، الى جانب كونه طبيبا ، فكان يرقب ماحوله وقد أخذت منه الدهشة مأخذا ، وراح يدير ابهاميه - الواحد



حول الآخر - وهو يضع يديه في حجره . وكان الدكتور وينتر
بادى البساطة ، وان كان لا يدرك عمق غوره سوى من أوتى
ما أوتيه الطبيب الشيخ من بعد الفور . . وما لبث أن
رفع بصره الى « جوزيف » - خادم العمدة - ليرى ما اذا كان
قد لاحظ ما كان يفعله من عجائب باللعب بابهاميه . ثم سأله :
« هل بلغت الساعة الحادية عشرة ؟ »

فأجاب جوزيف وهو شارد الذهن : « أجل ياسيدي ،
فقد حددت الرسالة الساعة الحادية عشرة »
- وهل قرأت الرسالة ؟

- كلا ياسيدي ، فقد قرأها لى صاحب السعادة !
وأخذ جوزيف يطوف بالمقاعد المذهبة ليرى ما اذا كانت قد
انتقلت من موضعها منذ رتبها لآخر مرة . وكان من عادة
جوزيف أن يزجر الاثاث متهما بعض القطع بالتمرد ، أو بالفوضى،
أو بالقذارة اذا ما كانت متربة ! وفي العالم الذى يقود فيه العمدة
« أوردن » الرجال ، كان جوزيف هو قائد الاثاث والاوانى
الفضية والصحاف . وكان رجلا متقدما فى السن ، نحيفا
هزيلا ، تعلو محياه سيماء الجد ، وكانت حياته معقدة فى ظاهرها،
بسيطة فى جوهرها . . على أنه لم يكن يدرك بساطته هذه سوى
رجل بعيد الفور

ولم ير « جوزيف » ما يدعو الى العجب فيما كان يفعله
الدكتور وينتر من ادارة ابهاميه ، بل الواقع أن هذه الحركة
كانت مدعاة لاثارة اعصابه . . فقد أوحى اليه هذه الحركة بأن
حدثا بالغ الشأن كان وشيك الحدوث ، وينبئ ببوادره وجود
الجنود الاجانب فى البلدة ، وقتل بعض رجال الجيش المحلى

ووقوع بعض آخر منهم في الاسر .. وكان لابد لجوزيف - ان عاجلا أو آجلا - من أن يستقر على رأى فيما يتصل بهذا كله! .. وما كان ليحب أن يوصف بالخفة والطيش ، ولا أن يلهو ويعبث بابهاميه ، ولا أن ينصت لهذه الثرثرة التى كان يخالها منبعثة من الاثاث !

♦ وأزاح الدكتور وينتر مقعده بضع بوصات عن مكانه المعين ، فانتظر جوزيف - على أحر من الجمر - اللحظة التى يستطيع أن يعيد فيها المقعد الى مكانه الاول! .. وما لبث الطبيب أن عاد يقول : « الساعة الحادية عشرة ، وسيأتون هم أيضا الى هنا . أنهم لقوم أوتوا عقولا فى دقة الساعة يا جوزيف! » وأجاب جوزيف دون أن ينصت : « أجل ياسيدى » فكرر الطبيب قوله : « قوم لهم عقول فى دقة الساعة ! » وقال جوزيف : « أجل يا سيدى » فأردف الطبيب وكأنه ماض فى حديثه : « أجل ، فى دقة الساعة والآلات ! »

- أجل ياسيدى

- أنهم يسرعون الخطى الى مصيرهم ، وكان هذا المصير متعجلا لا ينتظرهم . أنهم ليدفعون عجلة الدنيا الدوارة بأكتافهم ، وكأنهم هم الذين يسيرونها !

وأجاب جوزيف قائلا : « أصبت تماما ياسيدى » . اذ كان قد بدأ يسأم قوله : « أجل ياسيدى » !

ولم يكن جوزيف ليوافق على هذا اللون من الحديث ، لانه لم يكن يساعده على أن يستقر على رأى فى شىء مما كان يدور حوله! .. ولو أن جوزيف قال للطاهية فى أى وقت من بقية ذلك اليوم : « أنهم لقوم أوتوا عقولا فى دقة الساعة يا آنى » ، لما استطاع أن يجعل لحديثه أى معنى ، لان آنى كانت خليفة

بأن تسأله : « من ؟ » ، ثم : « لماذا ؟ » ، حتى اذا عجز عن اجابتها قالت : « هذا هراء يا جوزيف » ! . . فلقد حاول جوزيف في مناسبات سابقة أن ينقل ملاحظات الدكتور وينتر الى الطابق الاسفل ، فكانت النتيجة هي هي في كل مرة ، اذ كانت آني تكتشف دائما أن هذه الملاحظات هراء وهزرا !
ورفع الدكتور وينتر بصره عن ابهاميه وأخذ يراقب جوزيف وهو يرتب المقاعد ، ثم سأله قائلاً : « ماذا يفصل العمدة ؟ »

— انه يرتدى ملابس لا يستقبال الكولونيل ياسيدي !
— دون أن تساعد ؟ . . انه لا يحسن ارتداء ملابس اذا ترك وشأنه !
— بل ان سيدتي تساعد ، فهي تريد أن يظهر في احسن مظهر له !

ثم أردف يقول وقد كست حمرة الخجل خديه قليلا :
« انها تقص الشعر الذي يظهر في داخل أذنيه ياسيدي . . فانه يشعر بدغدغة من لمس المقص ، ولذلك لا يسمح لى سيدى بقصه ! »

فأجاب الدكتور وينتر بقوله : « طبعا . . ان لمسات المقص تدغدغ ! »

واسترسل جوزيف يقول : « ان سيدتي تصر على أن تقص هي هذا الشعر »

وضحك الدكتور وينتر على حين بفتة ، ثم انتصب واقفا ومد يديه الى النار ، ودار جوزيف بمهارة حتى صار خلفه ، ثم أعاد المقعد الى المكان الذي يجب أن يوضع فيه !

وقال الدكتور وينتر : **« أننا لفاية في العجب ، فان بلادنا على وشك السقوط ، وقد تم غزو بلدتنا ، والعمدة يتأهب لاستقبال الغازي ، ومع ذلك فان السيدة تمسك العمدة من عنقه وهو يناضلها ، لتقصي له شعر أذنيه ! »**

وأجاب جوزيف قائلا : « لقد بدا شعره يتخذ سمة الشعر الكث الأشعث ، وكذلك حاجباه .. وان صاحب السعادة ليزعجه قص شعر حاجبيه أكثر مما يزعجه قص شعر أذنيه ، وهو يقول ان العملية تؤلمه ، ويخالجنى الشك فيما اذا كانت سيدتى مستطبعة أن تقص له شعر حاجبيه ! »
فقال الدكتور وينتر : « انها ستحاول »
— انها تريده ان يظهر في أحسن مظهر ياسيدى !



♦ ولما اذ ذاك وجها — تعلوه خوذة — يحدق خلال الكوة الزجاجية التى تتوسط الباب الداخلى للدار ، ثم دوت على ذلك الباب طرقات ، فكانما انساب من الغرفة شئ من الضوء الدافئ ، لتحل محله عتمة خفيفة ! وتطلع الدكتور وينتر الى الساعة ثم قال : « لقد جاءوا مبكرين .. افتح لهم الباب يا جوزيف ! »

وذهب جوزيف الى الباب وفتحه ، فدخل جندى يرتدى معطفا طويلا ، وقد وضع خوذة على رأسه ، وحمل بنسقية سريعة الطلقات على كتفه . والقى الجندى نظرة عاجلة فيما حوله ، ثم انتحى جانبا ليفسح الطريق لضابط كان يقف خلفه على عتبة الباب . وكان الضابط فى الزى العسكرى المألوف ، وليس ثمة ما ينم عن مرتبته سوى شارة على كتفيه

♦ ودلف الضابط الى الداخل ، فنظر الى الدكتور وينتر .. وكان أشبه بصورة لسيد انجليزى ، بالغ الرسام فى رسمها .. اذ كان له وجه أحمر مترهل ، وأنف طويل ولكنه مقبول ، وقد بدا عليه أنه كان يضيق ذرعا بزيه ، شأنه فى هذا شأن معظم الضباط البريطانيين ! ومكث لحظة لدى الباب يحملق فى الدكتور وينتر ، ثم سأله قائلا : « هل انت العمدة أوردن ياسيدى ؟ »

فابتسم الدكتور وينتر وأجاب قائلا : « كلا ، كلا ، لست أنا العمدة ! »

— أفانت اذن من رجال الحكومة ؟
— كلا . . بل اننى طبيب البلدة وصديق العمدة !
فسأله الضابط : « وأين العمدة أوردن ؟ »
— انه يرتدى ملابسه لاستقبالك . هل أنت الكولونيل ؟
— كلا . . بل أنا الكابتن بنتيك !
وانحنى ، فرد الدكتور وينتر تحيته بانحناء خفيفة .
واسترسل الكابتن بنتيك يقول ، وكأنه أحس بخجل مما كان لديه من حديث :

« ان أوامرنا العسكرية ياسيدى تقتضينا البحث عن الأسلحة فى أية غرفة يوشك أن يدخلها القائد العام . ونحن لا نقصد بهذا اساءة أو امتهاننا ياسيدى ! » ثم نادى من فوق كتفه : « أيها الجاويش ! »

فهرع الجاويش الى جوزيف ، ومر بيديه فوق جيوبه ، وقال : « لا شىء ياسيدى »

ثم قال الكابتن بنتيك للدكتور وينتر : « أرجوان لاتؤاخذنا ! » .
واتجه الجاويش الى الدكتور وينتر فتحسس جيوبه ، وتوقفت يده عند جيب السترة الداخلى ، وسرعان ما دس يده فى الجيب وأخرج علبة صغيرة مسطحة من الجلد الاسود حملها الى الكابتن بنتيك . وفتح الكابتن بنتيك العلبة فوجد هاتشتمل على بعض الادوات الطبية البسيطة : مشرطين ، وبعض الابراجراحية ، وبعض المشابك ، وابرة لحقنة تحت الجلد ، فأغلق العلبة ثانية وردها الى الدكتور وينتر ، فقال هذا :

— اننى طبيب أعمل فى الريف كما ترى ، وقد اضطررت مرة الى استئصال الزائدة الدودية باستعمال سكين من سكاكين المطبخ ، ولذلك فاننى أحرص منذ ذلك الحين على أن أحمل فى جيبى هذه الادوات !

وسأله الكابتن بنتيك : « أعتقد أنه توجد هنا بعض الأسلحة ! » . وفتح دفترًا مجلدًا صغيرًا كان يحمله في جيبه ، فأجاب الدكتور وينتر قائلاً : « انك لدقيق »
- أجل ، فان عميلنا المحلى قضى فى العمل هنا بعض الوقت !

وقال الدكتور وينتر : « ما اظنك ترضى بأن تخبرنى عنم يكون هذا الرجل ؟ »
وأجابه بنتيك قائلاً : « بل انه انجز مهمته تماما الآن ، ولا أحسب أن فى افشاء اسمه أى ضرر . . ان اسمه كوريل ! »
فقال الدكتور وينتر وقد استبدت به الدهشة : « جورج كوريل ؟ . . ان هذا ليبدا مستحيلا ! فله أيد بيضاء على هذه البلدة ، بل انه منح بعض الجوائز لمسابقة فى الرماية فى الجبل هذا الصباح » . وما أن تفوه بهذه العبارة حتى بدا فى عينيه وميض ثم عن أنه أدرك حقيقة ما حدث ، فانطبقت شفقاته رويدا ولكنه ما لبث أن قال : « لقد فهمت ! . . لهذا ، اذن ، أقام مسابقة الرماية . أجل فهمت ! ولكن . . جورج كوريل بالذات ! . . ان هذا ليبدا مستحيلا ! »

وفتح الباب الذى يقع الى اليسار ، فدخل العمدة «أوردن» . وكان يدس خنصره فى أذنه اليمنى ، وقد ارتدى سترته الرسمية ، وتدلّت من عنقه قلادة العمودية . . وكان ذا شارب أبيض كبير انتفش فوق شفته العليا ، و « شاربين » أقل منه كثافة فوق عينيه ! وكان قد سوى شعره الأبيض بالفرشاة منذ برهة وجيزة ، ولكن بعض شعيرات رأسه بدأت فى التحرر محاولة أن تنتصب ! . . وكان قد قضى فى منصبه زمنا طويلا حتى أصبح فى نظر أهل البلدة رمزا للعمودية . . بل ان الكبار منهم كانوا لايتماكون أن يتمثلوا شكل « العمدة أوردن » اذا ما وقعت أبصارهم على كلمة « عمدة » ! فقد كان هو ومنصبه شيئا واحدا . . اذ اكسبه المنصب الاحترام بينما أضفى هو

على المنصب الدفاء والحرارة !
وظهرت ربة القصر خلف العمدة . وكانت ضئيلة الجسم ،
مجمدة الوجه ، تبدو الشراسة على محياها . . فقد كانت تعتبر
انها خلقت هذا الرجل ، بل انها هى التى ابتكرته ابتكارا ! ولو
أن الامر كان بيدها ، لتولت صنعه من جديد ! . . ومع انها لم
تستطع طوال حياتها معه أن تفهم نفسيته سوى مرة أو اثنتين ،
الا انها استوعبت ما عرفته تمام الاستيعاب ، وأصبحت تدركه
عن خبرة دقيقة ، فلم يكن يفوتها عزوفه عن الطعام أحيانا ،
وما كان يحس به من ألم أو ينتابه من دناءة ! على أنها لم تدرك
قط أية فكرة أو أمنية أو رغبة راودته يوما . . ومع ذلك فقد
لقيت منه ما أسعدها فى كثير من المناسبات !

* * *

♦ وبرزت السيدة من وراء العمدة ، فأخذت بيده ،
وانتزعت خنصره من اذنه الموجوعة - كما لو كان طفلا تنتزع
امه ابهامه من فمه ! - ثم قالت له : « لا أصدق لحظة أن أذك
تؤلمك كل هذا الألم الذى تزعمه ! » . والتفت الى الدكتور وينتز
وقالت : « لم يدعنى أصلح من شأن حاجبيه ! »
فأجاب العمدة أوردن قائلا : « ان هذه العملية تؤلمنى ! »
- حسنا جدا ، اذا كنت تريد ان تبدو فى هذا المظهر ،
فلا حيلة لى ! »

وأخذت تسوى ربطة عنقه التى لم تكن فى حاجة الى تسوية ،
ثم قالت : « يسعدنى انك هنا يادكتور ، كم سيأتى فيما
تظن ؟ » . ثم تطلعت فرأت الكابتن بنتيك ، فقالت : « آه . .
الكولونيل ؟ »

فأجابها الكابتن بنتيك قائلا : « كلا ياسيدتى ، انما أعد
العدة لاستقبال الكولونيل . . أيها الجاويش ! »
وهرع الجاويش الذى كان يقلب الوسادات ويفتش خلف
الصور ، فاقترب من العمدة أوردن ومر بيديه على جيوبه ،



بينما قال الكابتن بنتيك : « عفوا ياسيدي ، ولكنها الأوامر ! »
 .. ثم رمق الدفتر الذي كان في يده مرة أخرى وقال : « أعتقد
 أن لديك هنا بعض الأسلحة النارية يا صاحب السعادة ..
 قطعتان فيما أظن ؟ »

فأجابه العمدة أوردن قائلا : « أسلحة نارية ؟ .. لعلك
 تقصد البندقيتين .. أجل عندي بندقية رش وبندقية صيد » .
 ثم أردف يقول في لهجة غلب عليها الضعف : « لم أعد أصيد
 كثيرا الآن .. اننى أفكر دائما في الخروج للصيد ، ثم يبدأ
 الموسم فلا أخرج .. لم يعد الصيد يطيب لى كما كان يطيب
 لى من قبل ! »

وألحف الكابتن بنتيك فى السؤال قائلا : « وأين توجد
 هاتان البندقيتان يا صاحب السعادة ؟ » . فتحسس العمدة
 خده محاولا أن يتذكر : « أعتقد .. » ، ثم التفت الى زوجته
 متسائلا : « ألم تكونا خلف ذلك الدولار بغرفة النوم مع عصى
 السير ؟ »

وأجابه السيدة قائلة : « أجل ، وكل قطعة من قطع
 الملابس الموضوعة فى ذلك الدولار تفوح منها الآن رائحة الزيت !
 ليتك وضعتهما فى مكان آخر ! »

ونادى الكابتن بنتيك يقول : « أيها الجاويش ! » ، فأسرع
 الجاويش الى غرفة النوم .. بينما قال الكابتن : « اننى لآسف ،

فهو واجب ثقيل ! » .. وما لبث الجاويش أن عاد وهو يحمل
بندقية رش ذات ماسورتين ، وبندقية صيد جميلة تعلق على
الكتف ، فأسندهما الى جوار الباب الخارجى
وقال الكابتن بنتيك : « بهذا تنتهى مهمتى .. شكرا لك
يا صاحب السعادة ، وشكرا ياسيدتى » . ثم استدار فى انحناءة
خفيفة للدكتور وينتر وقال : « شكرا يادكتور ، ان الكولونيل
ان يلبث أن يفد ، طاب صباحكم ! » .. واتجه الى الباب
الخارجى وفى أعقابه الجاويش يحمل البندقيتين باحدى يديه ،
ويعلق بندقيته السريعة الطلقات على كتفه اليمنى
وقالت السيدة : « ظننت أنه الكولونيل ، وانه لشباب
وسيم ! »

فقال الدكتور وينتر فى تهكم واستخفاف : « كلا ، ولكنه
كان يحمى الكولونيل ! »
وكانت السيدة تحدث نفسها قائلة : « ترى كم من الضباط
سياتون ؟ » ، ثم نظرت الى جوزيف فرأت أنه يتسمع الحديث
فى غير خجل أو حياء ، فهزت له رأسها وقطبت حاجبيها .
واذ ذاك عاد لغوره الى ما كان يؤديه من أعمال صغيرة ، وشرع
ينفض الغبار عن قطع الاثاث كلها
وتساءلت السيدة : « ترى كم منهم سيأتى ؟ » .. فجذب
الدكتور وينتر مقعدا بعنف ، وجلس ثانية وهو يقول : « لست
أدرى »

فأجابت السيدة بقولها : « حسنا » ، ثم عبت فى وجه
جوزيف وأردفت تقول : « لقد كنا نتحدث فى الامر .. ترى
هل تقدم لهم الشاى أم النيذ ؟ .. واذا فعلنا فلست أدرى كم
سيكون عددهم ، واذا لم تقدم لهم شيئا فماذا عسانا نصنع ؟ »
وهز الدكتور وينتر رأسه مبتسما وقال : « لست أدرى ،
فلم يغز بلادنا أحد ، ولم نغز بلاد أحد منذ زمن طويل ، ومن
ثم فلست أعرف ما الذى يليق بنا أن نفعله ! »

وعاد العمدة أوردن بأصبعه الى اذنه التي كانت تضايقه ، وقال : « حسنا ، لا أظن أنه يليق بنا أن نقدم لهم شيئاً ، فلا أعتقد أن هذا سيروق لقومنا .. أنني لا أحب أن أشرب شيئاً من النبيذ معهم وإن لم أدر سبباً لذلك ! » واستنجدت السيدة بالطبيب عندئذ قائلة له : « ألم يكن الناس فيما مضى - أقصد القادة - يحيى كل منهم الآخر بشرب كأس من الخمر ؟ »

فأوما الدكتور وينتر برأسه وهو يقول : « أجل ، كانوا يفعلون هذا » ، ثم هز رأسه ببطء وقال : « ربما كانت الحال تختلف الآن ، فقد كان مسلك الملوك والامراء في الحروب كمسلك السادة الانجليز في الصيد .. اذا ما اطمأنوا الى موت الثعلب ، اجتمعوا حول مائدة الافطار بعد الصيد ! ولكن لعل العمدة أوردن على حق ، فقد لايرضى الشعب عن شربه الخمر مع الغازى »

وقالت السيدة : « ان الشعب ينصت الى الموسيقى .. لقد قالت لى آنى هذا .. فاذا كان أهل البلدة يفعلون هذا ، فلماذا لانحى نحن العادات التي اصطلحت عليها الحضارة ؟ ! » وامعن العمدة النظر فيها برهة ، ثم قال لها في لهجة حادة : « استمحك عفوا ياسيدتى اذا كنا لانقدم الخمر ، فان الشعب تتملكه الحيرة الآن .. لقد عاش في سلام طويل حتى انه لا يصدق أنه في حالة حرب الآن ، ولن يلبث أن يدرك الحقيقة فتزول هذه الحيرة التي تتملكه .. أنهم لم ينتخبونى ليظلموا في حيرة من أمرهم ! .. لا ، ليس من رأيى أن نقيم حفلة افطار بعد الصيد .. ألم يصيدوا ستة من رجالنا هذا الصباح ؟ .. أن الناس لا يخوضون غمار الحروب للرياضة ! »

وانحنت السيدة انحناء خفيفة .. كان من عادة زوجها في بعض المناسبات أن يتخذ صفة العمدة ، وأن يملأ مركزه حقاً ، وقد تعلمت ان لاتخلط بين العمدة وبين زوجها !

* * *

♦ ونظر العمدة « أوردن » الى ساعته ، بينما اقبل جوزيف يحمل قدحا صغيرا من القهوة « السادة » ، فتناوله منه وهو شارد الذهن ، وقال له وهو يرتشف منه : « شكرا لك » ، ثم التفت الى الدكتور وينتر وهو يقول معذرا : « يجب أن يكون رأيى واضحا ، يجب أن .. أعرفت كم عدد فرقة الغزاة ؟ » فأجابه الطبيب بقوله : « ليسوا كثيرين ، ولا اعتقد أن عددهم يزيد على مائتين وخمسين ، ولكنهم جميعا يحملون تلك البنادق السريعة الطلقات ! »

ورشف العمدة رشفة أخرى من قدحه ، وبدأ حديثا جديدا ، اذ قال : « وماذا حدث في باقى انحاء البلاد ؟ » .. فرفع الطبيب كتفيه ثم خفضهما ثانية واسترسل العمدة يقول في لهجة اليأس : « ألم تكن ثمة مقاومة في أية جهة من الجهات ؟ »

وعاد الطبيب يرفع كتفيه وهو يقول : « لا أعلم .. فقد قطعت الاسلاك أو استولى عليها الغزاة ، وانقطعت الاخبار »

— وشبابنا ؟ جنودنا ؟

فأجاب الطبيب قائلا : « لست أعرف عنهم شيئا » وقطع جوزيف عليهما الحديث : « سمعت .. اقصد أن آنى سمعت .. »

— ماذا يا جوزيف ؟

— لقد قتل ستة رجال ياسيدى بالدافع الرشاشة ، وسمعت « آنى » أن ثلاثة آخرين جرحوا ووقعوا فى الاسر

— ولكن عدد الجنود كان اثنى عشر

— سمعت « آنى » أن ثلاثة ولوا الادبار !

والتفت العمدة بشدة وهو يسأل : « من أولئك الثلاثة الذين هربوا ؟ »

- لست أدري ياسيدي ، فان آنى لم تسمع عن هذا شيئاً

واخذت السيدة تمر بأصبعها على المنضدة لتتحقق من انه لا يعلق بها شيء من الغبار ، ثم قالت : « عليك أن تلزم الجرس يا جوزيف عندما يأتون ، فقد نحتاج الى بعض اشياء بسيطة .. وعليك أن ترتدى سترتك الاخرى يا جوزيف .. السترة ذات الازرار » ، ثم فكرت لحظة واستطردت تقول : « وعندما تنجز ما يطلب اليك انجازه يا جوزيف ، يجب أن تبارح الغرفة ، فانه لما يسىء الى سمعتك وقوفك دون عمل تنصت الى الحديث .. ان هذا من شيمة أهل الريف وحدهم ! » وأجاب جوزيف قائلاً : « سمعا وطاعة ياسيدتى »

- لن نقدم الخمر يا جوزيف ، ولكن حرى بك أن تضع بعض السجائر في هذه العلبة الفضية الصغيرة ، ولا تحك عود الثقاب على حذائك لتشعل سيجارة الكولونيل بل حكه على علبة الثقاب ! »

- سمعا وطاعة ياسيدتى
وفك العمدة « أوردن » أزرار سترته ، فأخرج ساعته ونظر فيها ، ثم أعادها الى جيبه وأحكم أزرار سترته ثانية . ولكنه أخطأ فوضع الزر الثانى فى المروة الاولى ، فاتجهت اليه السيدة وأصلحت من وضع سترته وتساءل الدكتور وينتر : « كم الساعة ؟ »

- الحادية عشرة الا خمس دقائق
- انهم قوم فى دقة الساعة ! .. سيكونون هنا فى الموعد الذى حددوه . أتريدنى على أن أرحل ؟

فلاح الفزع على العمدة أوردن وقال : « ترحل ؟ كلا .. كلا ، بل ابق ! » ، ثم ضحك وأردف فى لهجة غلب عليها الاعتذار : « اننى أشعر بشيء من الخوف .. لا ، ليس الخوف ، وانما هو الانفعال ينال منى مناله ! » . ثم استطرد يقول فى

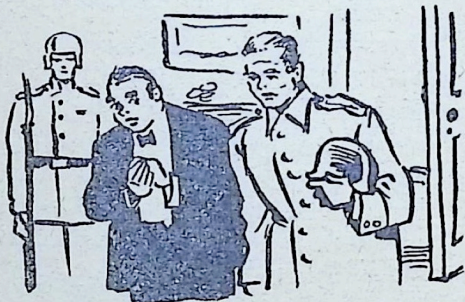
عجز وبأس : « لم يغزنا أحد منذ زمن طويل ! .. » ، وتوقف عن الكلام منصتا ، فقد كان الهواء يحمل من بعيد صوت الفرقة الموسيقية وهى تعزف لحنا عسكريا . وأرهفوا جميعا أسماعهم صوب مصدر الصوت فى اصفاء تام !



وما لبثت السيدة أن قالت : « هاهم أولاء قادمون ، أرجو أن لا يكون عددهم كبيرا جدا ، ولعلمهم لا يأتون جميعا دفعة واحدة فتضيق بهم الغرفة ، وهى ليست غاية فى الاتساع » فقال الدكتور وينتر ولهجته تنم عن التهكم : « أتفضل سيدتى قاعة المرايا فى قصر فرساي ؟ » . فعضت على شفتيها ، ونظرت حولها وهى تتخيل وضع الفزاة ، ثم قالت : « انها لغرفة صغيرة جدا » . وارتفع صوت الموسيقى ، ثم أخذ يخفت .. وطرقت الباب الخارجى يد حرصت على أن تكون رقيقة ، فقالت السيدة : « ترى من يكون هذا ؟ قل للطارق يا جوزيف أن يعود فيما بعد ، فنحن مشغولون جدا » . وعاد الطارق من جديد ، فذهب جوزيف الى الباب وفتحته فى تحفظ ، ثم فتحه أكثر من ذى قبل ، فظهر جندى فى لباس رمادى وقد علت الخوذة رأسه وكسا القفاز يديه ! .. وقال الجندى : « أحمل اليكم تحيات الكولونيل لانسر ، وان الكولونيل ليلتمس مقابلة صاحب السعادة »

وإذ ذاك فتح جوزيف الباب على مصراعيه فدخل الجندى لابس الخوذة ، وسار الى الغرفة فألقى نظرة عاجلة فى أرجائها ، ثم انتحى جانبا ، ونادى معلنا : « الكولونيل لانسر ! » ودخل شخص آخر يلبس الخوذة أيضا ، وتتم الشارات التى على كتفيه عن أنه « الكولونيل » المرتقب . ثم أقبل خلفه رجل يميل الى القصر ، ويرتدى حلة سوداء على غرار رجال

الاعمال . وكان الكولونيل رجلاً متوسط العمر ، أشيب الشعر ، صعب المراس ، تبدو على ملامحه علامات التعب . وكانت له كتفا الجندي العريضتان ، ولكن عينيه لم تكونا كعيون العسكريين . ذات النظرات الفارغة ! أما الرجل الذي جاء معه فكان أصلع الرأس ، أحمر الخدين ، له عيان سوداوان صغيرتان ، وفم ينم عن الشهوة العارمة !
 وخلق الكولونيل « لانسر » خوذته ، وقال وهو ينحني انحناء سريعة : « يا صاحب السعادة ! » ، ثم انحنى للسيدة



قائلاً : « سيدتى ! » ، وقال : « أغلق الباب من فضلك ايها الاومباشى » . فأسرع جوزيف الى غلق الباب ، وهو يرمق الجندي وكأنه يزهو بهذا النصر الصغير . فقد كان اغلاق الباب من مهامه هو ، لا من مهام « الاومباشى » ! وتطلع الكولونيل لانسر الى الطبيب متسائلاً ، فقال العمدة اوردن : « هذا هو الدكتور وينتر »

فسأله الكولونيل : « أهو موظف ؟ »

— انه طبيب ياسيدى ، ولعلنى لا اخطىء جادة الصواب اذا قلت انه مؤرخنا المحلى

فانحنى لانسر انحناء خفيفة وقال : « اننى لا اقصد ان اكون وقحا يادكتور وينتر ، ولكن ربما اضيفت الى تاريخكم

صفحة ... »
 فابتسم الدكتور وينتر وقال : « ربما أضيف اليه صفحات كثيرة »
 والتفت الكولونيل لانسر قليلا الى رفيقه ، وقال : « أعتقد انكم تعرفون المستر كوريل ؟ »
 فأجاب العمدة : « جورج كوريل ؟ .. طبعا أعرفه ، كيف انت يا جورج ؟ »
 فقاطعه الدكتور وينتر في حدة ، وقال له في لهجة طفت عليها الصبغة الرسمية : « يا صاحب السعادة ، ان صديقنا جورج كوريل أعد هذه البلدة للفزو .. ان جورج كوريل صاحب الايادي البيضاء علينا أرسل جنودنا الى الجبال .. ان جورج كوريل - ضيف الشرف في مآدب عشائنا ! - كتب قائمة بكل ما في البلدة من أسلحة نارية .. هذا هو صديقنا جورج كوريل ! »
 فقال كوريل في لهجة شاع فيها الغضب : « اننى اعمل في سبيل ما أومن به ، وهذا شئ شريف ! »
 وفغر أوردن فمه قليلا ، اذ اشتد به الدهول ، وأخذ يقلب النظر يائسا بين وينتر وكوريل ، ثم قال : « ان هذا ليس صحيحا يا جورج .. ان هذا لا يمكن أن يكون صحيحا ! .. لقد جلست الى مائدتى وشربت تبىذ « البورت » معى ، بل انك ساعدتنى فى وضع مشروع المستشفى .. ان هذا لا يمكن ان يكون صحيحا ! »
 ورمى كوريل بنظرة نافذة ، فرد اليه كوريل نظرته بنظرات ملؤها الحقد والعداوة ، ثم ساد بينهما صمت طويل .
 وأخذت ملامح العمدة تستحيل رويدا رويدا الى ملامح صارمة قاسية اتخذت السمة الرسمية ، وتصلب جسمه كله ، ثم التفت الى الكولونيل لانسر وقال : « لا أريد أن أتحدث فى حضرة هذا السيد »

وقال كوريل : « ان من حقى ان اكون هنا ! اننى جندى كسائر اولئك الجنود ، وان كنت لا ارتدى الزي العسكرية » وكرر العمدة قوله : « لا أريد ان اتحدث فى حضرة هذا السيد »

فقال الكولونيل لانسر : « هلا تركتنا الآن يامستر كوريل ؟ » وقال كوريل : « ان من حقى ان اكون هنا ! » وكرر لانسر فى حدة : « هلا تركتنا الآن يامستر كوريل ؟ او تراك أعلى منى رتبة ؟ »

— كلا ياسيدى
فقال الكولونيل لانسر : « اذن أرجوك ان تنصرف يامستر كوريل »

ونظر كوريل الى العمدة نظرة الفاضب الحائق ، ثم استدار وخرج لايلى على شيء . وضحك الدكتور وينتر وهو يقول : « هذه مادة كافية لفقرة فيما سأكتبه من التاريخ » ، فرمقه الكولونيل لانسر شزرا ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة .. وفى تلك اللحظة ، فتح الباب الايمن وأطلت منه آنى ، الحمراء العينين ، ذات الشعر الذى يشبه القش .. وكان وجهها يفيض غضبا وهى تقول : « هناك جنود عند الباب الخلفى ياسيدتى .. وليس لهم من عمل سوى الوقوف هناك ! »

فاجاب الكولونيل لانسر : « انهم لن يدخلوا ، اذ ان وقوفهم هناك من الاجراءات العسكرية »

وقالت السيدة ببرود : « اذا كان لديك ماتقولين يا آنى ، فدعى جوزيف يحمل رسالتك »

فاجابت آنى قائلة : « كل الذى اعلمه انهم قد يجاولون الدخول ، فقد شموا عبر القهوة »

وصاحت السيدة محنقة : « آنى ! »

فقالت الخادم : « سمعا ياسيدتى » . ثم غادرت الغرفة

وقال الكولونيل : « هل لى ان اجلس ؟ » ، ثم اردف يقول :
 « لقد قضينا وقتا طويلا دون ان يغمض لنا جفن »
 وكانما ايقظت هذه الكلمات العمدة من سبات عميق ،
 فقال : « أجل ، طبعاً .. اجلس ! »

وتطلع الكولونيل الى السيدة ، فجلست ، بينما القى هو
 بنفسه متهاكاً على أحد المقاعد ، وظل العمدة واقفاً وهو شارد
 البال ، وكأنه يحلم !

وبدا الكولونيل حديثه قائلاً : « نريد أن لايعوق سبيلنا
 للتفاهم عائق ، فانت ترى ياسيدى ان هذه أقرب الى أن تكون
 مفامرة تجارية ، منها الى أى شىء آخر .. نحن فى حاجة
 الى منجم الفحم الموجود هنا ، وفى حاجة الى مصائد الاسماك .
 وسنبذل قصارى جهننا حتى نمضى فى علاقاتنا مع الاهالى
 بأقل احتكاك ممكن »

فقال العمدة : « لم تصلنى أية اخبار ، فماذا حدث فى باقى
 انحاء بلادنا ؟ »

فأجاب الكولونيل قائلاً : « لقد استولينا عليها كلها ..
 لقد أحكمنا تدبير خطتنا »

— ألم تكن هناك مقاومة فى أى مكان ؟
 فنظر اليه الكولونيل فى رثاء وهو يقول : « كم كنت أتمنى
 ان لا تكون هناك مقاومة ! .. أجل ، كانت ثمة مقاومة ، إلا
 انه لم ينبجم منها سوى أراقة الدماء .. فقد أحكمنا تدبير
 خطتنا تماماً »

ولكن أوردن كان يلح فى سؤاله : « ولكن كانت هناك
 مقاومة ؟ »

— أجل ، ولكن المقاومة كانت ضرباً من الحماسة ، فقد
 قضينا عليها هناك كما قضينا عليها هنا فى الحال .. أجل ،
 لقد كانت المقاومة من الاعمال التى تتسم بالحماسة وتبعث على
 الحزن والاسى !

وانتقل الى الدكتور وينتر شيء من لهفة العمدة وقلقه ، فقال : « أجل ، كانت من حماقة ، ولكنهم قاوموا ! » فأجاب الكولونيل لانسر قائلاً : « لم يقاوم الا قلة قضينا عليها . . والشعب الآن هادىء وادع ، فى مجموعه ! » وقال الدكتور وينتر : « ان الشعب لم يقف بعد على ماحدث »

فأجاب لانسر بقوله : « لقد أخذوا يدركون ماحدث ، ولن يعودوا الى حماقتهم ! » . ثم تنحنح وأصبح صوته أكثر وضوحاً ، وهو يستطرد : « والآن ياسيدى ، يجب أن أبدا مهمتى ، فان التعب قد نال منى مناله ، ولكننى مضطر الى أن أنجز اجراءاتى قبل أن أسلم جفنى للكرى » . ثم مال الى الامام فى مقعده وقال : « اننى مهندس أكثر منى جندياً ، وهذه المفامرة كلها أقرب الى الاعمال الهندسية منها الى الفزوء ، فان الفحم يجب أن يستخرج من الارض ويشحن . ولدينا الفنيون ، ولكن الاهالى يجب أن يستمروا فى العمل فى المنجم . . اهذا واضح ؟ لا نريد أن نكره على استخدام القوة والعنف » فأجابه أوردن قائلاً : « أجل ، هذا واضح تماماً ، ولكن هب ان الناس لا يريدون العمل فى المنجم ؟ »

فقال الكولونيل : « أرجو أن يكونوا راغبين فى العمل ، لان هذا فرض عليهم . فالفحم لازم لنا »
- واذا عزفوا عن العمل ؟

- هذا فرض عليهم . . وأرى أن الشعب منظم ، رتيب ، ينأى بنفسه عن المتاعب !

وانتظر جواب العمدة ، ولكن العمدة لم يجر جواباً ، فسأله الكولونيل : « اليس الامر كما أقول ياسيدى ؟ » . فتشاغل العمدة بالعبث بسلسلة ساعته ثم قال : « لست أدري ياسيدى . . انه شعب منظم رتيب فى ظل حكومته ، ولكننى لا أعلم كيف يكون فى ظل حكومتكم ، فهذا امر لم تسبق لنا فيه تجربة

كما تعلم ، اذ اننا انشأنا حكومتنا منذ اكثر من اربعمئة عام «
فأجاب الكولونيل بسرعة : « نحن نعرف هذا ، ولذلك
سنبقى على حكومتكم ، وستظل أنت العمدة : تصدر الاوامر ،
وتعاقب وتكافئ ، وبهذه الوسيلة لن يكونوا مصدر تعب لنا! »
ونظر العمدة الى الدكتور وينتر وسأله قائلاً : « مارايك ؟ »
.. فأجابه الدكتور وينتر بقوله : « لست أدري ، وانه ليكون
طريفا أن نرقب النتيجة . على اننى اتوقع المتاعب ، فقد
يكون هذا الشعب مرا ، صلب العود ، لاتلين له قناة ! »

وقال العمدة أوردن : « ولا أنا أدري ! » . ثم التفت الى
الكولونيل يقول : « سيدى ، اننى واحد من هذا الشعب ، الا
اننى لا أدري ما عساه يفعل . ولعلك أنت تدري ، أو لعله هو
يقدم على شىء يختلف تماما عما تعرفه أنت أو نعرفه نحن ،
فبعض الناس يرتضون الزعماء الذين يفرضون عليهم ويطيعون
أوامرهم ، ولكن قومى قد انتخبونى .. لقد رفعونى وهم
مستطيعون أن يسقطونى ، ولعلهم يفعلون هذا اذا ظنوا اننى
قد ضالعتك .. كل ما أملك أن أقوله هو اننى لا أدري ! »
فقال الكولونيل : « انك لتؤدى لهم خدمة لو جعلتهم
يحافظون على النظام »

— خدمة ؟ !

— أجل خدمة ، فان من واجبك حمايتهم من الاذى ، وان
الخطر ليحرق بهم اذا هم تمردوا ، اذ لا بد لنا من أن نحصل
على الفحم ، وقادتنا لا يبينون لنا طريق الحصول عليه ، بل
يأمروننا بالحصول عليه فقط .. ولكن عليك أنت أن تحمى
قومك ! .. يجب أن تحملهم على أداء العمل ، وبذلك تحفظ
عليهم سلامتهم

فسأله العمدة أوردن : « ولكن هب انهم لا يريدون لانفسهم
السلامة ؟ ! »

— اذن فعليك أنت ان تفكر نيابة عنهم !

فاجاب أوردن في شيء من الزهو : « ان قومي لا يحبون ان يفكر انسان عنهم ، ولعلهم يختلفون في هذا عن قومك . اننى لفى حيرة ، ولكننى واثق مما اقول ! »

ودلف جوزيف الى الفرقة اذ ذاك ووقف منحنيا الى الامام وقد استبدت به الرغبة في الكلام . فقالت السيدة : « ما الخبر يا جوزيف ؟ .. احضر علبة السجائر الفضية »
فاجاب جوزيف قائلا : « عفوا ياسيدتى ، عفوا يا صاحب السعادة »

وساله العمدة : « ماذا تريد ؟ » .. فاجاب قائلا : « انها آنى .. لقد بدأ الغضب يسيطر عليها ياسيدتى ! »
وتساءلت السيدة : « ماذا جرى ؟ »
- ان آنى لا يروق لها الجنود الذين يرابطون عند الباب الخلفى !

فساله الكولونيل : « اهم يسببون شيئا من المتاعب ؟ »
فاجاب جوزيف قائلا : « انهم يتلصصون خلال الباب على آنى ، وهى تكره هذا ! »
فقال الكولونيل : « انهم ينفذون الاوامر الصادرة اليهم ، دون ان يضرؤا بأحد »
فاجاب جوزيف بقوله : « حسنا ، ولكن آنى تكره ان يحملق فيها أحد »
وقالت السيدة : « جوزيف ، قل لآنى ان تلزم الحذر ! »
فاجاب جوزيف قائلا : « سمعا وطاعة يا سيدتى » ، ثم غادر الغرفة

* * *

♦ وخفض الكولونيل عينيه عياء وتعبا ، ثم قال : « ثمة امر آخر يا صاحب السعادة .. هل من الممكن ان اقيم مع اركان حربى هنا ؟ » .. ففكر العمدة أوردن لحظة ثم قال : « ان المنزل

صغير ، وثمة منازل أكبر منه وأكثر استعدادا لتوفير الراحة ! »
وعاد جوزيف في تلك الاثناء يحمل علبة السجائر الفضية
ففتحها وقدمها الى الكولونيل . وتناول الكولونيل سيجارة ،
فأشعلها له جوزيف في شيء كثير من التكلف . وزفر الكولونيل
الدخان من أعماق صدره ، ثم قال : « ليس هذا هو بيت
القصيد ، بل لقد تبين لنا ان اقامة اركان الحرب في نفس البيت
الذي يقيم فيه أصحاب السلطة المحلية ، أدعى لهدوء البال
والطمأنينة »

فقال أوردن : « تفصّد أن الناس سيشرحون بأن ثمة تعاوناً
بين الاثنين ؟ »

– أجل ، اعتقد أن هذا هو المقصود !
فنظر العمدة أوردن في يأس الى الدكتور وينتر مستنجداً
به . ولم يستطع وينتر أن ينجده بأكثر من ابتسامة مريرة .
ومالّث أوردن أن قال في لهجة رقيقة : « هل من المباح لى رفض
هذا الشرف ؟ »

فأجابه الكولونيل قائلاً : « اننى لأسف ، ولكنك لا تستطيع ،
فتلك هى أوامر قائدى »

فقال أوردن : « أن الشعب لن يرتاح الى هذا ! »

– دائماً الشعب ! .. لقد أصبح الشعب أعزل .. لم يعد
لشعب حول ولا قوة !

فهز العمدة أوردن رأسه وهو يقول : « أنك لا تعرفهم
يا سيدى »

وطرق أسماعهم من خلال الباب صوت امرأة غاضبة . ثم
صوت ارتطام ، وصرخة رجل .. وأقبل جوزيف على الغرفة
مهرولا ، وقال : « لقد رمتهم بالماء المغلى .. لقد بلغ بها الفصـب
ذروته ! »

وسمعت الاوامر تترى من خلال الباب ، وصوت وقع

الاقدام ، ثم نهض الكولونيل لانسر متثاقلا ، وتساءل قائلا :
« اليس لك سلطان على خدمك يا سيدى ؟ »
فابتسم العمدة أوردن وقال : « لى سلطان ضئيل عليهم ..
انها طاهية بارعة عندما تكون سعيدة ! » . ثم سأل جوزيف :
« هل أصيب أحد بأذى ؟ »

— لقد كان الماء يغلى يا سيدى !
وقال الكولونيل لانسر : « انما نريد أن ننجز مهمتنا ، وهى
مهمة هندسية ، فعليك أن تؤدب طاهيتك ! »
فأجابه أوردن : « لا أستطيع هذا والا غادرت بيتى ورحلت ! »
— اننا فى حالة طوارئ ، فلا يمكنها أن ترحل
وهنا قال الدكتور وينتر : « اذن فستستمر فى القاء الماء »
وفتح الباب ، فاذا بجندى يقف فى فراغه ، وهو يقسول
متسائلا : « هل اقبض على هذه المرأة يا سيدى ؟ »



فسأله لانسر : « هل أصيب أحد بأذى ؟ »
— أجل يا سيدى ، فقد أصيب البعض بحروق ، ونال أحد
الجنود عضة .. انها الآن فى أيدينا يا سيدى
ولاحت الحيرة على لانسر ، ثم قال : « اطلقوا سراحها ،
واذهبوا بعيدا عن الباب ! » .. فقال الجندى : « سماعا »

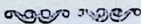
وطاعة يا سيدى . ثم اغلق الباب
وقال لانسر : « كان فى استطاعتى اصدار الامر باعدامها
رميا بالرصاص ، وكان فى استطاعتى حبسها ! »
فقال أوردن : « انك اذ ذاك تحرمنا من الطاهية ! » ..
فأجاب الكولونيل : « اننا مأمورون بأن نحسن معاملة قومك » .
وما لبثت السيدة ان قالت : « عفوا يا سيدى ، سأذهب لأرى
ما اذا كان قد نال « آنى » شئ من الأذى على يد الجنود ! » ،
ثم انصرفت . فنهض لانسر وقال : « قلت لك اننى متعب جدا
يا سيدى . لا بد لى من ان أحظى بقسط من النوم ، فأرجو أن
تتعاون معنا لمصلحة الجميع ! » . واذا لم يجب أوردن ، أردف
لانسر يقول مرة أخرى : « لمصلحة الجميع .. فهل انت
فاعل ؟ »

فأجاب أوردن بقوله : « هذه بلدة صغيرة .. لست أدري
.. ان القوم تملكهم الحيرة ، كما تملكنى أنا ! »
- ولكن هلا حاولت المعاونة ؟
فهبز أوردن رأسه وهو يقول : « لست أدري . ربما استطعت
ان أعرف ما ينبغى أن أفعله ، اذا استقر رأى القوم على ما يحسن
بهم عمله ! »

- ولكنك صاحب السلطان !
فابتسم أوردن وقال : « لن تصدق هذا ، ولكنه الحقيقة ..
ان السلطان فى يد البلدة ذاتها . ولست أدري كيف ولا لماذا ،
ولكن هذا هو الواقع .. وهذا معناه اننا لا نستطيع التصرف
بالسرعة التى نتصرفون أنتم بها ، ولكن ما ان نضع خطة للسير
عليها ، حتى نعمل كلنا معا .. اننى فى حيرة ، لأننى لا أعرف
بعد ما ينبغى عمله ! »

فقال لانسر وهو يكاد يسقط اعياء : « أرجو ان نستطيع
العمل معا حتى يسهل الأمر بالنسبة لكل انسان ، وأرجو أن
نستطيع الوثوق بك ، فاننى لا أحب أن أفكر فى الوسائل التى

يلجأ إليها العسكريون لحفظ النظام ! »
 ولاذ العمدة أوردن بالصمت ، فعاد لانسر يكرر : « أرجو
 أن نستطيع الوثوق بك والركون اليك ! »
 ووضع أوردن أصبعه في أذنه وهز يده وهو يقول : « لست
 أدري » .. ودخلت السيدة في هذه اللحظة قائلة : « لقد
 استبد الغضب بآنى ، وهى عند الجيران تحادث كريستين ..
 وكريستين غاضبة أيضا » .. فقال العمدة : « أن كريستين
 طاهية بارعة تفوق آنى نفسها ! »



الفصل الثانى

• اتخذ أركان حرب الكولونيل لانسر مقامهم فى الطابق الاعلى من قصر العملة الصغير . وكانوا خمسة عدا الكولونيل ، منهم الماجور هنتر . . وهو رجل صغير يشغل الحساب والارقام باله . وكان « وحدة » يركن اليها ، ولكنه كان يسرى بقية الناس وحدات لا يركن اليها ، أو لا تصلح للبقاء ! . . وكان الماجور هنتر مهندسا ، ولولا الحرب لما فكر أحد فى أن يوليه قيادة الرجال ! . . ذلك لان الماجور هنتر كان يصف رجاله صفوفا كأنهم الارقام ، يجمعهم ويطرحهم ويضربهم ! . . كان أقرب الى عالم الحساب منه الى رجل العلوم الرياضية ، ومن ثم لم يستسغ يوما ماكان يزعمه المتبحرون فيهما أن لها سحرا وموسيقى ونشوة روحية ! . . ولقد يختلف الناس فى الطول أو الوزن أو اللون ، كما يختلف رقم ٦ عن ٨ ، ولكنهم قل أن يختلفوا فى شىء آخر . على ان هنتر لم يكن يفتن الى ذلك . . فقد تزوج عدة مرات ، ومع ذلك فانه لم يدر يوما السر فى ان أعصاب زوجاته كانت تثور قبل أن يهجرنه !

أما الكابتن بننيك ، فكان رجل أسرة . . يحب الكلاب ، والأطفال ذوى الوجوه الوردية ، وحفلات عيد الميلاد . ولقد كان أكبر سنا من أن يكون « يوزباشيا » ، ولكنه كان منعدم الطموح الى درجة تثير العجب ، مما جعله يتخلف فى تلك الرتبة . وكان قبل الحرب شديد الإعجاب بأعيان الريف الانجليز ، فكان يرتدى الأزياء الانجليزية ، ويؤوى الكلاب الانجليزية ، ويدخن فى غليون خليطا مخصوصا من التبغ يرسل اليه من لندن ! كما انه كان مشتركا فى تلك المجلات الريفية التى تبحث فى الفلاحة والتى تداب على الجدل فى المزايا النسبية لكلاب الصيد

الانجليزية و كلاب (جوردون) . . بل انه كان يقضى اجازاته كلها في مقاطعة (ساسكس) الانجليزية ، ويستطيب ان يأخذ الناس - في بودابست أو باريس - على انه انجليزى . ومع ان الحرب اضطرته الى تغيير كل هذه المظاهر ، الا انه كان قد دخن الفليون كثيرا ، وحمل العصا طويلا ، حتى بات من المتعذر عليه ان يستغنى عنهما فجأة . ولقد كتب مرة - منذ خمس سنوات - خطابا الى صحيفة « التايمس » عن صبح حشائش الارض في (ميدلاند) . ووقع الخطاب باسم السيد ادموند تويتشل ، فنشرت « التايمس » خطابه هذا !

واذا كان الكابتن بنتيك أكبر سنا من أن يكون يوزباشيا ، فان الكابتن « لوفت » كان أصغر من أن يكون يوزباشيا ، وان حرص على أن يبدو في رتبته كأحسن ما يظهر « اليوزباشية » في ربتهم ، فكانت حركاته وسكناته كلها توحى بأنه « يوزباشى » مثالى . ولم تكن في وقته لحظة غير عسكرية ! وقد دفعه الطموح الى الرقى ، فأخذ يصعد سلم الدرجات العسكرية تباعا ، وهو يرتفع في سر كأنه القشدة حين تعلو اللبن ! . . ولقد كان يضرب أحد عقبيه بالآخر في براعة الراقص الرشيق ، كما كان يعرف كل ضرب من ضروب الآداب العسكرية ، حتى بات قادة الجيش يخشونه ، لانه كان يعرف عن مسلك الجندى اكثر مما يعرفون . وكان الكابتن « لوفت » يعتقد - بل يؤمن - بأن الجندى هو أرقى ما تطورت اليه حياة الحيوان . ولو أنه كان على شيء من الايمان بوجود الله ، لكان كل ما يتخيله عن الله هو أنه قائد قد تقدمت به السن وتوجته اكاليل الشرف ، وقد اعتزل الخدمة بعد ان اشتعل رأسه شيبا ، وأخذ يعيش على ذكريات الممارك التى خاضها ، ويضع اكاليل الزهور على قبور ملازميه عدة مرات في السنة ! . . وكان الكابتن « لوفت » يعتقد أن النساء جميعا يتهافتن على حب الزى الرسمى . ولم يكن يرى أى عجب في ذلك . . ومن ثم فقد كان يحلم بأنه اذا سارت

الامور سيرها الطبيعي ، فلن يلبث ان يصبح لواء في سن الخامسة والاربعين من عمره، فتنتشر الصحف والمجلات صورته تحيط به نساء مسترجلات طويلات ، شحبت وجوههن ، وارتدين قبعات مطرزة أنيقة !

أما الملازمان « براكل » و « توندر » ، فكانا في طور التمرين . . لم يكونا أكثر من ملازمين يتدربان على فنون السياسة الحالية ، ويؤمنان بأن نظام الحكم الجديد ابتكره عبقرى ، وبلغ من العظمة بحيث لم يكونا في حاجة الى أن يكلفا نفسيهما مؤونة التحقق من نتائجه . . وكانت العاطفة تملك قيادهما ، فألفا الدموع وسورات الغضب . وكان الملازم «براكل» يحمل خصلة من الشعر الصقها في داخل الفلاف الخلفى من ساعته الجيبية ، وقد لفها في قطعة من الحرير الازرق . وكان الشعر يخرج دائما من غلالته ويعوق بندول الساعة عن العمل ، ولذلك فقد كان يحمل ساعة يد ليعرف بها الوقت . ولقد كان «براكل» في الاصل راقصا أجيرا ، مرحا بطبعه ، الا أنه كان قادرا على أن يتجهم كما يفعل القائد ، وأن يطيل التفكير والتأمل كما يفعل القائد أيضا . . وكان يكره الفن المائع المنحل ، حتى لقد أتلف بيديه بعض اللوحات التى رسمت على القماش . وكان يعمد - أثناء سهرة في الملاهى أحيانا - الى رسم رفاقه بالقلم الرصاص في صور كاريكاتورية كانت من البراعة بحيث قيل له كثيرا انه كان يجب أن ينشأ فنانا . وكانت لبراكل بضعة شقيقات شقراوات كان فخورا جدا بهن ، حتى أنه أثار ضجة ذات مرة عندما خيل اليه أن الحديث قد نال من سمعتهن . وانزعجت الشقيقات بعض الشيء بسبب هذا الحادث ، لانهن خشين أن يعمد شخص ما الى اثبات الواقعة التى تناولتها الاهانة ، ولم يكن هذا بالامر المتعذر ! . . وكان الملازم «براكل» يقضى وقت فراغه كله - تقريبا - فى نسج الخيال حول اغراء أخت الملازم « توندر » الشقراء . . وهى فتاة بدينة كانت تحب

ان يكون اغراؤها على ايدى الرجال الأكبر منه سنا ، اذ انهم ما كانوا يعبثون بشعرها على النحو الذى يعبث به الملازم براكل !

اما الملازم « توندر » فكان شاعرا ، حزينا ، متشائما ، يحلم بالحب المثالى الكامل الذى يتدفق من قلوب الشبان المثقفين الى الفتيات الفقيرات ! .. وكان شابا أسمر اللون ، يفيض بالمعاطفة ، كما كان خصب الخيال ، واسع التجربة . وكان يتمتع أحيانا بأشعار لا معنى لها ، الى نساء سمراوات من نسج خياله .. ويتوق للموت فى ميدان القتال ، ويتخيل والديه وهما يبكيانه ، وقائده الشجاع وقد استبد به الحزن أمام الشاب وهو يحتضر . وكثيرا ما كان يتخيل مشهد موته ، فيتمثل الشمس محتقنة اللون غاربة ، تنعكس أشعتها على مهمات عسكرية محطمة ، وقد وقف جنوده حوله سكوتا وقد طأطأوا رؤوسهم .. بل انه أعد الكلمات التى يجمل به ان يقولها وهو يحتضر !

♦ هؤلاء كانوا اركان الحرب .. يخوض كل منهم غمار الحرب كأنها لعبة من ألعاب الصبية . وكان رأى الماajor « هنتر » فى الحرب أنها عملية حسابية يجب ايجاد حل لها ، حتى يستطيع العودة الى جوار مدفاته . أما رأى الكابتن « لوفت » فكان يتمثل فى أن الجيش هو المستقبل اللائق بشباب نشأ على أحسن ما يشب عليه الشباب ، فى حين ان الملازمين « براكل » و « توندر » كانا يتصوران الحرب كأنها حلم لا ينطوى على شيء من الحقيقة . ولقد كانت الحرب التى خاضوها حتى اليوم لعبة من اللعب . فالأسلحة بديعة الاشكال ، والخطة التى أعدوها - ضد أعداء بلا أسلحة أو خطط - خطة رائعة ، ومن ثم لم يهزموا فى موقعة واحدة ، ولم تنزل بهم الا خسائر قليلة . وكانوا - كأي ناس غيرهم -

عرضة لان يبدوا من الجبن أو الشجاعة ما يقتضيه الضغط الذى ينصب عليهم ، فما كان بينهم من يصرف حقيقة الحرب وكنهها سوى الكولونيل لانسر . فلقد قضى ((لانسر)) فى بلجيكا وفرنسا عشرين عاما ، وحاول الا يفكر فيما قدر له ان يعرفه من أن الحرب خيانة وحقد ، وانها خطط مشوشة لقادة تعوزهم الكفاية ، وعذاب وقتل ومرض وكلال . والى ان ينتهى كل هذا - بأن تضع الحرب أوزارها - لا يطرأ على العالم اى تبدل اللهم الا زيادة النعب وخلق احقاد جديدة . وكان لانسر يحدث نفسه بأنه حذى صدرت اليه تعليمات يجب ان يقوم على تنفيذها ، فلم يكن من المفروض أن يناقش هذه التعليمات أو يفكر فيها ، وانما كان عليه أن ينفذها فقط ! . . . وكان يحاول أن يطرد الذكريات المريرة التى خلفتها الحرب السابقة ، وهو موقن فى قرارة نفسه من أن هذه الحرب على غرار تلك . . . كان يحاول أن يقنع نفسه خمسين مرة فى اليوم بأن هذه الحرب ستختلف عن الحرب الاخرى . . . كل الاختلاف !

ومن المعتاد فى الطوابير العسكرية ، وفى زحمة الجماهير ، ومباريات كرة القدم ، والحروب ، أن تصبح المعالم مبهمه غير واضحة ، وتفقد الامور الملموسة سرابا ، فتخيم على العقل غشاوة تطمس المرئيات . اذ ان التوتر والاثارة والملل والكلال والحركة . . . كل هذه تندمج فى حلم واحد كبير مشوش غير واضح المعالم . فاذا ما انقضى ، كان من الصعب عليك أن تذكر ماذا كانت عليه الحال عندما قتلت الناس أو أصدرت الامر بقتلهم . . فاذا أنباك الذين لم يحضروا القتال بما وقع من أحداث ، قلت وقد التبس عليك الامر : « أجل ، اعتقد أن هذا هو ماجرى ! »

وقد شغل أركان الحرب ثلاث غرف فى الطابق الاعلى من قصر العمدة، فصفوا فى غرفة النوم أسرتهن وبطاطينهم ومهماتهم،

وجعلوا من الغرفة المجاورة لهاتين الغرفتين - والتي تقع فوق غرفة الاستقبال - ناديا . ولكن أسباب الراحة لم تكن متوفرة في هذا النادي . . كان ثمة عدد من المقاعد ومنضدة ، وكانوا يكتبون في هذه الغرفة ويقرأون خطاباتهم ، كما كانوا يتجاذبون أطراف الحديث ويحتسون القهوة ويضعون الخطط ويستريحون . وقد علق على الجدران - بين النوافذ - صور البقر والبحيرات والبيوت الريفية الصغيرة . وكانوا يستطيعون أن يشرفوا من النوافذ على البلدة حتى الميناء ، وعلى الارصفة التي ترسو عندها سفن الشحن ، والارصفة التي تجنح اليها سفن الفحم لتشحن ثم تقلع الى عرض البحر . كانوا يستطيعون أن يروا البلدة الصغيرة وهي تنثنى حول الميدان حتى تبلغ الميناء ، كما كان في وسعهم أن يشاهدوا قوارب الصيد وهي راسية في الخليج وقد طوت قلووعها . . بل لقد كان في وسعهم أن يشموا رائحة السمك وهو يجفف على الساحل ، اذ كان النسيم يحملها اليهم خلال النافذة

وكانت في وسط الغرفة منضدة كبيرة جلس الى جوارها الماجور « هنتر » ، وقد وضع لوحة الرسم الهندسي على ركبتيه ، مسندا حافظها الى المنضدة ، وراح يرسم مشروع خط حديدي جديد لتخزين العربات بالمحطة، مستعينا بالمسطرة « حرف ت » والمثلث . ولكن اللوحة لم تكن ثابتة في مكانها ، فأخذت تتحرك ، مما اثار غضب الماجور ، فالتفت ونادى قائلا : « براكل ! » ، ثم : « ايها الملازم براكل ! »

وفتح باب غرفة النوم ، وخرج الملازم وقد غطي معجبون الحلاقة نصف وجهه ، بينما أمسك بالفرشاة في يده ، وقال : « نعم ؟ » . . فهز الماجور هنتر لوحة الرسم وهو يقول : « ألم تأت ركيزة لوحتي مع أمتعتنا ؟ » . . فأجاب براكل بقبوله : « لست أدري يا سيدي ، فأننى لم أبحث عنها »
- هلا بحثت عنها الآن ؟ يكفى اننى أحمل نفسي على العمل



في هذا الضوء ، واننى مضطر الى رسم هذا المشروع من جديد قبل تحبيره !

واجاب براكل : « سأبحث عنها بمجرد فراغى من ازالة لحيتى ! » . ولكن هنتر صاح في غضب : « ان شريط التخزين الذى ارسمه يفوق طلعتك أهمية .. ابحت تحت الامتعة المتراكمة هناك عن حقيبة من المشمع تشبه في شكلها حقيبة الجولف ! »

* * *

♦ واختفى « براكل » في غرفة النوم ، بينما فتح الباب الذى يقع الى اليمين ، وأقبل الكابتن « لوفت » ، وهو يلبس خوذته ، ويحمل نظارة الميدان وسلاحا ، وعدة علب جلدية صغيرة اما معلقة في ذراعيه أو مشدودة الى عنقه . وما أن دخل حتى أخذ يتخلص من كل ما يحمل من مهمات ثم قال : « لا شك أن بنتيك هذا مجنون ، فقد شاهدته يخرج الى نوبتسه في الطرقات بالقبعة الخفيفة التى يرتديها الجنود في اوقات الراحة ! » . ووضع نظارة الميدان على المنضدة ، وخلع خوذته ثم علبة القناع الواقى من الغازات ، فما لبثت

المهمات ان تكدرت على المائدة . واذا ذاك قال هنتر : « لا تترك هذه المهمات ، فاننى اريد ان اشتغل هنا . ولم لا يرتدى بنتيك قبعة خفيفة ؟ .. ان ارتداه اياها لم يحدث اى اضطراب ، كما ان هذه الخوذات الفولاذية تضايقنى ، اذ انها ثقيلة وتحول دون الرؤية » .. فأجاب لوفت وهو يتكلف الجد : « ان خلع الخوذات أمر له تأثير سيىء على الناس هنا ، فيجب ان نحفظ بطابعنا العسكري ، وأن نكون دائما على أهبة الاستعداد ، وان لا نتهاون لحظة .. فاذا لم نفعل ، كنا كمن يدعو الى اثاره الاضطراب ! »

وسأله هنتر : « ما الذى يجعلك تعتقد هذا ؟ » .. فشد لوفت قامته قليلا ، و زم شفتيه كما لو كان واثقا مما يقول . وكان الكل يتوقون الى ان يفحموا لوفت - ان عاجلا أو آجلا - لفرط اعتداده بما كان يقول . وأجاب لوفت على سؤال هنتر بقوله : « انها ليست مسألة اعتقاد ، وانما كنت أردد ما ورد فى كتاب « س - ١٢ » عن مسلك الجنود فى البلاد المحتلة ، وهو كتاب بذل فيه كاتبه جهدا مشكورا ! » ، ثم شرع يقول : « يجب عليك أن ... » ، ولكنه ما عتم أن قال : « عليكم جميعا أن تقرأوا « س - ١٢ » بعناية بالغة »

فأجابه هنتر بقوله : ترى هل زار مؤلف هذا الكتاب الاراضى المحتلة مرة ؟ ان شعب هذه البلاد شعب هادىء ، ويبدو انه شعب ممثلى طبع يتصف بالطيبة والصلاح ! » .. ودخل « براكل » الغرفة ، وما زال نصف وجهه يغطيه صابون الحلاقة . وكان يحمل حقيبة كالكيس الطويل ، ذاكنة اللون . وجاء فى اثره الملازم « توندر » ، فقال براكل يسأل هنتر : « أهذه هى ؟ »

- أجل . هل لك أن تفكها وتقيمها على سيقانها ! فانهمك براكل وتوندر فى اخراج الحامل من الحقيبة واقامته على سيقانه الثلاث . وبعد أن استوثقا من متانته ، وضعا

بجوار هنتر ، وثبت الماجور اللوحة على الحامل ، ثم هزها الى اليمين والى اليسار ، واستقر خلفها آخر الامر وهو يهمهم ويدمدم . . واذا ذاك قال الكابتن لوفت : « أتعرف أن الصابون على وجهك أيها الملازم؟ » . فأجاب براكل قائلا : « نعم ياسيدى ، كنت أحلق عندما طلب منى الماجور أن آتى له بالحامل » . . فقال لوفت : « اذن ، يجمل بك أن تزيله . . فقد يراك الكولونيل »

— انه لن يهتم للامر ، فهو لا يأبه بمسائل كهذه !
وكان توندر يقف خلف هنتر يراقبه وهو يرسم . فقال لوفت : « انه قد لا يحفل بمثل هذه الامور ، ولكن المنظر لا يسر العين ! » . فأخرج براكل منديلا ومسح ما علق بخده من الصابون ، بينما أشار توندر الى رسم صغير فى ركن لوحة الماجور ، قائلا : « هذا جسر جميل ياماجور ، ولكن أين بالله سنقيمه ؟ »

ونظر هنتر الى الرسم ، ثم التفت الى توندر الواقف خلفه ، وقال : « هه ؟ . . ليس هذا جسرا سنقيمه . ان رسم مشروعا فى أعلى اللوحة ! »
— اذن ما حاجتك الى الكوبرى ؟

وبدا شىء من الحيرة على هنتر وهو يجيبه قائلا : « لقد أقمنا فى الساحة الخلفية لدارى خطا مثاليا لسكة حديدية ، وكنت أريد قنطرة على جدول ماء يعترض طريقه ، وقد أتيت بالخط حتى حافة الجدول ، ولكننى لم أتمكن بعد من بناء هذا الجسر فوقه ، ففكرت فى تصميم مشروعه وأنا هنا بعيد عن الوطن »

وأخرج الملازم براكل من جيبه صفحة مطوية مطبوعة بالروتوغرافور ، فنشرها بين يديه وأخذ ينظر فيها . . وكانت صورة لفتاة أبرز ما فيها ساقاها وثوبها وأهدابها . . كانت شقراء ناضجة ، ترتدى جوربين أسودين يفضحان ما تحتها ،

وصدارا يكشف عن نحرها . وكانت الشقراء تختلس النظر من فوق مروحة من « الدانتلا » السوداء . ورفع الملازم الصورة وهو يقول : « أليست بديعة ؟ » . فتأمل الملازم توندر الصورة بنظرة الفاحص المدقق ، وقال : « انها لا تعجبني »
 — وما الذي لا يعجبك فيها ؟

فأجاب توندر قائلا : « لا تعجبني وحسب . وما السدى تريده من صورتها ؟ » . فقال براكل : « أريد صورتها لانها تعجبني ، وأراهن انها تعجبك أنت أيضا » . ولكن توندر قال في اصرار : « بل هي لا تعجبني » . فسأله براكل قائلا : « اتعنى أنك لا تواعدها اذا استطعت الى ذلك سبيلا ؟ » . فقال توندر : « كلا »

واذ ذاك قال براكل : « انك حقا لمجنون » . ثم سار الى احدى الستائر ، وأردف قائلا : « سأعلقها هنا وأتركك تتأملها برهة » . وثبت الصورة بدبوس في الستارة

وكان الكابتن لو فت يجمع مهماته بين ذراعيه في تلك اللحظة ، فقال : « لا أعتقد أن منظرها هنا مما يليق أيها الملازم ، فيحسن أن ترفعها ، اذ لن يكون لها تأثير حسن على الشعب هنا ! »

ورفع هنتر عينيه عن لوحته وسأل : « من تلك التي لن يكون لها تأثير حسن ؟ » ، ثم تتبع عيونهم الى الصورة وقال : « من هذه ؟ » . فأجاب براكل : « انها ممثلة » . وتأملها هنتر بعناية وسأله : « هل تعرفها ؟ » . فقال توندر : « انها أفاقة ! » . وهنا قال هنتر : « اذن فانت تعرفها ؟ »

وكان براكل يتفرس في وجه توندر ، فقال : « كيف عرفت انها أفاقة ؟ » . فأجاب الملازم : « ان مظهرها يدل على انها أفاقة »

— هل تعرفها ؟

— كلا ، ولا أريد أن أعرفها !

وشرع براكل يقول : « اذن كيف عرفت ؟ » ، ولكن لو فت

قطع عليه الحديث قائلا : « يحسن بك أن ترفع الصورة من هنا . علقها فوق سريرك اذا شئت ، ولكن هذه الغرفة تعتبر رسمية ! »

فنظر اليه براكل متمردا . . وكان على وشك الرد عليه عندما قال الكابتن لوفت : « هذا أمر أيها الملازم ! » ، فطوى براكل المسكين ورقته ووضعها في جيبه ثانية

* * *

• وحاول براكل ان يغير مجرى الحديث ، فقال في ابتهاج متكلف : « ان في هذه البلدة فتيات جميلات ، وما ان نستقر وتسير أمورنا على ما نحب حتى أتعرف الى بعضهن ! » . . فأجابه لوفت قائلا : « يحسن بك أن تقرأ « س - ١٢ » ، ففيه فصل يعالج الشؤون الجنسية ! » . . ثم خرج يحمل نظارته ومهماته . وكان الملازم توندر لا يزال واقفا خلف الماجور هنتر يشاهد رسمه ، فقال : « من البراعة حقا ان تأتي سيارات الفحم من المناجم الى السفينة رأسا ! »

وخفف هنتر من تركيز ذهنه في عمله رويدا ، ثم قال : « يجب أن نسرع في انجاز مهمتنا . . يجب أن ننقل الفحم سريعا ! . . انها مهمة كبيرة ، وكم أنا شاكر للناس هنا هدوءهم وتعقلهم ! » . . وكان لوفت قد عاد الى الغرفة دون مهماته ، ووقف بجوار النافذة يطل على الميناء ومنجم الفحم ، فقال : « انهم هادئون عاقلون لاننا هادئون عاقلون . . اعتقد أننا نستحق التقدير على هذا ، ولذلك ما فتئت أصر على أهمية المسلك ، وقد عالجه ذلك المؤلف في كتابه ببراعة »

وهنا فتح الباب ، ودخل الكولونيل لانسر وهو يخلع معطفه ، فحياه أركان حربه التحية العسكرية . . ولم تكن تحية صارمة عنيفة ، ولكنها كانت كافية . . فقال لانسر : « هل لك يا كابتن لوفت أن تنزل لتحل محل بنتيك ؟ انه يشعر بتوعلك ويقول انه مصاب بدوار ! » . . فأجاب لوفت : « سمعا

وطاعة ياسيدى ، ولكن هل لى أن أذكر لك ياسيدى اننى انما فرغت من نوبتى توا ؟ » . وتأمله الكولونيل بنظرة فاحصة وقال : « أرجو أن لا يكون هناك حائل يحول دون ذهابك ياكابتن »

— كلا يا سيدى البتة ، وانما ذكرت ما ذكرت حتى يدون فى صفحتى !

وتنفس لانسر الصعداء ثم ضحك قائلاً : « اتحب أن يذكر اسمك فى التقارير ؟ » . فقال لوفت : « لا بأس من هذا يا سيدى ! » . واستطرد لانسر يقول : « وعندما يتكرر ذكر اسمك بما فيه الكفاية ، سيزدان صدرك بوسام صغير » — ان الاوسمة معالم الحياة العسكرية يا سيدى !

وتنهذ لانسر قائلاً : « أجل ، أعتقد هذا ، ولكنها لن تكون المعالم التى تخلد فى ذاكرتك يا كابتن » . فسأله لوفت مستفسراً : « سيدى ؟ »

— لعلك تدرك ما أعنى . . فيما بعد !

وعاد الكابتن يتزود بمهامته من جديد فى سرعة وعجلة ، وقال : « اننى ذاهب ياسيدى » . ثم خرج . وسمع وقع أقدامه على الدرج الخشبي ، وهو يهبط ، فراقبه براكل فى شئ من المرح ، وقال فى هدوء : « هاهو ذا جندى مطبوع ! » . فرفع هنتر عينيه وتلاعب بالقلم الرصاص وهو يقول : « بل حمار مطبوع ! »

فأجاب لانسر بقوله : « كلا ، انه جندى يسلك فى الجندية الطريق الذى يسلكه كثيرون من الناس ليصبحوا من الساسة . . ولن ينقضى وقت طويل حتى يكون عضواً فى هيئة أركان الحرب العليا ، وسينظر الى الحرب من عل ، وهكذا يحبها دائماً » وقال الملازم براكل : « متى تنتهى الحرب فيما نحسب ياسيدى ؟ »

— تنتهى ؟ تنتهى ؟ ماذا تعنى ؟

واستطرد الملازم براكل يقول : « متى نحرز النصر ؟ » ..
 فهز لانسر رأسه قائلا : « لست أدري ، فما زال العدو على قيد
 الحياة ! » .. وأردف براكل بقوله : « ولكننا سنوقع به
 الهزيمة » . فقال لانسر : « حقا ؟ »
 - لن نحرز النصر ؟

- بل سنحرزه ، فهذا ديعننا على الدوام !
 وقال براكل في لهجة كلها انفعال : « حسنا ، اذا أحرزنا
 النصر في تاريخ قريب من عيد الميلاد ، أفظن أنهم يسمحون لنا
 ببعض الاجازات ؟ » . فأجاب لانسر قائلا : « لست أدري ،
 فان مثل هذه الاوامر يجب أن تصدر من الوطن . أتريد العودة
 الى الوطن لقضاء عيد الميلاد ؟ »
 - اننى لا توق لهذا بالفعل !

فقال لانسر : « ربما تحقق لك هذا » . وكرر قوله : « ربما
 تحقق لك هذا » .. فتساءل الملازم توندر : « هل سنسحب
 من هذه البلاد ياسيدى بعد أن تضع الحرب أوزارها ؟ »
 واذا ذاك أجاب الكولونيل قائلا : « لست أدري ، ولكن فيم
 هذا السؤال ؟ » .. فقال توندر : « انها بلاد ظريفة وشعبها
 شعب ظريف ، بل ان رجالنا - أقصد بعضهم - قد يفكرون
 فى الاستقرار هنا ! »

وسأله لانسر مداعبا : « لعلك رأيت مكانا أعجبك ؟ » .
 فأجاب توندر : « ثمة مزارع جميلة هنا ، ولو أن أربعا أوخمسا
 منها قد ضمت معا لاصبح المكان من أحسن الاماكن للاستقرار
 فيما أعتقد ! » . فسأله لانسر : « ألم ترث أرضا عن أسرتك ؟ »
 - لم يعد لنا أرض ياسيدى ، فقد ذهب بها التضخم
 النقدي !

وأدرك لانسر التعب من محادثة هؤلاء الزملاء فقال :
 « حسنا ، مازالت أمامنا حرب نخوض فمارها ، ومازال هناك
 فحم يجب علينا استخراجة . أعتقد أننا نستطيع الانتظار

حتى تضع الحرب أوزارها قبل أن نصلح من شأن هذه المزارع؟
ان مثل هذه الأوامر يجب أن تصدر من السلطات العليا . أسأل
في ذلك الكابتن لوفت ، فيحدثك الحديث الوافي ! » . ثم تغيرت
ملامحه وقال : « سيصل الفولاذ الى هنا غدا ياهنتر ، ويمكنك
البدء بمد خطوطك الحديدية هذا الاسبوع ! »

* * *

♦ وطرق الباب طارق . ثم أطل رأس أحد الحراس من
الباب وقال : « ان المستر كوريل يريد مقابلتك ياسيدي » ، فقال
الكولونيل : « أدخله ! » . ثم تحول الى الآخرين وقال : « انه
الرجل الذي قام بالعمل التمهيدى هنا ، وربما لاقينا بعض
المتاعب منه ! »

وتساءل توندر : « هل أدى عملا هاما ؟ » . فقال الكولونيل :
« أجل ، لقد أدى لنا مهمة كبيرة ، ولهذا لن يكون محبوبا من
الشعب هنا ، ولست أدري هل سنحبه نحن أم لا ! » . فقال
توندر : « انه جدير بالتقدير ولا شك » . فقال لانسر : « أجل ،
ولكن . . هل تظن أنه لن يطالب بالجزاء قبل ان نجزيه من تلقاء
أنفسنا ؟ »

ودخل كوريل وهو يفرك يديه ، وقد بدت عليه روح



الزمانة والنوايا الطيبة . وكان لا يزال مرتديا زي رجال الاعمال الاسود اللون ، وان بدت حول رأسه ضمادة بيضاء اختلطت أطرافها بشعره ، وقد ثبتت في وضعها بشرط لصق على شكل الصليب . وتقدم الى وسط الغرفة ، ثم قال : « صباح الخير ياكولونيل . كان من الواجب أن أزورك أمس بعد الحوادث التي وقعت ، ولكنني قدرت كثرة مشاغلك » . فقال الكولونيل : « عم صباحا ! » ، ثم أشار بيده الى الحاضرين ، وقال : « هؤلاء ضباط هيئة اركان حربي يامستر كوريل » . فقال كوريل : « انهم فتية بارعون ، فقد أدوا مهمة عظيمة ، عملت أنا من ناحيتي على تمهيدها لهم »

وأحنى هنتر رأسه على مكتبه ، وتناول قلم حبر غمسه في المحبرة ، ثم بدأ في تحبير اللوحة التي رسمها . . وقال لانسر لكوريل : « انك قمت بعمل جليل ، وان كنت قد تمنيت لو انك لم تقتل أولئك الاشخاص الستة . ليت جنودهم لم يعودوا الى البلدة ! » . . ففتح كوريل يديه وقال باستخفاف : « ان قتل ستة رجال يعد خسارة تافهة بالنسبة لبلدة بهذا الحجم ، وفيها منجم للفحم كذلك ! » . . فقال لانسر بحدة : « لست أنكر القتل اذا كان يؤدي الى الغاية ، ولكن من الخير أحيانا أن لا نلجأ اليه ! »

وأخذ كوريل يتفحص الضباط ، ثم قال وهو يشير بعينه اليهم : « هل يمكننا أن نتحدث على حدة ياكولونيل ؟ » . فقال لانسر : « أجل ، اذا كنت تريد ذلك » . . ثم طلب من الملازم « براكل » والملازم « توندر » أن يذهبا الى غرفتهما ، ثم قال لكوريل : « ان الماجور هنتر يعمل الآن ، وهو لا يسمع شيئا حينما يكون منهمكا في العمل »

ورفع هنتر رأسه عن لوحته ، وابتسم بهدوء ، ثم عاود العمل . بينما ترك الضابطان الشابان الغرفة . فلما بارحاهما ، قال لانسر لكوريل : « حسنا ، هانحن قد خلونا الى أنفسنا ،

فتفضل بالجلوس «

وجلس كوريل الى المائدة وهو يقول : « شكرا ياسيدى » .
فحدق لانسر فى الضمادة التى على رأس الرجل ، وقال بفتور :
« انراهم شرعوا فى اغتيالك بهذه السرعة ؟ »

فتحسس كوريل الضمادة بأصابعه وقال : « أتقصدهذه ؟
آه ، انها من اثر حجر سقط - من ربوة صباح اليوم »

- أوافق أنت من انه لم يلق عليك عمدا ؟
- ماذا تعنى بهذا ؟ . . أن الشعب هنا لا يعرف العنف ،
ولم ير حربا منذ مائة عام . وقد نسي القتال وكل ما يتصل به !
- انك عشت بينهم ، فخليق بك أن تكون على معرفة بهم !
ثم اقترب الكولونيل من كوريل وقال : « ولكن ، اذا كنت
فى أمان حقيقة فلا بد أن يكون هذا الشعب مختلفا عن غيره
من شعوب العالم بأسره ! أننى لا ألقى الكلام على عواهنه ، فقد
سبق أن اشتريت فى احتلال أقطار ، فذهبت الى بلجيكا منذ
عشرين عاما ، وكذلك فرنسا » . . ثم هز رأسه ، وكأنه يريد
أن ينزع منه هذه الفكرة . وما لبث أن استطرد يقول : « أنك
أديت مهمة طيبة تستحق عليها الشكر ، وقد أشرت الى
عملك فى تقريرى »

- شكرا لك ياسيدى ، لقد بذلت ما فى وسعى
وقال لانسر بشيء من الملل : « حسنا ياسيدى ، ماذا نفعل
الآن ؟ . . هل تريد العودة الى العاصمة ؟ يمكننا أن ننقلك باحدى
سفن نقل الفحم ، اذا كنت فى عجلة من أمرك ، أو بمدمرة اذا
أردت التريث قليلا ! »

- ولكنى لا أريد العودة ، اذ انى أفضل البقاء هنا
وفكر لانسر برهة ثم قال : « أنك تعلم أن ليس تحت
امرتى جنود كثيرون ، ولهذا لا يمكننى أن أوفر لك الحراسة
المناسبة »

- ولكننى لا أريد حرسا ، وقد قلت لك ان الناس هنا

لا يعرفون العنف !

فوجه لانسر نظره الى الضمادة ، كما رفع هنتر رأسه وقال :
« خير لك أن تضع خوذة على رأسك ! » . ثم عاد الى عمله !

♦ وانحنى كوريل قليلا في مقعده وقال : « لقد أردت أن
أحدثك ياكولونيل بصفة خاصة ، إذ أظن أن في وسعي أن أسدى
يدا في الإدارة المدنية » . فدار لانسر على عقبه ، وسار نحو
النافذة وتطلع منها ، ثم عاد وقال بهدوء : « فيم تفكر ؟ »

— لا بد أن هناك سلطة مدنية يمكنك استئصالها الى . . فاني
أعتقد أن هذا هو الوقت الذي قد يتخلى فيه العمدة أوردن
عن منصبه و . . حسنا ! . . إذا توليت أنا هذا المنصب ،
فسوف يصبح عمل العمدة منسجما كل الانسجام مع الإدارة
العسكرية !

وبدا كأن عيني لانسر قد اتسعتا واشتد بريقهما ، ثم تقدم
نحو كوريل وقال بحدة : « هل ذكرت هذا في تقريرك ؟ »
— أجل . لقد ذكرته بطبيعة الحال ، في تحليلي للموقف !
— هل تحدثت مع أى شخص من أهل البلدة منذ
وصولنا إليها ؟

— لا ، فالناس لا يزالون مشدوهين الى حد ما ، لانهم لم
يكونوا يتوقعون ما حدث !

وغص حلقه وهو يزدد لعا به ، ثم تابع حديثه قائلا : « لا
ياسيدى ، انهم قطعا لم يتوقعوا أن تتطور الاحوال بهذا
الشكل ! »

— أى أنك لا تعرف في الواقع ما يدور في أذهانهم !

— انهم كما قلت مأخوذين . . انهم . . انهم في شبه حلم !

— أترأك لا تعرف ما يظنونه فيك ؟

— ان لى أصدقاء عديدين هنا . بل اننى أعرف كل

الناس !

- هل اشترى أحد شيئاً من متجرك في هذا الصباح ؟
- ان الاعمال واعدة بطبيعة الحال ، وليس هناك من يشتري شيئاً !

وخفت حدة لانسر فجأة ، ثم تقدم نحو مقعد وجلس ، ووضع ساقاً على ساق . وقال بهدوء : « ان الخدمة التي أدتها هي في الواقع مهمة شاقة تحتاج الى الشجاعة ، ويجب أن تكون مكافأتك عظيمة ! »

- شكراً ياسيدي
- ولكنهم سوف يكرهونك على مر الايام !
- أستطيع احتمال هذا ياسيدي ، انهم العدو !
وتردد لانسر برهة طويلة قبل أن يتحدث ثم قال بلطف :
« انك لن تكسب .. حتى احترامنا نحن ! » .. فقفز « كوريل » عن مقعده ثائراً ، وقال : « ان هذا يناقض كلمات الزعيم الذي قال ان جميع انواع العمل مشرفة على السواء ! » .. ولكن لانسر قال في هدوء : « وددت لو أن الزعيم يعرف ، وأن يتمكن من قراءة افكار الجنود ! » .. ثم اضاف في لهجة تكاد تكون مقرونة بالعطف : « يجب أن تكافأ مكافأة عظيمة ! »

وسكت لانسر برهة ، ثم جمع نفسه وقال : « والآن يتعين ان نحدد الامور .. فانا المسئول عن كل شيء هنا ، ومهمتي هي استخراج الفحم من المناجم ، ولكي اصل الى هذه الغاية ، يجب ان احافظ على الامن والنظام .. ولكي افعل هذا يجب أن أعرف مايدور في عقول هذا الشعب ، ولا معدى لى عن أن اتوقع الثورة .. هل فهمت ؟ »

- حسناً ، ان في وسعي أن أهتدى الى ماتود معرفته ياسيدي ، وسوف اكون عظيم النفع كعمدة للبلدة !
فهز لانسر رأسه وقال : « ليس لدى أوامر بهذا الشأن ، ولهذا فلا معدى لى عن أن احكم على الامور بنفسى ، واعتقد أنك سوف لا تعرف بعد الآن شيئاً عما يدور في هذه البلدة ،

واظن انه ما من انسان سيتحدث معك ، ولن تجد احدا يقترب منك ، الا الذين يعيشون على المال .. اى الذين لا يمكنهم أن يعيشوا الا على المال وحده ! وأرى أنك ستكون فى خطر كبير اذا تجردت من الحراسة ، وسوف يسرنى أن تعود الى العاصمة ، لكى تكافأ أيضا على عملك الكبير ! »

— ولكن مكانى هنا ياسيدى ، وقد حددت مركزى ، وكتبت عن كل هذا فى تقريرى !

فاستطرد لانسر يقول وكأنه لم يسمع كلام كوريل : « ان أوردن أكثر من عمدة هنا .. انه الشعب !.. وهو يعرف ما يفعله الشعب وما يفكر فيه ، دون أية حاجة للسؤال عن هذا ، لانه يفكر فيما يفكر فيه هذا الشعب ، ويكفى أن أراقبه لأعرف كل شيء عن الشعب ، ولهذا يجب أن يبقى .. هذا هو رأيى ! »

— ان عملى ياسيدى جدير بما هو خير من الأبعاد — ان هذا صحيح فى الواقع ، ولكنك أصبحت أكثر ضررا للعمل الاكبر ، واذا لم تكن مكروها الآن ، فلن تلبث أن تصبح كذلك ، وستكون أول من يقتل فى أية ثورة صغيرة ، ولهذا اعتقد أننى سأقترح اعادتك الى العاصمة !

فقال كوريل بحدة : « ستسمح لى طبعاً بانتظار الرد على التقرير الذى أرسلته الى العاصمة ؟ »

— سأفعل هذا بطبيعة الحال ، ولكنى سأوصى باعادتك حرصاً على سلامتك . واذا أردت الصراحة يامستر كوريل ، أقول لك انه لم تعد لك قيمة هنا ! ولعله من الخير لك أن ترحل الآن الى بلدة أخرى فى قطر آخر ، وربما أتيج لك هناك أن تتولى السلطة فى بلدة اكبر ، وقد تسند اليك مهمة ادارة مدينة لابلدة ، وتتاح لك مسئولية اكبر ، وسلطة أعظم ، وسوف تتهيأ لك الفرصة لتكسب ثقة جديدة فى ميدان جديد ، وربما تعين على أن أقدم خير توصية بشأنك تقديراً لخدماتك الجليلة التى

أديتها هنا !

وشعت عينا كوريل ببريق الامتنان ، وقال : « شكرا لك ياسيدي ، لقد قمت بمجهود شاق ، وقد تكون على حق في أقوالك ، ولكنني أرجو أن تسمح لي بالبقاء هنا حتى ألتقي ردا من العاصمة ! »

فقال لانسر في حزم وقد ضاقت عيناه واخشوشن صوته : « ضع خوذة على رأسك ، والتزم دارك ، ولا تخرج في الليل . ولعل أهم الأمور جميعها هو أن لا تشرب شيئا من الخمر ، ولا تثق بأية امرأة أو أى رجل . هل فهمت هذا ؟ »

فنظر كوريل الى الكولونيل مشفقا وقال : « لا أخالك تفهم الموقف .. ان لى منزلا صغيرا تخدمنى فيه فتاة قروية لطيفة ، أعتقد أنها تكن لى شيئا من الود . وهؤلاء الناس قوم مسالمون ، وانى لأعرف ذلك ! » .. فقال لانسر : « ليس هناك قوم مسالمون ، فمتى تراك تفهم ذلك ؟ .. ألا تستطيع أن تدرك أن هذا الشعب ليس صديقا لنا ؟ ! .. اننا غزونا هذه البلاد ، وقد هيات لنا أنت ذلك بما يعتبرونه غنما وخيانة ! » .. واحمر وجه لانسر ، وارتفع صوته وهو يقول : « ألا يمكنك أن تفهم اننا فى حرب مع هذا الشعب ؟ »

فقال كوريل بشيء من الاستخزاء : « لقد هزمناه ! » . واذ ذاك هب الكولونيل واقفا وطوح ذراعيه فى يأس ، فرفع هنتر رأسه عن لوحته ، ووضع يده عليها حتى لا تهتز ، ثم قال : « مهلا ياسيدي ! اننى أحبر الرسم ، ولا أود أن أعيد تحبيره من جديد ! » . فنظر اليه لانسر وقال : « آسف ! » . ثم استطرد وكأنه معلم يلقي درسا على فريق من الطلبة : « ان الهزيمة عرض وقتى لا يدوم ! وقد سبق لنا أن تذوقنا الهزيمة ، وهانذا تجدنا الآن نغزو .. أعنى أن الهزيمة ليست ذات قيمة . ألا تفهم هذا ؟ أتعرف ما يتهامسون به خلف الابواب الموصدة ؟ » .. فقال كوريل : « أو تعرفه أنت ؟ » .

— لا ، ولكنى استطيع التخمين !

فقال كوريل ساخرا : « اترك خائفا ياكولونيل ؟ هل يخاف قائد الاحتلال ؟ » .. وهنا جلس لانسر وهو يقول : « ربما كان الامر كذلك ! » .. ثم اضاف قائلا بشيء من الاشمئزاز : « لقد سئمت اولئك الذين لم يسبق لهم أن اشتركوا في حرب ، ويدعون أنهم يعرفون كل شيء عنها ! » .. وأمسك ذقنه بيده ثم قال : « اننى أتذكر سيدة كانت فى بروكسل .. سيدة ضبيلة الجسم ، متقدمة السن ، ذات وجه صبوح وشعر أبيض .. لم يكن طولها يزيد على متر ونصف المتر .. وكانت لها يدان رقيقتان ، تستطيع أن ترى عروقهما بارزة من تحت جلدهما فى لون يكان يكون أسود ! .. وكانت تغطى رأسها الاشيب بوشاح أسود اللون . وقد اعتادت أن تغنى لنا أناشيدنا القومية فى صوت حلو مرتعش ! » .. وانزل الكولونيل يده من تحت ذقنه ، وخفت صوته وهو يتحدث ، فبدا كما لو كان نائما : « ولم نكن نعلم ان لها ابنا نفذ فيه حكم الاعدام .. وقد اضطرننا فى النهاية الى قتلها رميا بالرصاص ، بعد أن قتلت اثنى عشر جنديا من رجالنا بدبوس طويل من النوع الذى يستخدم فى تثبيت القبعات على الرأس ! وما زلت أحتفظ بهذا الدبوس فى دارى .. انه طويل مدبب السن ، تعلوه حلية تشبه الطائر ، ذات لون أحمر وأزرق »

فقال كوريل : « ولكنكم أعدتموها .. اليس كذلك ؟ »

— أجل .. لقد أعدمناها رميا بالرصاص طبعاً .

فسأله كوريل : « وهل توقفت حوادث الاغتيال بعد

ذلك ؟ »

— لا ، لم تتوقف ، وانما ظلت مستمرة . وعندما انسحبنا عمد الناس الى عزل المتخلفين من جنودنا ، وأحرقوا بعضهم ، وفقاوا أعين آخرين .. بل انهم صلبوا بعضا منهم ! فصاح كوريل بصوت عال : « هذه أشياء ينبغى أن لا تقال

ياسيدى الكولونيل ! «

— بل انها أشياء يجب ذكرها !

— ما كان ينبغي أن تتولى القيادة مادمت خائفا !

فقال لانسر بلطف : « هأنت ذا ترى اننى أعرف كيف أقاتل ، ومادام المرء يعرف ذلك فليس له أن يرتكب أخطاء سخيفة ! »

— هل تتحدث بهذا الاسلوب مع صغار ضباطك ؟

فhez رأسه وقال : « لا ، لانهم لن يصدقوننى ! »

— فلم اذن تحدثنى به ؟

— لان مهمتك قد انتهت يامستر كوريل . وانى لاذكر

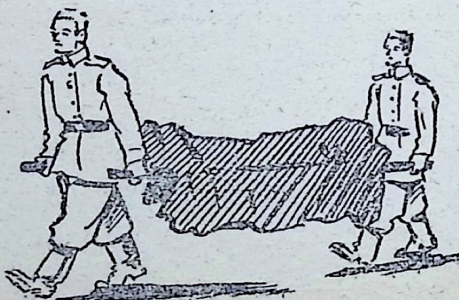
انه حدث ذات مرة أن ...

♦ وقطع عليه حديثه صوت أقدام تصعد السلم بسرعة ، ثم فتح الباب فى عنف ، وظهر حارس ، اندفع من ورائه الكابتن لوفت بوجه مكتئب فى صرامة الرجل العسكرى وقال : « هناك اضطرابات ياسيدى ! »

— اضطرابات ؟ !

— آسف اذ ارانى مضطرا لابلاغكم بأن الكابتن بنتيك قد

قتل !



— آه .. بنتيك !

وسمع صوت وقع أقدام على الدرج ، ثم دخل رجلان يحملان محفة عليها شخص مفطى بالبطاطين ، فقال لانسر : « أمتأكد أنت من أنه مات ؟ »

فأجاب لوفت في جزم : « أجل ياسيدي ، اننى متأكد من ذلك كل التاكيد ! »

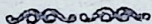
وجاء الضباط الآخرون من غرفة النوم ، وقد ظهرت عليهم آيات الفزع ، ووقفوا مشدوهين ينظرون الى زميلهم المسجى على المحفة وقد فغرو أفواههم . وقال لانسر : « ضعوا المحفة هناك ! » ، وأشار نحو الجدار بجانب النوافذ . وعندما خرج الحمالان — اللذان كانا يرفعان المحفة — ركع لانسر ورفع طرف البطانية ، ولكنه لم يلبث أن رده بسرعة ، وقال وهو لا يزال جاثيا على الارض : « من فعل هذا ؟ »
فقال لوفت : « أحد عمال المناجم »
— ولماذا ؟

— لقد كنت هناك ياسيدي وشاهدت الحادث

— ادل الى بتقريرك اذن ! قل ما رايت ! .. ماذا بك يارجل ؟ .. قل وأسرع .. لعنة الله عليك !

فاستجمع لوفت أنفاسه وقال بلهجة رسمية : « لقد ذهبت لأحل محل الكابتن بنتيك كما أمرنى سيدى الكولونيل ، وعندما أوشك الكابتن بنتيك على الرحيل عائدا الى هنا ، لاقيت بعض المتاعب من عامل عنيد أراد ترك العمل ، وصاح بأقوال معناها أنه رجل حر ، فلما أمرته بمواصلة العمل ، هاجمنى بمعول ، فحاول الكابتن بنتيك التدخل » .. ثم أشار لوفت نحو الجثة ، فأحنى لانسر رأسه ببطء وهو لا يزال جاثيا على ركبتيه ، وقال : « لقد كان بنتيك رجلا غريب الأطوار ، وكان يحب الانجليز وكل مايمت اليهم بصلة ، ولا أعتقد أنه كان يحب القتال ! .. هل قبضت على الجانى ؟ » .. فقال لوفت : « أجل ياسيدي » . واذا

ذاك نهض لانسر في تؤدة ، وقال وكأنه يحدث نفسه : « اذن ،
 فقد تجدد القتال مرة أخرى !.. سنعدم هذا الرجل ، وبهذا
 نخلق لنا عشرين عدوا جديدا !.. انه الشيء الوحيد الذى
 نعرفه .. انها الوسيلة الوحيدة التى نملكها ! »
 فقال براكل : « ماذا قلت ياسيدى ؟ » .. فأجاب لانسر :
 « لاشيء .. لاشيء على الاطلاق . انما كنت أفكر ، وهذا كل
 ما فى الامر ! » .. ثم تحول الى لوقت وقال : « أرجو أن تبلغ
 المدة أوردن تحياتى ، وتطلب اليه أن يأتى لمقابلتى فى الحال
 لامر غاية فى الاهمية »
 ورفع هنتر رأسه ، ثم جفف قلمه بدقة وتؤدة ، ووضع
 فى علبة مكسوة بالمخمل



الفصل الثالث

كان الناس يمشون في شوارع البلدة وعلى ملامحهم
امارات الكآبة والعبوس ، وقد اختفى من أعينهم بعض بريق
الدهشة التي اعترتهم عندما باغتهم العدو بغزو بلدتهم . على
ان لهيب الغضب حل محل الدهشة .. فكان العمال في منجم
الفحم يدفعون العربات امامهم وقد تجهمت أسرارهم ..
بينما وقف صفار التجار وراء مناضد البيع في متاجرهم متأهبين
لخدمة العملاء ، دون أن يسعى اليهم أحد .. كان كل انسان
يفكر في الحرب ، ويفكر في نفسه ، ويفكر في الماضي الذي تغير
فجأة !

وفي قاعة الاستقبال بدار العمدة أوردن ، كاث الانوار
مضاءة ، والنار مشتعلة للتدفئة ، بينما كان الجو في الخارج
مظلماً شيئاً ما ، ومثقلاً بالرطوبة . وكانت القاعة نفسها قد
تعرضت لبعض التغير ، فاذا المقاعد المكسوة بالقماش المزركش
قد دفعت الى الوراء - لصق الجدران - وأزيحت الموائد
الصغيرة من وسط الغرفة .. وعند الباب ظهر جوزيف وآنى
وهما يناضلان في ادخال مائدة كبيرة مربعة ، أمالاها على أحد
جوانبها .. وكان جوزيف قد دخل القاعة ، بينما ظلت آنى -
بوجهها الاحمر - خارجها .. وأخذ جوزيف يحاول جاهداً أن
يدخل سيقان المائدة خلال الباب

وكانت آنى غاضبة .. بل انها كانت تبدو على الدوام
غاضبة ، فلم يتحسن طبعها برغم وجود الجنود ، واحتلال
البلدة .. فان هذا المظهر - الذي ظل أعواماً يعد من العيوب
والنقائص - أصبح الآن عاطفة وطنية ، أكسبت آنى بعض
الشهرة في الناحية القومية ، لاسيما بعد أن قذفت جنود
الاحتلال بالماء الساخن . وكانت في الواقع خليقة بان تلقى بهذا

الماء الساخن في وجه اى شخص يقترب من مطبخها - في الاوقات العادية - ولكنها مع هذا أصبحت بظلة ! ولما كان الغضب بداية نجاحها ، فقد مضت تزيد من مظاهر غضبها ، حتى أصبح هذا الغضب طابعها الدائم . وبهذا أخذت تخرج من نجاح لتدخل في آخر . وقال جوزيف عندما حشرت المائدة في المدخل : « لاتدفعى .. تمهلى قليلا ! »

- اننى متمهلة !

وترك جوزيف المائدة ووقف بعيدا يدرس وضعها ، بينما وقفت انى مكتوفة اليدين تنظر اليه في غضب . ثم أمسك جوزيف بساق المائدة وقال : « لاتدفعيها ! .. لاتدفعيها بشدة » . وبشيء من الجهد تمكن بمفرده من ادخال المائدة ، فتبعته انى مكتوفة الذراعين ، حتى اذا صارت المائدة في داخل الغرفة ، طلب الى انى أن تساعد في اقامتها على سيقانها ونقلها الى منتصف القاعة ، فقالت انى : « لو أن صاحب السعادة العمدة لم يأمرنى لما فعلت ما فعلت الآن ! اى حق لهم في نقل الموائد ؟ » . فقال جوزيف : « وبأى حق جاءوا الى هنا ؟ »
- لاحق لهم على الاطلاق !

- أجل ، لاحق لهم ، ولكنهم يفعلون هذا بفضل مدافعهم ومظلاتهم يا أنى !

- ليس لهم أى حق في كل هذا . ولكن ماذا يريدون مع هذا من نقل مائدة الى هنا ؟ .. ان هذه ليست قاعة طعام !
ونقل جوزيف مقعدا الى جوار المائدة ، ثم وضعه بدقة كبيرة في الوضع المناسب ، وقال : « انهم سيعقدون محاكمة ، وسيحاكمون الكسندر موردين »

- زوج مولى موردين ؟

- أجل ، زوج مولى موردين !

- ألانه ضرب ذلك المخلوق بالمعول ؟

- أجل !

— ولكنه رجل لطيف ، ولا حق لهم في محاكمته ! .. لقد
أهدى مولى ثوبا جميلا أحمر اللون في عيد ميلادها . قل لي ،
بأى حق يحاكمون الكسندر ؟

— لأنه قتل ذلك الشخص

— وهب أنه فعل ذلك ، فأى وزر في الأمر ؟ .. لقد كان
ذلك المتخوف يصدر الأوامر للكسندر بأن يعمل هذا وذلك .
والكسندر لا يحب أن يتلقى أوامر من أحد .. فقد كان يوما ما
« شيخ » البلدة ، وكذلك كان والده ! .. وان مولى موردين
لتجيد صنع الفطائر اللذيذة ، وان كانت حلاوتها تزيد على
المألوف ! .. وماذا تراهم سيفعلون بالكسندر ؟

— سيعدمونه رميا بالرصاص !

— انهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك !

— احضرى المقاعد يا آنى . ان فى امكانهم أن يفعلوا ذلك ،
وسيفعلونه !

فلوحت آنى بأصبعها فى وجهه بعنف وهى تقول فى غضبه:
« تذكر كلمتى هذه ! ان الناس لن يرضوا بأن يصاب الكسندر
بأذى ، لانهم يحبون الكسندر ! هل سبق له أن مس احدا
بأذى ؟ .. اجب عن هذا ! »

— لا ، لم سبق له أن فعل شيئا كهذا !

— اذن فالأمر واضح .. واذا هم قتلوا الكسندر ،
فسوف يجن الناس ، وسأجن انا أيضا ، ولن أوافق على هذا ،
ولن أحتمله !

— وماذا ستفعلين ؟

— ماذا ؟ سأقتل بعضهم بنفسى !

— وعندئذ يعدمونك !

— ليفعلوا ذلك ! .. اسمع يا جوزيف ، ان الامور قد تتطور
وتذهب الى مدى بعيد .. ألا يكفيهم أن يذرعوا الشوارع فى
جميع ساعات الليل وهم يقتلون الناس ؟ !

ووضع جوزيف مقعدا عند رأس المائدة ، ثم تغيرت حاله فجأة ، فبدا كمن يضرر سرا خطيرا .. اذ نادى آنى بصوت يقرب من الهمس ، فترشت قليلا وقد أوجست من لهجته ، ثم أقتربت ، فسألها : « هل تصونين سرا ؟ » .. فحدجته بشيء من العجب ، اذ انها ما عرفته يوما يحتفظ بسر ، وقالت : « أجل . فما هو هذا السر ؟ »

- لقد هرب وليم ديل ووالتر دوجل في الليلة الماضية !

- هربا ؟ الى أين ؟

- سافرا الى انجلترا في سفينة !

وزفرت آنى بسرور وسألته : « وهل يعرف الجميع هذا ؟ »

- لا ، ليس كل الناس .. أو على الاصح الجميع يعرفونه

مامدا ... وأشار بأصبعه الى الطابق العلوى ، فقالت آنى :



« ومتى سافرا ؟ ولماذا لم اسمع انا عن هذا ؟ »

- لقد كنت مشغولة .. هل تعرفين ذلك الشخص : كوريل ؟

- أجل ..

فاقترب منها جوزيف وقال : « ما اظنه سيعيش طويلا ! »

- ماذا تعنى ؟

— الجميع يقولون ذلك !

فتنهدت آنى مغتبطة وقالت : « آه .. ها ! » .. ومالبث جوزيف أن عاد يقول مبدئياً رايه : « ان الناس اخذوا يتقاربون فهم لا يقبلون الهزيمة ، وسوف تقع أمور .. فافتحى عينيك يا آنى ، اذ انك لن تلبثى أن تجدى امورا كثيرة فى وسعك أن تؤديها ! »

— وما موقف سعادة العمدة ؟ ماذا تراه فاعلا ؟

— لا احد يعرف ، فهو لا يقول شيئاً

— لا يمكن أن يكون مناهضاً لنا !

— انه لم يقل شيئاً من هذا

ودار مقبض الباب القائم الى اليسار ، ثم انفتح الباب ودخل العمدة أوردن وهو يسير بتؤدة ، وقد ظهرت عليه علامات التعب وكبر السن . ودخل وراءه الدكتور وينتر ، فقال أوردن : « هذا تنظيم حسن يا جوزيف .. اشكرك يا آنى .. ان المنظر عامة يبدو على خير مايرام ! » .. وخرج الخادمان حتى اذا أصبحا خارج الفرفة ، استدار جوزيف ونظر خلال بابها برهة قبل ان يفلقه .

* * *

♦ وسار العمدة أوردن الى المدفأة ، فوقف وظهره اليها ، بينما سحب الدكتور وينتر المقعد الموضوع عند رأس المائدة وجلس عليه . ومالبث أوردن أن قال : « لست أدري الى متى يطول بقائى فى هذا المنصب ؟ .. ان الشعب لا يثق بى تماماً .. وهذه أيضاً حال العدو . ولست أدري ان كان فى هذا أى خير ! » .. فقال وينتر : « ولا أنا أدري . ولكنك تثق بنفسك .. أليس كذلك ؟ .. انك لا تشمر بأى قلق ازاء مسلكك ؟ ! »

— فائق ؟ لا . اننى العمدة ، ولكنى مع هذا لا أفهم أمور عديدة .. فلست أعرف مثلاً لماذا يعقدون المحاكمة هنا ؟ .. أنهم سيحاكمون الكسندر موردن هنا بتهمة القتل .. هل

تذكر موردن ؟ .. انه زوج تلك الفتاة الرقيقة مولى !
 - اننى اذكرها ، فهى الفتاة التى كانت تتولى تدريس
 قواعد اللغة فى المدرسة . أجل اننى اذكرها جيدا ، فهى جميلة
 وتكره أن تضع « النظارة » على عينيها حينما تضطر الى
 استعمالها ! .. أظن أن الكسندر قتل ضابطا .. حسنا ،
 ولكنهم لم يجرؤا أى تحقيق معه !

فقال أوردن بمرارة : « لم يحقق معه أحد . ولكن لماذا
 يحاكمونه ؟ لماذا لم يعدموه رميا بالرصاص ؟ انها ليست مسألة
 شك أو يقين ، ولا ظلم أو عدل .. لا ، ليس الامر كذلك هنا ،
 فلماذا يصرون على أن يحاكموه ، وأن يحاكموه هنا فى دارى
 بالذات ؟ »

- أظن أن الغرض هو المظهر فقط ، واعتقد أن لهم هدفا
 من وراء ذلك . انك اذا بحثت فى الموضوع من الناحية الشكلية
 عرفت السر .. والناس يقنعون أحيانا بالشكليات . لقد كان
 لدينا جيش - أعنى جنودا مزودين بالبنادق - ولكنه لم يكن
 جيشا بالمعنى الحقيقى ، وانما كان مظهرا للجيش .. وكذلك
 سيقوم الفزاة محاكمة على أمل أن يقنعوا الناس بأنهم أمناء
 على العدالة .. وانك لتعلم أن الكسندر قتل الكابتن !

- أجل .. اننى أعرف ذلك

فاستطرد الدكتور وينتر قائلا : « فاذا تم ذلك فى منزلك
 الذى ينتظر الناس منه العدالة .. »

وقطع حديثه ، اذ فتح الباب القائم الى اليمين ، وولجت
 سيدة شابة فى نحو الثلاثين من العمر ، جميلة الطلعة ، تمسك
 « نظارة » فى يدها . وكان زيها بسيطا ونظيفا .. أما هى فكانت
 منفعلة ، مهتاجة ، بادرت الى الحديث فى لهجة سريعة ، قائلة :
 « لقد أبلغتنى آنى أن فى استطاعتى الدخول رأسا ياسيدى ! »
 .. فقال العمدة : « لا بد أنك مولى موردن ؟ »

- أجل ياسيدى ، أنا مولى . انهم يقولون ان الكسندر

سيحاكم ويعدم !
 فأخنى « أوردن » رأسه ، وثبت نظره فى الأرض برهة ،
 بينما تابعت مولى حديثها قائلة : « أنهم يقولون أنك أنت الذى
 سيصدر الحكم عليه ، وأن كلماتك هى التى ستقضى عليه ! » ..
 فأجفل أوردن ، ورفع رأسه قائلا : ما هذا ؟ .. من يقول
 هذا ؟ »

— الناس فى البلدة !
 وانتصبت قامتها ، وهى تتساءل فى رجاء مقترن بالحزم :
 « أنك لن تفعل هذا ! .. أليس كذلك ياسيدى ؟ »
 وقال الدكتور وينتر : « أنه لسر عظيم ! .. أنه سر حير
 الحكام فى جميع ربوع العالم .. ألا وهو : كيف يعرف الناس
 خوافى الأمور .. وهذا ما يحير الفتاة الآن ، كما قيل لى . فقد
 أصبحوا لا يعرفون كيف تتسرب الأنباء برغم الرقابة ، وكيف
 تشق حقائق الأشياء طريقها إلى الناس برغم كل شيء .. أنه
 لسر عظيم فى الواقع ! »

ورفعت الفتاة نظرها وقد بدت مذعورة — اذ ساد الظلام
 القاعة فجأة — وقالت : « انها سحابة .. سحابة تنذر بسقوط
 الجليد ، وإن كان مواعده لا يزال مبكرا » .. فسار الدكتور
 وينتر نحو النافذة ، وتطلع إلى السماء ثم قال : « انها سحابة
 كبيرة ، ولعلها تمر بسلام ! » .. وأضاء العمدة أوردن مصباحا
 كهربائيا ، ولكن ضوءه لم يقو على الظلام ، فاطفأه مرة أخرى
 وقال : « ان الاضاءة فى النهار تشيع الوحشة ! »

واقتربت مولى منه وقالت : « ان الكسندر لم يقصد
 اغتيال ذلك الرجل ، وإنما هو شخص حاد الطباع فقط ، ومع
 هذا لم يسبق له أن خرق القانون . أنه رجل محترم ! » ..
 فألقى أوردن يده على كتفها وقال : « اننى عرفت الكسندر
 منذ كان صبيا صغيرا ، وكنت أعرف والده و جدّه ، فقد
 كان جدّه يصيد الدببة فى الزمن الغابر . هل تعرفين ذلك ؟ »
 فتجاهلت مولى سؤاله هذا وقالت : « اذن فأنت لن تحكم

على الكسندر ؟ »

— لا . كيف أستطيع الحكم عليه ؟ !

— ان الناس يقولون أنك ستفعل هذا لمصلحة الامن !
فوقف اوردن خلف أحد المقاعد وأمسك ظهره بيديه وقال:

« هل يرغب الناس في الامن يامولى ؟ »

— لست أعلم . . . انهم يريدون الحرية !

— حسنا ، وهل يعرفون كيف يصلون اليها ؟ .. هل يعرفون الوسيلة التى يستخدمونها ضد عدو مسلح ؟

— لا . لا أعتقد هذا !

— انك فتاة ذكية يامولى . اتعرفين ذلك ؟

— لا ياسيدى ، ولكننى أعتقد أن الناس يشعرون بانهم سيطلبون على أمرهم اذا ظلوا متراخين ، وهم يريدون أن يظهروا لهؤلاء الجنود انهم لا يطلبون على أمرهم !

وقال الدكتور وينتر : « ان الفرصة لم تسنح لهم كى يقاتلوا .. وما كان قتالا أن يقفوا أمام المدافع الرشاشة » ،
بينما قال اوردن : « عندما يتاح لك أن تعرفى ما يريدون عمله ، فهل تخبرينى به يامولى ؟ » .. فتطلعت اليه الفتاة مرتابة ،
وقالت : « نعم ! »

— بل أنت تعنين لا .. لانك لا تثقين بى !

— ولكن ما الذى سيحدث لالكسندر ؟

— لن أحكم عليه ، لانه لم يرتكب جريمة ضد شعبنا !

وظهر التردد على مولى ، ثم قالت : « هل .. هل سيقتلون الكسندر ؟ » .. فرمقها اوردن متأثرا وقال : « ياطفتى العزيزة !
يا لك من طفلة ! » .. فشدت قامتها منتصبه وقالت : « شكرا » ..
واقترب اوردن منها ، فقالت فى ضعف : « لاتمسنى .. أرجوك ، لاتلمسنى ! » .. فسقطت يده الى جواره

ووقفت الفتاة برهة جامدة كالتمثال ، ثم استدارت بعنف واتجهت نحو الباب وخرجت . وما أن أغلقت الباب ، حتى

فتح ثمانية ، وأقبل جوزيف قائلا : « معذرة ياسيدى .. ان الكولونيل يريد أن يقابلك . لقد قلت له انك مشغول ، لاننى عرفت انها كانت هنا .. وسيدتى أيضا تريد مقابلتك »

— فلتدخل زوجتى

فخرج جوزيف . وأقبلت زوجة العمدة على الفور وأنشأت تقول : « اننى لا أعرف كيف سأدير البيت ، فان فيه عددا من الناس فوق ما يحتمل ، و آنى تبدو غاضبة طول الوقت » .. ولكن أوردن هتف بها : « صه ! » ، فتطلعت اليه فى دهشة وقالت : « لا أعرف ماذا ... »

— صه ! أريد منك ياسارة ان تذهبي الى دار الكسندر موردن .. هل تفهمين ؟ .. أريد منك أن تبقى مع مولى موردن طالما كانت بحاجة اليك .. لاتحدثي ، وانما ابقى معها فقط ! فقالت الزوجة : « ان لدى مئات من المهام .. »

— بل أريد منك ياسارة أن تبقى مع مولى موردن ولا تتركها بمفردها .. واذهبي الآن ! وبدأت تفهم الموقف ، فقالت : « حسنا .. أجل ، سأذهب .. متى ستنتهى هذه المسألة ؟ »

— لا أعلم ، وسوف أرسل لك آنى عندما يحين الوقت فطبعت على خده قبلة وخرجت . واذ ذاك مشى أوردن الى الباب ونادى جوزيف ، وقال له : « انى مستعد الآن لمقابلة الكولونيل »

* * *

♦ وأقبل لانسر وقد ارتدى زيا جديدا ، وتدلّت من حزامه مدية صغيرة مزدانة بالنقوش . وعندما رأى أوردن قال : « صباح الخير ياسيدى . هل يمكننى أن اتحدث اليك حديثا غير رسمى ؟ » .. ووجه نظره نحو الدكتور وينتر ثم أضاف : « اننى أود أن أتحدث معك على انفراد »

فسار وينتر متجها نحو الباب ، فما أن بلغه ، حتى ناداه
أوردن وقال له : « هل ستحضر هذا المساء ؟ »
- وهل لديك عمل لى ؟
- لا ، لا . . انما أود أن لا أكون وحيدا !
- اذن فسأحضر !

- بهذه المناسبة يادكتور . . هل تظن أن مولى بخير ؟
- أعتقد ذلك ، وأن كانت حالتها قريبة من « الهستيريا » ،
ولكنها من سلالة قوية ، إذ أنها تنحدر من أسرة كندرلى كما
تعرف
- آه . لقد نسيت ذلك . أجل ، انها من صلب كندرلى ،
اليس كذلك ؟

وخرج الدكتور وينتر وأغلق الباب وراءه بلطف . وكان
لانسر يقف متريثا فى أدب ، ثم أخذ يراقب الباب وهو يفلق ،
والقى نظرة على المائدة والمقاعد المحيطة بها ، وقال : « لا أستطيع
ياسيدى أن أبلغك مدى أسفى لهذا الامر ، وكنت أتمنى أن
لا يحدث » . فانحنى أوردن ، بينما استأنف لانسر حديثه
قائلا : « اننى أحبك ياسيدى وأحترمك ، ولكن لدى مهمة
لا بد من أن أؤديها ، وأنت بالتأكيد تقدر ذلك »

ولم يجب أوردن ، وانما أخذ ينظر الى عيني لانسر
ويتفحصهما . واستطرد هذا قائلا : « اننا لا نعمل من تلقاء
أنفسنا ! » . . وكان لانسر يتوقف بين كل عبارة مترقبا ردا ،
ولكنه لم يظفر بهذا الرد ، فاسترسل يقول : « ان هناك نظما
وضعت لنا ، ويتعين علينا اتباعها . انها نظما وضعت فى
العاصمة . . انك لتعرف أن هذا الرجل قتل ضابطا »

وأخيرا جاء رد أوردن ، إذ قال : « فلماذا لم تعدموه إذ
ذاك . . لقد كان الوقت مناسباً لذلك ! » . . فهز لانسر رأسه
وقال : « لن يغير من الموقف شيئا ان أوافقك على رأيك . .
ولكنك تعرف مثلما أعرف أنا أن المقصود من العقاب هو ردع

الناس ومنعهم عن اقتراح جرائم أخرى . وما دام القرض من العقوبة هو زجر الآخرين ، لذلك يجب ان تكون علنية ، بل يجب أيضا أن تتخذ مظهرا يؤثر على النفوس ! »

ووضع أصبعه في حزامه ، وأخذ يعبث بمديته ، فاستدار اوردن واتجه الى النافذة ، وأخذ يطل منها ، ويتطلع الى السماء المظلمة ، ثم قال : « لسوف يتساقط الجليد الليلة »
- أنت تعلم بامستر اوردن ان اوامرنا قاسية ، لا هوادة فيها ، اذ لا بد لنا من ان نحصل على الفحم ، فاذا لم يحافظ شعبكم على النظام ويخضع للاوامر ، تحتم علينا ان نعيد النظام بالقوة !

واشتد صوته وهو يقول : « سنضطر الى قتل الناس اذا اقتضانا الامر . . فاذا شئت انقاذ شعبك من الاذى ، يجب عليك أن تساعدنا في حفظ الامن ، وقد رأيت حكومتى انه من الحكمة ان تصدر العقوبة من سلطة محلية ، لان هذا يساعد على استقرار الامن ! »

فقال اوردن بصوت خافت : « اذن فالناس يعرفون ! . . ان هذا أيضا سر من الاسرار ! » ، ثم ارتفع صوته قليلا وهو يقول : « اتريدنى على ان أصدر حكما بالاعدام على ألكسندر موردن بعد محاكمته هنا ؟ ! »

- أجل ، وبذلك تحقق دماء كثيرة قد تراق في المستقبل

* * *

♦ واتجه اوردن الى المائدة ، فسحب المقعد الكبير الموضوع عند رأسها وجلس عليه . وظهر فجأة بمظهر القاضى ، بينما كان لانسر يقف أمامه وكأنه المتهم ! وأخذ العمدة ينقر على المائدة بأصابعه وهو يقول : « انك وحكومتك لا تفهمان الناس . . ان حكومتك وشعبك هما الوحيدان في العالم اللذان ظلا قرونا يمنيان بهزيمة بعد أخرى ، لانكم لا تفهمون الناس ! »
.. وتريث اوردن قليلا ثم تابع كلامه قائلا :

- ان هذا المبدأ الذي تشير به ليس عمليا ، لاني (اولا)
عممة ، فليس من حقى ان اصدر حكما بالاعدام ، وليس بين
هذا الشعب من له هذا الحق ، ولو اننى اصدرت حكما بالاعدام
لخرقت القانون كما تخرقه انت !

- اخرق القانون ؟

- انكم قتلتم ستة اشخاص عندما جئتم الى هنا ، وقانونكم
يدينكم جميعا بالقتل ! .. ولكن لماذا ندخل فى حديث سخيف
عن القانون يا كولونيل ؟ .. ليس هناك قانون بيننا وبينكم !
انها الحرب ! ألا تعلم انكم ستضطرون الى قتلنا جميعا ،
والا قتلناكم نحن فى الوقت المناسب ؟ ! .. انكم قضيتم على
القانون بدخولكم بلدتنا .. وقد حل محله الآن قانون آخر ..
ألا تعرف ذلك ؟

فقال لانسر : « اتسمح لى بالجلوس ؟ »

- ولماذا تسالنى ؟ .. انها اكذوبة أخرى .. ففى امكانك
ان تجعلنى انهض عن هذا المقعد ، اذا انت شئت !
- لا .. اننى فى الواقع ، سواء صدقت ذلك او لم تصدقه ،
احترمك واحترم منصبك !

ووضع جبينه على يده برهة ثم قال : « ها انت ذا ترى
نوع تفكيرى .. اننى ياسيدى شخص فى سن معينة ، وله
ذكريات معينة ، ولكن تفكيرى هذا ليس ذا قيمة . ربما اتفقت
معك فى الراى ، ولكن هذا لايفير من الامر شيئا . ان للطراز
العسكرى والسياسى الذى اعمل به اتجاهات وقواعد لا تتغير ! »
- وقد ثبت خطأ هذه الاتجاهات والقواعد فى كل حالة
فردية منذ بدء الخليقة !

فضحك لانسر بمرارة وقال : « اننى كفرد لى ذكريات معينة
.. فقد اتفق معك فى الراى ، بل قد اضيف الى راىك هذا
القول : ان أحد اتجاهات العقلية والطراز العسكرىين هو انعدام
القدرة على التعلم ، والعجز عن ادراك شىء غير القتل .. فهذه

مهمة العقلية العسكرية .. ولكنى لست عبدا للذكريات ! ..
يجب اعدام عامل المنجم علنا ، لان النظرية تقضى بأن الآخرين
سيكفون عندئذ عن قتل جنودنا ؟ »

فقال أوردن : « اذن ، فليست بنا حاجة الى مزيد من
الحديث فى هذا الامر »

- لا ، بل يجب أن نتكلم .. اننا نريد منك أن تساعدنا ..
فجلس أوردن فى هدوء ، وأخلد الى الصمت برهة ، ثم
قال : « سأصارك بما سوف أفعله .. كم جنديا كانوا
يطلقون المدافع الرشاشة التى قتلت جنودنا ؟ »

- لم يكونوا أكثر من عشرين على ما أظن !
- حسنا ، اذا أنت أعدمتهم ، فأننى سأحكم على موردن !
- ما أظنك جادا فى ذلك ؟ !

- بل اننى جاد كل الجاد !
- هذا ما لا يمكن عمله كما تعلم ..

- اننى أعرف ذلك ، ولكن ما تطلبه منى لا يمكن تنفيذه
فقال لانسر : « اعتقد اننى فهمت الآن ، والظاهر أن كوريل
سيصبح عمدة رغم كل شيء ! » .. ثم رفع رأسه بسرعة وقال :
« هل ستحضر المحاكمة ؟ »

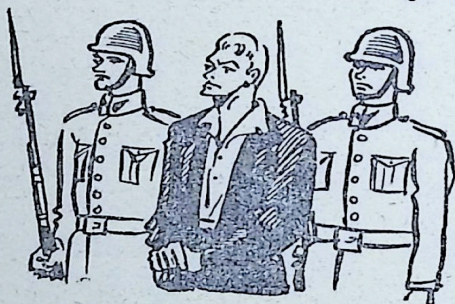
- أجل . أنها المهمة الوحيدة المستحيل أدائها فى هذه
ونظر لانسر اليه فى ابتسامة حزينة وقال : « أرانا قد
أخذنا على عاتقنا مهمة عسيرة .. أليس كذلك ؟ »
- أجل . أنها المهمة الوحيدة المستحيل أدائها فى هذه
الدنيا .. الشيء الوحيد الذى لا يمكن عمله !

- وما هى تلك المهمة ؟
- محاولة القضاء على روح الانسان ومعنوياته الى الابد !
وأحنى أوردن رأسه قليلا على المائدة ، وقال دون أن يرفع
بصره : « لقد بدأ الجليد يتساقط دون أن ينتظر هبوط الليل
.. وانى لاحب رائحة الجليد الحلوة الباردة ! »

الفصل الرابع

هـ ما ان حانت الساعة الحادية عشرة حتى كان الجليد يسقط بغزارة وفي ندف كبيرة رخوة ، وتعذرت رؤية السماء تماما . وأخذ الناس يسرعون الخطى وسط الجليد المتساقط . وتكدس الجليد في مداخل الابواب ، وعلى التمثال المقام في الميدان العام ، وعلى الخطوط الحديدية الممتدة من المنجم الى الميناء .. وكذلك تكدس الجليد فأخذت العربات الصغيرة تنزلق عليه وهى تدفع باليد . وخيمت على المدينة ظلمة أشد حلكة من الفيوم نفسها ، وغشيت المدينة كابة شديدة وضيئة اخذت تزداد تأججا واضطراما . ولم يكن الناس يمكثون في الشوارع طويلا ، بل كانوا يدلفون من الابواب ، ثم توصد الابواب خلفهم . وكان يبدو ان ثمة عيونا ترقب مايجرى من وراء الستائر . وعندما كان العسكريون يهرون في الطريق ، أو عندما كانت ((الداورية)) تجتاز الشارع الرئيسى ، كانت العيون التى تنطلع الى تلك ((الداورية)) عيونا باردة غشيتها الكابة والحزن . وكان الناس يؤمّون المتاجر يشترون منها الاشياء الصغيرة اللازمة لفضائهم ، كما كانوا يطلبون السلع فيحصلون عليها ويدفعون ثمنها دون أن يبادلوا البائع تحية الصباح وكانت الانوار مضاءة في غرفة الاستقبال بالقصر الصغير ، وقد اخذت تنعكس على الجليد المتساقط خارج النافذة .. وكانت المحكمة منعقدة ! .. وجلس لانسر على رأس المائدة ، والى يمينه هنتر ، ثم توندر ، وفي الطرف البعيد جلس الكاتبن « لوفت » وأمامه رزمة صغيرة من الاوراق ، بينما جلس العمدة « أوردن » الى يسار الكولونيل فى الناحية المقابلة ، والى جواره براكل .. براكل الذى كان منهمكا فى الكتابة فى دفتر كان أمامه . ووقف الى جوار المائدة حارسان ثبت كل منهما

« سنكيا » فى بندقيته ، ووضع الخوذة على رأسه ، فكانا كتمثالين صغيرين من الخشب .. وكان يقف بينهما « الكس موردن » ، وهو شاب ضخم له جبهة عريضة منخفضة وعينان غائرتان وأنف طويل حاد وذقن تنبىء بقوة العزم وفم عريض ينطق بالشهوة .. وكان عريض المنكبين صغير الردين ، وقد أخذ يقبض يديه - المكبلتين بالحديد والمبسوطتين أمامه - ويبسطهما ، وكان يرتدى بنطلونا أسود وقميصا أزرق فتح صدره ، وسترة سوداء لمعت من كثرة ما ارتداها !



وشرع الكابتن لوفت يقرأ من الورقة التى أمامه : « .. وعندما صدر اليه الامر بالعودة الى العمل ، رفض الاذعان ، فلما تكرر صدور الامر اليه ، هاجم الكابتن لوفت بالمعول الذى كان يحمله ، فتعرض له الكابتن بنتيك بجسمه ... »
وسئل العمدة أوردن ، فلما توقف لوفت عن القراءة ، قال العمدة : « اجلس يا الكس . فليات أحدكما أيها الحارسان بمقعد له » ، فالتفت الحارس وجذب اليه مقعدا دون مناقشة وقال لوفت : « من المعتاد أن يقف السجين »
فأجابه العمدة قائلا : «دعه يجلس ، ولن يعرف هذا الا نحن ، واكتب انه كان واقفا ! »

فقال لوفت : « ليس من المعتاد أن نزور التقارير »
فكرر أوردن قوله : « اجلس يا الكس »

وجلس الشاب الكبير . وراحت يده المصفدتان بالاغلال
تتحركان في قلق في حجره

وبدا لوفت يقول : « ان هذا لمناقض لكل ... »
وقال الكولونيل : « دعه يجلس »

فتنحج الكابتن لوفت ، واستأنف القراءة : « .. وتعرض
له الكابتن بنتيك بجسمه فتلقى ضربة على رأسه هشمت
جمجمته » . ثم أردف لوفت قائلاً : « وقد أرفق بهذا تقرير
طبي . أتريد أن أقرأه ؟ » .. فأجاب لانسر : « لا حاجة بك
لذلك . اسرع على قدر امكانك ! » .. وعاد لوفت الى القراءة :
« .. وقد شهد بهذه الوقائع بعض جنودنا ، وارفقت بهذا
أقوالهم . وان المحكمة العسكرية لتجد السجين مدانا بتهمة
القتل المتعمد ، وتوصي بالحكم عليه بالموت ! » .. وتطلع لوفت
الى الكولونيل وسأله : « أتريد أن أقرأ أقوال الجنود ؟ » ..
فتنهذ لانسر وهو يقول : « كلا » ، ثم التفت الى الكس وقال :
« انك لا تنكر أنك قتلت الكابتن ! »

وابتسم الكس ابتسامة حزينة وقال : « لقد ضربته ،
ولا أعلم انني قتلته ! » .. فقال أوردن : « أحسنت يا الكس ! »
.. وتبادلا النظرات شأن الصديقين !

وقال لوفت : « أتريد القول ان أحدا غيرك قتله ؟ » ..
فأجاب الكس بقوله : « لست أدري ، وانما أنا ضربته ، ثم
ضربني شخص ما ! »

وقال الكولونيل لانسر : « هل لديك ما تقوله في تعليل
الحادث ؟ .. لا أستطيع أن أفكر في شيء قد يغير من الحكم ،
ولكننا على استعداد لأن ننصت اليك ! »

وقال لوفت : « أتشرف بأن أوجه النظر الى انه ما كان يحق
للكولونيل أن يقول هذا ، فان كلامه ينطوي على أن المحكمة

لم تكن نزيهة ! » .. وضحك أوردن ضحكة شاع فيها الجفاء ، فنظر اليه الكولونيل وعلى شفثيه طيف ابتسامة ، وكرر قوله للمتهم : « هل لديك تعليل ؟ »

ورفع الكس يده يريد أن يومئ بها ، فارتفعت معها يده الأخرى . واذ ذاك بدت الحيرة عليه ، فاضطر الى اعادة يديه حيث كانتا في حجره ، وقال : « لقد استبد بي الفصْب عندئذ ، فأنني حاد الطبع .. لقد أمرني بالعمل ، وأنا رجل حر ، فجئن جنونى وضربته . واعتقد أن ضربتى كانت شديدة ، ولم يكن هو الرجل الذى قصده ! » ، ثم أشار الى لوفت وقال : « هذا هو الرجل الذى كنت أريد ضربه ! »

فقال لانسر : « لا يعنيننا من الذى كنت تقصده بضربتك ، فان أى رجل فى محلك كان يفعل ما فعلت . ولكن هل أنت نادم على ما بدر منك ؟ » ، ثم خاطب الجالسين الى المنضدة بقوله : « من الافضل أن يتضمن المحضر أسفه على ما ارتكبت ! » وسأله الكس قائلا : « أسفى ؟ كلا ! لست آسفا ، فقد أمرنى بالذهاب الى العمل .. أمرنى أنا الرجل الحر ! .. لقد كنت شيخا من شيوخ البلد ، وقد أمرنى بالذهاب الى العمل ! »

— وأذا كان الحكم بالأعدام ، أفلا تأسف عندئذ ؟ وطأطأ الكس رأسه ، وحاول جاهدا ان يستوعب الفكرة ، ثم قال : « كلا .. اتعنى أن أرتكب ما ارتكبت مرة أخرى ؟ »

— هذا ما أعنيه !

ففكر الكس مليا ، ثم قال : « كلا ، لا أحسبني آسفا ! » فقال لانسر : « اكتب فى المحضر ان السجين كان غاية فى الندم . ان الحكم ظاهر من تلقاء نفسه ! .. أتفهمنى ؟ » ، ثم التفت الى الكس وهو يقول : « ليس للمحكمة سبيل آخر تسلكه ، وقد تبين للمحكمة أنك مذنب فقضت عليك بالأعدام رميا بالرصاص فى الحال ، ولا أجد ما يدعو لان أطيل عليك عذابك . ائمة شئ نسيته ياكابتن لوفت ؟ »

فقال أوردن : « لقد نسيتني ! » ، ثم نهض ودفع كرسيه الى الوراء وسار الى الكس ، فانتصب الكس واقفا في احترام ، على ما ألف منذ زمن بعيد . وقال العمدة : « أنا العمدة الذي اخترتموه يا الكس ! »

— أعرف هذا يا سيدي

— ان هؤلاء القوم غزاة يا الكس . لقد استولوا على بلادنا بمفاجأتهم لنا ، وبالخدعة والعنف !

فقال الكابتن لوفت : « يجب ان لا يسمح له بأن يقول هذا القول يا سيدي » . فأجابه لانسر : « صه ! من الأفضل أن نسمعه . . أتريد ان يهمس به من خلفنا ؟ »

واستمر أوردن في حديثه كأن أحدا لم يقاطعه : « عندما جاءوا وقعت الحيرة بالشعب ، وبى أنا أيضا . . لم تكن نعلم ماذا نفعل ، واستعصى علينا التفكير ، ثم جاء عمك فكان أول عمل علني . . وكان غضبك الخاص بداية الفضب العام ! . . اننى أعلم مايقال عنى في البلدة من أننى ضالع مع هؤلاء القوم ، وبوسعى ان أكشف للمدة عن الحقيقة ، ولكنك أنت . . أنت ستلقى حتفك ، ولهذا أحب أن تعلم الآن ! »

وطأ الكس رأسه ثم رفعها وقال : « اننى أعلم يا سيدي » . . وهنا قال لانسر ، لأحد ضباطه : « هل فرقة إطلاق النار مستعدة ؟ »

— انها في الخارج يا سيدي

— ومن قائدها ؟

— الملازم توندر يا سيدي

فرفع توندر رأسه وقد بدت الصرامة على وجهه ، وجبس أنفاسه ! . . وقال أوردن في رقة : « هل أنت خائف يا الكس ؟ »

فأجاب الكس قائلا : « أجل يا سيدي »

— لا أستطيع أن أوصيك بأن لا تخاف ، فاننى لو كنت في موضعك لتخفت أنا أيضا ، وكذلك كان يفعل هؤلاء الشبان

.. آلهة الحرب !

وقال لانسر لتوندر : « استدع فرقتك » ، فانتصب توندر واقفا ، وذهب الى الباب ، وقال : « ان الفرقة هنا ياسيدى . ثم فتح الباب على مصراعيه ، فظهر الرجال ذوو الخوذات .. وأذ ذاك قال أوردن : « اذهب يا الكس .. اذهب وانت تعلم ان هؤلاء الرجال لن يجدوا الراحة .. لن يجدوا الراحة قط حتى يرحلوا أو يلقوا حتفهم ! .. لسوف تكون السبب في توحيد صفوف الشعب . انها لحقيقة محزنة ، ولكننى أسوق إليك الخبر على أنه هدية صغيرة أقدمها إليك . ولكن الامر كما أقول .. انهم لن يعرفوا طعم الراحة على الاطلاق ! »

واغمض الكس عينيه بشدة ، فمال أوردن عليه وطبع قبلة على خده ، ثم قال له : « وداعا يا الكس ! »

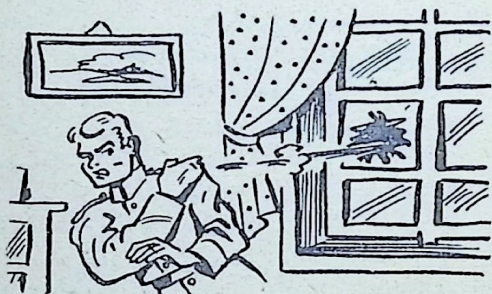
* * *

♦ وأخذ الحارسان بذراع الكس ، فظل الشاب مغمضا عينيه بشدة . ثم قاداه الى الخارج ، واستدارت فرقة اطلاق النار ، وسمعت أصوات أقدامهم تخفت وهى تخرج من المنزل الى الجليد ، ثم ستر الجليد وقع الاقدام . وخيم السكون على الرجال الذين يجلسون خلف المائدة ، ونظر أوردن صوب النافذة فرأى بقعة صغيرة من الارض تنظفها يد سريسة من الجليد . وتفرس فيها وهو شارد اللب ، ثم ما لبث ان حول عينيه عنها ، وقال للكلونيل : « أرجو أن تدرك ما أنت مقدم عليه ! »

وجمع الكابتن لوفت أوراقه ، فسأله لانسر : « هل سينفذ الاعداء فى الميدان يا كابتن ؟ »

— أجل ، فى الميدان ، اذ يجب أن يكون علينا
وقال أوردن : « أرجو أن تكون مدركا ما أنت فاعل » ..
فأجابه الكلونيل : « يا رجل ، سواء اكنا مدركين هذا أم لم
نكن ، فهو واجب لا بد لنا من القيام به »

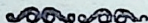
وخيم السكون على الغرفة ، وأخذ كل من فيها يصيح
السمع . ولم يطل الامر بهم ، فقد سرى من بعيد صوت
اطلاق النار . . وزفر لانسر زفرة قوية ، بينما وضع أوردن
يده على جبهته ، وشهق شهقة عميقة . ثم أطلقت طلقة من
الخارج ، فتهدشم زجاج النافذة . ودار براكل حول نفسه
متلما ، ورفع يده الى كتفه وحملق فيها . و هب لانسر واقفا



وهو يصرخ قائلا : « اذن فقد بدأت الحركة ؟ .. هل جرحك
خطير أيها الملازم ؟ » .. فقال براكل : « كنفى ! »
وتولى لانسر القيادة فقال : « ستكون ثمة آثار في الجليد
يا كابتن لوفت ، وأريد ان يفتش كل بيت بحثا عن الاسلحة ،
وأريد ان يؤخذ كل من عنده سلاح كرهينة ! » . ثم التفت
الى العمدة وقال : « أما انت يا سيدي فستوضع تحت
الحراسة ، وأرجوك ان تفهم هذا : سنقتل رميا بالرصاص
خمسة او عشرة او مائة في مقابل كل واحد منا ! » .. فأجابه
أوردن في هدوء : « رجل له ذكريات معينة ! »
وتوقف لانسر في وسط امر كأن يلقيه ، والتفت في تمهل
وبطء الى العمدة . وفي برهة وجيزة فهم كل منهما الآخر .
ثم شد لانسر قامته ، وقال في حدة : « رجل لا ذكريات له ! »

.. وعاد يتابع اوامره قائلاً : « أريد جمع كل سلاح في البلدة .
اقبضوا على كل من يقاوم ، واسرعوا قبل ان تختفى اثار
الاقدام على الجليد »

وتناول أركان الحرب خوداتهم واعدوا مسدساتهم وشرعوا
في الخروج .. وذهب أوردن الى النافذة التي تحطم زجاجها ،
وتمتم في لهجة غلب عليها الحزن والاسى : « رائحة الجليد
جميلة ، عذبة ! »



الفصل الخامس

♦ انقضت الايام والاسباع يأخذ بعضها بخناق البعض ، وكرت الشهور متناقلة .. وكان الجليد يتساقط ويذوب ، ويتساقط ويذوب ، الى أن تساقط وظل على حاله متجمدا ، فاكست مباني البلدة الصغيرة الداكنة بما يشبه الاجراس والقبعات والحواجب من لباس أبيض ناصع .. وكانت ثمة خنادق عبر الجليد تصل الى الأبواب ، اما في الميناء فكانت سفن الفحم تأتي فارغة وتعود مشحونة الوسق ، ولكن الفحم لم يكن يستخرج من الارض بسهولة .. فان المعدنين البارعين كانوا يخطئون ، اذ كانوا لا يتقنون حرفتهم ! أضف الى هذا انهم كانوا يتسمون بالبطء ، وكانت الآلات تكسر وينقضى وقت طويل قبل اصلاحها ! . واستقر قرار أهل البلاد المفزوة على انتقام بطيء ، صامت ، آجل . وتبين الخونة الذين ساعدوا الفزاة - وكثيرون منهم صدروا في المساعدة عن اعتقاد بان الفوز انما هو لتحسين شأنهم ولتحقيق الحياة المثالية لهم ! - ان الخطوة التي خطوها كانت غير مطمئنة ، وان الناس الذين كانوا يعرفونهم ، كانوا ينظرون اليهم ببرود دون ان يوجهوا اليهم حديثا قط !

وكان الموت مخيما على الجو ، يحوم وينتظر . ووقعت الحوادث على خط السكة الحديدية الذي يشق طريقه في الجبال والذي كان يربط البلدة الصغيرة بسائر انحاء الامة . وكثرت الانهيارات على الطرق والخطوط الحديدية ، ولم يكن ثمة قطار يستطيع السير دون التحقق أولا من سلامة الخطوط ، وكان بعض الناس يعدمون انتقاما ولكن هذا لم يكن له أى اثر ! .. وأخذت جماعات من الشباب تهرب وتذهب الى انجلترا بين الحين والحين .. وألقى الانجليز القنابل من الجو على

منجم الفحم ، فأصابوه ببعض التلف، وقتلوا عددا من أصدقائهم وأعدائهم . ولم يأت هذا بنتيجة ، وانما نما الحقد البارد بتقدم الشتاء . . ذلك الحقد الصامت الدفين المتربص ! وكانت المؤن والاطعمة تحت الرقابة ، تمنح للطيع وتمنع عن المتمرّد ، حتى اضطر أهل البلدة جميعا الى أن يكونوا طيعين ، ولكنها كانت طاعة باردة . . الا أنه كانت ثمة حالة لا يمكن فيها منع الطعام ، ذلك أن الرجل الذي يموت جوعا كان ينقص من عدد القادرين على استخراج الفحم ورفع وحمله . وكانت عيون الناس تنطق بالحقد الدفين ، يراها كل من لا يؤخذ بالظواهر !

وهكذا وجد الغازي نفسه محصورا . . فكان رجال الكتيبة معزولين وحدهم بين أعداء صامتين . ولم يكن في استطاعة جندي منهم أن يتهاون في حذره لحظة واحدة ، ولو أنه فعل لاختفى ولألقيت جثته على ركام من الثلج . وإذا ذهب جندي وحده لامرأة ، اختفى وألقيت جثته على ركام من الثلج . . وإذا شرب خمرا اختفى ! . . فلم يعد رجال الكتيبة يفنون الا معا ، ولا يرقصون الا معا . ثم توقف الرقص رويدا رويدا ، وأصبح الفناء ترديدا لعبارات تنطوي على الوحشة الى الديار . . وأخذت أحاديثهم تقتصر على الاصدقاء والاقارب الذين كانوا يحبونهم ، وعلى شوقهم الى الدفء والحب . . فان الرجل لا يستطيع أن يكون جنديا الا لبضع ساعات في اليوم ، أو لبضعة أشهر في السنة ، ثم تلج به الرغبة في أن يعود رجلا ، يطأ النساء والشراب والموسيقى والمرح والراحة ، فإذا منعت عنه كلها استبد به الشوق اليها !

وكانت أفكار الجنود تهفو دائما الى وطنهم ، حتى انتهت الحال برجال الكتيبة الى كراهية البلد الذي غزوه ، فكانوا يعاملون أهل البلدة معاملة جافة ، وكان أهل البلدة يبادلونهم جفاء بجفاء . ودب شيء من الخوف في قلوب الغزاة رويدا . .

خوف لا يمكن أن ينقضى أو يزول .. خوف من أن لا تنتهى هذه الحرب قط ، ومن أنهم لن يستطيعوا أن يستريحوا ويعودوا الى بلادهم .. خوفا من أن تهن عزيمتهم يوما فيصيدهم أهل البلدة من الجبال ، كأنهم الارانب ! ذلك أن القوم الذين قهرت بلادهم لم يخفقوا من غلواء حقدهم للفزاة قط ، فكانت الداوريات ترى الاضواء ، وتسمع الضحك ، فتجذب اليه - شأن الفراش تجذبه النار - ولكن ما أن يقترب أفرادها ، حتى يكف الناس عن الضحك ، ويذهب الدفء ، ويعود الناس الى برودهم وطاعتهم ! .. وكان الجنود يشمون رائحة الطعام الساخن تفوح من المطاعم الصغيرة ، فيدخلون ويطلبون الطعام الساخن ، ولكنهم يجدونه وقد زاد ملحه أو زاد فلفله !

ثم قرأ الجنود الانباء الواردة من بلادهم ، ومن البلاد الاخرى التى غزتها أمتهم . وكانت الانباء طيبة دائما ، وقد صدقوها برهة من الزمن ، ولكنهم لم يلبثوا أن فقدوا الثقة فيها ! .. وامتلأ قلب كل منهم رعبا ، وراح يقول لنفسه : « لو انهارت بلادنا وهزمت ، فلن ينبئنا أحد فى الوقت المناسب ، ويسبق السيف العزل . واذا ذاك لن يرحمنا هؤلاء القوم ، بل انهم سيفتكون بنا جميعا ! » .. وتذكروا قصص رجالهم فى تراجعهم من بلجيكا وفى تراجعهم من روسيا . وكان أكثرهم علما يذكرون التفهقر الجنونى الملىء بالمأسى .. التفهقر من موسكو ، حيث ذاق مدرة كل فلاح روسى دماء الفزاة ، وحيث شوهت الجثث صفحة الجليد البىضاء !

وكانوا يعلمون أنهم اذا وهنت منهم العزيمة ، أو خف حذرهم وحرصهم ، أو ناموا أكثر مما يجب عليهم النوم ، للاقوا فى هذه البلدة نفس المصير الذى لاقاه رفاقهم هناك من قبل . وشاب نومهم القلق ، وقضوا أيامهم وقد توترت أعصابهم . وكانوا يوجهون الاسئلة فلا يستطيع ضباطهم الاجابة عليها ، لانهم لم يكونوا يعرفون الجواب .. فقد كانوا هم الآخرون يجهلون ،

شأنهم شأن جنودهم .. ولم يكونوا هم كذلك يصدقون الانباء الواردة من الوطن !

وهكذا دب الخوف في قلوب الغزاة ممن غزوهم! .. وتوترت أعصابهم حتى أنهم كانوا يطلقون النار على الاشباح ليلا ! وكانوا يحسبون دائما ذلك الصمت البارد الكئيب . ثم جن ثلاثة جنود في أسبوع ، وأخذوا يبكون ليل نهار حتى أعادوهم الى ديارهم . ولعل غيرهم كان موشكا أن يجن أيضا ، لولا أنهم سمعوا ان الموت ينتظر المجانين في الوطن .. فقد كانوا يقتلون رحمة بهم .. والموت أقطع من أن يستطيع الانسان أن يفكر فيه ! .. وغزا الخوف قلوب الرجال في تكتاتهم ، فخلف على وجوههم مسحة من الحزن ، كما دلف الى قلوب رجال الداوريات فملأها قسوة !



♦ وانقضت السنة ، ثم جاء الشتاء ثانية ، وطال الليل ، فأصبح الظلام يحل في الساعة الثالثة بعد الظهر ، ولا يعود الصبح ينبجج الا في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ، ولم تعد الانوار البهجة تتسرب من النوافذ وتنعكس على الجليد .. فقد سن قانون يوجب اظلام النوافذ كلها ، حتى لا ترى قاذفات القنابل المغيرة الضوء . على أن ثمة ضوءا كان يظهر دائما بقرب منجم الفحم ، كلما أقبلت قاذفات القنابل الانجليزية ! .. وكان الحراس يطلقون النار أحيانا على رجل يحمل مصباحا .. بل لقد أطلقوا الرصاص مرة على فتاة تحمل مشعلا كهربائيا ، ولم يكن لهذا من أثر ، فان اطلاق النار لم يكن هو العلاج !

وكان الضباط صوذة طبق الاصل من جنودهم ، الا أنهم كانوا أكثر تحفظا ، لان تدريبهم كان أتم وأوفى ، وكانوا أكثر حيلة من جنودهم ، لان مسؤوليتهم كانت أعظم ، ولكن نفس المخاوف كانت تساورهم .. بل انها كانت تتغلغل في

قلوبهم أكثر من تغفلها في قلوب رجالهم ، وكانوا يشعرون
 بوحشة الى الديار أشد وأقوى ، ولكنهم كانوا يطوون عليها
 جوانحهم ويكتمونها حبيسة في صدورهم !.. وكان العناء
 المنصب على أعصابهم مزدوجا : فقد كان أهل البلاد المقهورة
 يراقبونهم ويحصون عليهم أخطاءهم .. كما كان الجنود الذين
 تحت أمرتهم يراقبونهم ويحصون عليهم مواطن الضعف ، حتى
 لقد غدا توتر أعصابهم يهدد بانهيائهم !.. كان الغزاة في حصار
 ضرب على روحهم المعنوية في غير هوادة ولا رفق ، وكان الكل
 - الغالب والمغلوب - يعلم ما سوف يحدث عندما تبدر أول
 بادرة .

وبدا أن أسباب الراحة التي زودت بها الغرفة العليا في
 قصر العمدة قد اختفت .. اذ وضع الورق الاسود على النوافذ
 باحكام ، وكانت ثمة اكدا س صغيرة من المهمات الثمينة مبعثرة
 في أركان الغرفة - وهي الادوات والمهمات التي لا يمكن تعريضها
 للخطر ، ونظارات الميدان ، والاقنعة والخوذات - فقد كان ثمة
 تخفف من شدة النظام في تلك الغرفة ، وكأن هؤلاء الضباط
 كانوا يعلمون أنه لا بد من شيء من التراخي في مكان ما ، والا
 تطرق الخلل الى جهازهم كله !.. وكان على المنضدة مصباحان
 للدوريات يلقيان ضوءا شديدا متألقا . وقد كان أزيز اشتعالهما
 هو الصوت الوحيد الذي يعكر هدوء الغرفة !

ولم ينقطع الماجور هنتر عن عمله ، بل كانت لوحة رسمه
 مستعدة الآن باستمرار ، اذ كانت القنابل تهدم عمله بالسرعة
 التي يبنيه بها تقريبا . ولم يكن ذلك يحزنه كثيرا ، فقد كان
 البناء للماجور هنتر بمثابة الحياة نفسها ، وقد أتيح له - في هذه
 البلدة وهذه الظروف - من فرص البناء ما كان يفوق سرعته
 في التصميم والانجاز .. وكان يجلس الى لوحة الرسم والضوء
 من خلفه والمسطرة « حرف ت » ترتفع وتنخفض على اللوحة ،
 وقلمه الرصاص لا يكف عن العمل لحظة !

أما الملازم براكل ، فكانت ذراعه لا تزال في جبيرة شدت إلى عنقه . وكان يجلس في مقعده منتصب الظهر ، عند المنضدة الوسطى ، يقرأ صحيفة مصورة . بينما كان الملازم توندر يجلس في طرف المنضدة يكتب خطابا ، ويرفع قلمه عاليا من آن إلى آخر ، ويحدق في السقف كأنه يستلهمه الوحي ويستنجد به فيما يكتب !

وقلب براكل ورقة من الصحيفة المصورة ثم قال : « يمكنني وأنا مغمض العينين أن أرى كل متجر في هذا الشارع » . فاستمر هنتر في عمله ، وكتب توندر بضع كلمات أخرى في خطابه ! .. واسترسل براكل يقول : « ثمة مطعم خلف هذا البيت تماما ، ويمكنك أن تراه في الصورة الماثلة أمامي ، واسمه مطعم بيردن » . فقال هنتر دون أن يرفع نظره عن لوحته : « أعرف هذا المطعم ، وشرائح اللحم التي كانوا يقدمونها جيدة ! » .. بينما قال براكل : « هذا لا شك فيه ، فقد كان كل ما يقدمونه جيدا .. لم يكونوا يقدمون شيئا رديئا قط ، أما قهوتهم .. » ورفع توندر رأسه عن الخطاب الذي كان معنيا بكتابته وقال : « (لن يقدموا القهوة الآن .. ولا شرائح اللحم !) » . فقال براكل : « لا علم لي بشيء من هذا . فلقد كانوا يقدمون الشرائح والقهوة .. وسوف يستمرون في تقديمها ! .. وكانت ثمة خادما في هذا المطعم » . ثم أخذ يصف شكلها مستعينا بيده - يده السليمة ! - وأردف يقول : « شقراء تقريبا » ، ثم نظر إلى المجلة : « كان لها ، أقصد ما زال لها أعجب عينيْن ، فهما دائما منديتان وكان صاحبتهما كانت تضحك أو تبكي لتوها ! » . ثم حلق في السقف وقال في رفق : « لقد خرجت معها ، وكانت فاتنة .. انني أسائل نفسي : لماذا لم أتردد على المحل أكثر مما فعلت . ترى أما زالت موجودة ؟ »

وقال توندر في لهجة سادتها الكآبة : « ربما لا ، ولعلها تعمل الآن في مصنع ! » .. فضحك براكل وهو يقول : « أرجو

أن لا يكون توزيع الفتيات قد أصبح خاضعا لنظام البطاقات في بلادنا ! » . فعقب توندر قائلا : « ولم لا ؟ » . فقال براكل يداعبه : « انك لاتأبه كثيرا للفتيات ، أم تراك تأبه لهن ؟ .. انك لا تعبأ بهن كثيرا ! » .. وأجابه توندر قائلا : « اننى أودهن لما خلقن من أجله ، ولا ادعهن ينلن من حياتى الاخرى ! » .. فقال براكل مداعبا : « يبدو لى أنهن يتسللن الى جميع نواحي حياتك طيلة الوقت ! »

وحاول توندر أن يغير مجرى الحديث ، فقال : « اننى اكره هذه المصاييح الملعونة .. متى ستصلح ذلك المولد الكهربائى يماجور ؟ » . فرفع الماجور هنتر بصره ببطء عن لوحته وقال : « كان يجب أن يتم الاصلاح الآن ، فقدعهدت به الى بعض البارعين من رجالى ، وسأضعف عدد الحراس على المولد الكهربائى منذ الآن » .. فسأله براكل : « هل قبضت على ذلك الذى حطمه ؟ » وقال هنتر عابسا متجهما : « لقد اشتبهت فى خمسة ، فألقيت القبض عليهم جميعا » .. ثم أردف يقول وقد استغرق فى التفكير : « من السهل تحطيم المولد الكهربائى اذا عرفت السبيل .. أطلق عليه النار وهو كفيل بتدمير نفسه بعد هذا ! » .. ثم قال : « لا بد ان النور سيضاء الآن فى أية لحظة ! »

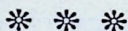
وكان براكل ما يزال ينظر فى مجلته حين قال : « ترى متى يأتون بمن يحل محلنا ؟ .. ترى متى نعود الى الوطن لنقضى فيه فترة من الزمن يا ماجور ؟ .. ألا تحب أن تعود الى الوطن لتأخذ قسطا من الراحة ؟ » .. فرفع هنتر رأسه عن عمله ، ووجهه ينم عن اليأس ، وقال : « أى نعم ! » ، ثم ما لبث أن عاد الى رشده وقال : « لقد أقمت خط التخزين هذا أربع مرات ، ولست أدري لماذا تصيب القنبلة فى كل مرة هذا الخط بالذات ؟ .. لقد بدأ السأم يدركنى من هذا الجزء من الخط الحديدى ، لأننى مكره على تغيير مجراه فى كل مرة بسبب تلك الفجوات ، لا سيما وان الوقت لا يتسع للبئها . ثم ان الارض

شديدة الصلابة من فرط التجمد ، ويسدو أن العمل الذي ينتظرني كثير جدا ! »

وأضئ الأنوار على حين بغتة ، فمد توندر يده آليسا وأطفأ المصباحين ، فتلاشى الأزيز من الغرفة .. وما لبث توندر أن قال : « خليك بك أن تحمد الله على هذا ، فإن الأزيز كان ينال من أعصابي ، حتى جعلني أظن أن ثمة همسا يدور حولي » ، ثم طوى الخطاب الذي كان يكتبه وقال : من العجيب أنه لم تعد تصلنا خطابات ، إذ أنني لم ألتق إلا خطابا واحدا منذ أسبوعين » .. فقال براكل : « لعل أحدا لا يكتب إليك » .

فغضب توندر قائلا : « ربما » ، والتفت إلى المـاجور يقول : « إذا حدث حادث - أقصد في الوطن - فهل تظن أنهم ينقلون إلينا نبأه ؟ .. أقصد أي حادث سييء ، كالوفاة أو ما إليها ؟ » .. فأجاب هتتر بقوله : « لست أدري ! » .. واستطرد توندر قائلا : « حسنا .. لكم أود الرحيل عن هذا الحجر المهجور ! » وقاطعه براكل قائلا : « كنت أظنك تعتزم الإقامة هنا بعد الحرب ! » .. وأخذ يقلد صوت توندر قائلا : « أجمع بين أربع أو خمس مزارع معا ، وأجعل منها مكانا بديعا ، ومقرا لأسرتي » .. ثم التفت إليه متسائلا : « ألم تقل هذا ؟ .. كنت تريد أن تصبح سيذا صغيرا من سادة الوادي . اليس كذلك ؟ قوم ظرفاء ذوو كياسة ، ومروج جميلة وغزلان وأطفال صفار .. ألم يكن هذا عين ما قلت يا توندر ؟ »

واسترخت يد توندر ، بينما كان براكل يسترسل في حديثه ، ثم أمسك صديغه بين يديه وقال بانفعال : « صه ! لا تتحدث هكذا ! .. هؤلاء القوم ! هؤلاء القوم البشعون ! .. هؤلاء القوم الباردون ! .. أنهم لا ينظرون إليك قط ! » . وتمشت الرعدة في جسمه وهو يستطرد : « أنهم لا يتكلمون قط . ويحبسونك كأنهم موتى .. ويطيعونك دون ما شعور أو روح .. يألهم من فظاع ! .. أما فتياتهم فجامدات كالشج ! »



♦ وسمعت طرقة خفيفة على الباب ، ثم دخل جوزيف وفي يده وعاء مليء بالفحم . وأخذ يتحرك في صمت وسكون في الغرفة ، فوضع الوعاء في رفق على الأرض دون أن يحدث أى ضوضاء ، واستدار وهو لا ينظر الى أحد ، فسار صوب الباب ثانية . واذ ذاك ناداه براكل بصوت عال : « جوزيف ! » ، فالتفت جوزيف دون أن يجيب ودون أن يرفع بصره ، وانحنى انحناء خفيفة . فقال براكل بالصوت العالى نفسه : « هل ثمة نبئذ أو براندى هنا يا جوزيف ؟ » ، فهز جوزيف رأسه . وهنا نهض توندر عن المائدة وقد ارتسمت على وجهه علامات الغضب الشديد ، وصرخ يقول : « أجبني أيها الخنزير ! أجبني بكلمات ! »

ولم يرفع جوزيف بصره ، ولكنه قال بلهجة تجردت من الحياة : « كلا ياسيدى ، كلا ياسيدى ، لا يوجد نبئذ ! » فصاح توندر وهو يتميز غيظا : « ولا براندى ؟ » . . ففض جوزيف بصره ، وعاد يقول بلهجته الخالية من الحياة : « لا يوجد براندى يا سيدى » . . وكان يقف ساكنا تماما !

وسأله توندر : « ماذا تريد ؟ »

— أريد أن انصرف يا سيدى

— اذن اذهب . . لعنة الله عليك !

ودار جوزيف على عقبيه وخرج في سكون من الغرفة ، فأخرج توندر منديلا من جيبه ، وأخذ يمسح وجهه ، بينما رفع هنتر اليه بصره وقال : « ما كان يجب أن تتركه يتقلب عليك بهذه السهولة ! »

وجلس توندر على مقعده ، ووضع يديه على صدغيه ، ثم قال في عبارات متقطعة : « أريد فتاة ! . . أريد المسودة الى الوطن ! . . أريد فتاة . ثمة فتاة في هذه البلدة ، فتاة جميلة ،

أراها في كل وقت .. شعرها أشقر ، وتقيم بجوار محل الحديد الخردة ، أريد تلك الفتاة !» .. فقال براكل : « راقب نفسك ، وراقب أعصابك ! »

وانطفأ الضوء مرة أخرى في تلك اللحظة ، فخيم الظلام على الغرفة . وتحدث هنتر بينما كانت أعواد الثقاب تشعل ، والمحاولات تبذل لاضاءة المصباحين الصغيرين : « ظننت أنني قبضت عليهم جميعا ، ولكن .. لا بد أنه قد فاتني القبض على واحد . بيد أنني لا أستطيع البقاء هناك طول الوقت ولى رجال بارعون يقيمون في ذلك الموضع ! »

وأشعل توندر المصباح الاول ، ثم أشعل المصباح الثانى . وقال هنتر فى لهجة صارمة موجهها كلامه اليه : « كلمنا نحن اذا كان لابد لك من ان تتكلم أيها الملازم ، ولا تدع العدو يسمعك تتحدث بهذا الشكل ، فان أحب شىء الى هؤلاء الناس هو ان يعرفوا ان أعصابك قد بدأت تخونك .. لا تدع العدو يسمعك ! »

وجلس توندر ثانية ، فسقط ضوء المصباح على وجهه . وماذا الازير الغرفة ، فقال : « لقد أصبت ! أن العدو فى كل مكان ! .. كل رجل وكل امرأة ، بل حتى الاطفال ! .. ان العدو فى كل مكان ، تطل عليك وجوههم من الابواب .. ووجوه بيضاء خلف الستائر تصيح السمع ! .. لقد غلبناهم على أمرهم وفزنا فى كل مكان ، وهم ينتظرون ويطيعون .. انهم ينتظرون ! .. نصف العالم ملكنا ، فهل الحال فى الاماكن الاخرى كما هى هنا أيها الماجور ؟ » .. فقال هنتر : « لست أدري ! » وعاد توندر يقول : « أصبت ! فنحن لا ندري ، اذ ان التقارير تقول اننا قابضون على ناصية الحال ، والبلاد التى غزوناها تحبى جنودنا وتحبى النظام الجديد ! » .. وتغير صوته ، وأخذت الرقة تشيع شيئا فشيئا فى حديثه : « وماذا نقول التقارير عنا ؟ أتقول أن الناس هنا يحيوننا ويحبوننا

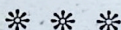
ويلقون بالزهور في طريقنا ؟ .. آه من أولئك القوم البشعيين الذين ينتظروننا في الجليل ! » . فسأله هنتر : « الآن وقد نفثت ما في صدرك ، أنتشر بأنك روحت عن نفسك ؟ »
وكان براكل يربت بخفة على المائدة بقبضته السليمة ، فقال : « يجب ان لا يتحدث هكذا ، بل ينبغي أن يحتفظ بآرائه لنفسه . أليس هو جنديا ؟ اذن يجب أن يسلك مسلك الجنود ! »

وفتح الباب بهدوء ، ثم دخل الكابتن لوفت ، والجليد يغطي خوذته وكتفيه . وكان أنفه قد التهب من البرد ، بينما رفع ياقة معطفه حتى غطت أذنيه . وخلع خوذته فسقط الجليد على الارض ، ثم نفض عن كتفيه ما علق بهما من ثلج ، وقال : « يا لها من مهمة ! »

وسأله هنتر : « هل هناك اضطرابات جديدة ؟ »
— هناك اضطرابات دائما ! .. أرى أنهم قد عطلوا المولد الكهربائي ثانية ، أما المنجم فأظن أنني عملت على اقرار النظام به فترة من الزمن

وسأله هنتر : « وماذا صادفك من المتاعب هناك ؟ »
— نفس المتاعب التي تصادفني عادة .. البطء في العمل ، وتحطيم سيارة نقل . على أنني رأيت الذي خطمها فاطلقت عليه النار . اعتقد أنني وجدت حلا لهذه المشكلة الآن يا ماجور . سأجعل كل رجل يستخرج قدرا معيناً من الفحم . أنني لا أستطيع أن أعاقب الرجال بحرمانهم من القوت والا تفند عليهم العمل ، ولكنني توصلت الى حل فيه العلاج الناجع . اذا امتنع خروج الفحم امتنع أنا عن تزويد العائلات بالطعام . وسنجعل الرجال يأكلون عند المنجم لكي لا يقاسموا أسرهم طعامهم . هذا هو العلاج الشافي ولا شك . فاذا لم يعملوا حرم أطفالهم من الطعام . ولقد قلت لهم هذا لتوى !
— وماذا قالوا ؟

فضاقت عينا لوفت في قسوة وهو يجيبه : « قالوا ؟ .. وماذا يقولون دائما ؟ .. لا شيء ! .. لا شيء البتة ! ولكننا سنرى ما اذا كان الفحم يخرج الآن من باطن الارض ! » .. وخلق معطفه ونفضه . ثم وقع نظره على الباب المفضى من الحديقة الى البهو فوجده منفرجا قليلا ، فتسلل في خفة اليه وفتح فجأة ثم عاد وأغلقه ، وقال : « ظننت أنني أحكمت اغلاق هذا الباب ! » .. فقال هنتر : « أجل .. انك أغلقتة فعلا ! »



هـ وكان براكل ماضيا في تقليب صفحات مجلته المصورة ، فقال وقد عاد صوته طبيعيا كما كان : « اننا نستعمل في الشرق مدافع ضخمة .. ولكنني لم أر مدفعا منها . هل رأيتها أنت يا كابتن ؟ » .. فأجاب الكابتن لوفت : « أجل . بل رأيتها تنطلق . انها لمدهشة ، فلا شيء يستطيع أن يصمد أمامها ! » وقال توندر : « هل تصلك أنباء كثيرة من الوطن يا كابتن ؟ » ، فأجاب لوفت : « تصلني بقدر محدود ! »

— أكل شيء على ما يرام هناك ؟
فقال لوفت : « بل كل شيء رائع ، فالجيش يتقدم في كل مكان ! »

- ألم تقع الهزيمة بعد بالبريطانيين ؟
- انهم يهزمون في كل موقعة !
- ولكنهم ما زالوا يقاتلون ؟
- ان قتالهم لا يعدو أن يكون بضع غارات جوية !
- والروس ؟
- لقد انتهى أمرهم !
- فسأله توندر في أصرار : « ولكنهم ما زالون يقاتلون ؟ »
- ليس أكثر من بعض المناوشات !

فقال توندر : « اذن فقد انتصرنا تقريبا ياكابتن ؟ »
- أجل انتصرنا !

ونظر اليه توندر نظرة الفاحص المدقق وقال : « وانت تصدق هذا .. اليس كذلك يا كابتن ؟ » . فقطع براكل الحديث قائلا : « لا تدعه يبدأ هذا من جديد ! » .. وقال لوفت لتوندر في لهجة تنطوى على اللوم والتعنيف : « لست أدري ماذا تعنى » .. فأجاب توندر بقوله : « أقصد هذا : هل سنعود الى ديارنا قريبا ؟ » .. فقال هنتر : « ان اعادة التنظيم تستغرق بعض الوقت ، ولا يمكن تنفيذ النظام الجديد في يوم .. اليس كذلك ؟ » .. فقال توندر : « بل قد لا يمكن تنفيذه في حياتنا كلها ! » وقال براكل : « لا تدعه يبدأ هذا من جديد ! » .. فسار لوفت حتى اقترب كثيرا من توندر وقال له : « ان لهجتك في السؤال لا تروق لى أيها الملازم ، فلست أستطيع لهجة تنم عن الشك والريبة ! »

فنظر اليه هنتر وقال : « لاتفسو عليه يالوفت ، فهو متعب ، وقد نال الأرهاق منا جميعا »
فأجاب لوفت بقوله : « وأنا أيضا متعب ، ولكننى لا أدع لشكوك الخيانة سبيلا الى نفسى ! » . فقال هنتر : « قلت لك لاتدفعه الى الجنون ! .. هل تعرف اين ذهب الكولونيل ؟ » ، فقال لوفت : « انه يكتب تقريره ، ويطلب النجديات .. انها لمهمة اكبر مما كنا نظن ! » . فتساءل براكل في لهفة : « هل سيفلح في الحصول عليها .. تلك النجديات ؟ »
- وكيف لى أن أعرف ؟

وابتسم توندر قائلا : « النجديات ! » .. ثم أردف يقول في رقة : « أو لعله يطلب من يحل محلنا ، فنستطيع عندئذ العودة الى الوطن وقضاء بعض الوقت فيه » .. ثم قال وما زالت الابتسامة على شفتيه : « ولعلنى أستطيع السير في الشوارع فيرحب بى الناس ويقولون هاكم جنديا ، ويستخفهم الطرب

من أجلى ، وأدخل أنا الفرح والسرور الى قلوبهم .. وسيلتف حولي الاصدقاء ، وسيكون فى استطاعتى أن أدير ظهري لكل شخص دون أن أخشى شيئا ! »

فقال براكل : « لا تبدأ هذا من جديد ! .. لا تدعه يفلت زمام أعصابه ثانية ! » .. وقال لوفت فى اشمئزاز : « كفانا المتاعب التى نلاقيها الآن ، فلا تزيدها بدفع أركان الحرب الى الجنون ! »

ولكن توندر استطرد يقول : « أظن أنه سيأتى من يحل محلنا ياكابتن ؟ »

- ولكنك قلت ان ذلك ممكن !

- قلت اننى لا أعلم !

- لقد غزونا نصف العالم ، ويجب أن نسيطر على النظام فيه فترة من الوقت .. انك تعلم هذا !

فتساءل توندر : « والنصف الآخر ؟ » .. فأجاب لوفت قائلا : « سيقا تل فى استماتة فترة من الزمن »

- **أذن يجب أن ينتشر جنودنا فى أرجاء الأرض كلها !!**

فأجاب لوفت : « لفترة وجيزة من الزمن ! » .. وهنأ قال براكل فى انفعال : « ليتك تحمله على السكوت .. ليتك تستطيع اسكاته . دعه يسكت »

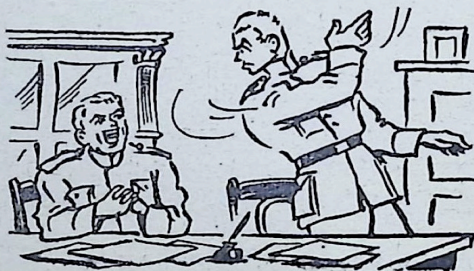
وأخرج توندر منديله وتمخط ، ثم اخذ يتحدث كما يتحدث المخبول ، وضحك ضحكة تنم عن الحيرة والارتباك ، ثم قال : « لقد رأيت حلما عجيبا .. أعتقد أنه كان حلما ، وربما كان فكرة .. أجل ، قد يكون حلما ، وقد يكون فكرة ! » .. فهتف براكل : « أسكته يا كابتن ! » . ولكن توندر قال متسائلا : « هل تم لنا غزو هذه البلاد يا كابتن ؟ » .. فقال لوفت : « طبعا ! »

وشابت ضحكة توندر مسحة من الخبل ، وقال : « غزوناها ونخاف ؟ .. غزوناها ونحن محاصرون ؟ » .. وارتفعت

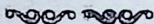
ضحكته مجلجلة وهو يقول : « لقد رأيت حلما ، أو لعله فكرة .. رأيت في مثل ما يرى النائم أننى في ذلك الجليد مع الاشباح السوداء والوجوه التى وراء الابواب .. الوجوه الباردة التى خلف الستائر .. لعله فكرة أو قديكون حلما ! » .. فصرخ براكل : « أسكتوه ! » . ولكن توندر استرسل قائلا : « حلمت بأن الزعيم مجنون ! »

وأطلق لوفت وهنتر ضحكة مشتركة ، وقال لوفت : « لقد تبين الاعداء مدى جنونه .. سأكتب هذا الخبر الى الوطن ، وستنشره الصحف . لقد علم الاعداء مدى جنون الزعيم ! » واستمر توندر في ضحكه وهو يقول : « غزو في أثر غزو ، وتوغل في العسل الاسود ! » ، وغص حلقة بالضحك ، فسعل في منديله وهو يقول : « ربما كان الزعيم مجنونا ، فالذباب يتغلب على ورق صيد الذباب ! .. لقد استولى الذباب على مائتى ميل من ورق صيد الذباب الجديد ! » .. وأخذت الهستيريا تطفئ على ضحكته ، فمال براكل عليه وهزه بيده السليمة قائلا : « كفى ! كفى ! ليس هذا من حقه ! »

وأخذ لوفت يدرك رويدا أن الضحكة باتت لونا من الهياج والخبل ، فاقترب من توندر وصفعه ، ثم قال : « كفى أيها



الملازم ! » . . ولكن توندر مضى في الضحك ، فصفعه ثانية وقال : « كف عن الضحك أيها الملازم ! أتسمعي ؟ »
 وكف توندر عن الضحك ، وسكنت الحركة في الغرفة ، فيما عدا أزيز المصباحين . ونظر توندر في دهشة إلى يده ، وتحسس بها الخدوش التي أصابت وجهه ، ثم عاد ينظر إلى يده . . وطأ برأسه صوب المائدة وهو يقول : « أريد العودة إلى الوطن ! »

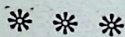


الفصل السادس

♦ كان ثمة شارع صغير قريب من ميدان البلدة، اختلطت فيه البيوت ذات السقوف المحدودة بالمتاجر والحوانيت الصغيرة . وكان الجليد قد أزيل عن الشارع والرصيفين ، ولكنه ظل مكدسا على الاسوار وأسطح البيوت ، وقد أخذت الرياح تدفعه على نوافذ البيوت الصغيرة المغلقة المصاريع . كما شقت الطرق في أفنية البيوت . وكانت الليلة مظلمة باردة ، وقد حجب الضوء حتى لا يتسرب من النوافذ فتراه قاذفات القنابل وتهتدى به .. كما كانت الشوارع مقفرة من المارة ، إذ أن أوامر حظر التجول كانت تنفذ تنفيذا صارما . وبدأت البيوت كأنها كتل سوداء تقوم على الجليد . وأخذت الداورية المؤلفة من ستة رجال تقطع الشارع بين الحين والحين متلصصة ، تختلس النظر ، وقد حمل كل رجل من أفرادها مشعلا كهربائيا طويلا ، فكان لوقع أقدامهم صدى يتردد في الشارع رغم حرصهم ، ولأحذيتهم صريف يسمع على الجليد الجامد .. وكانوا يبدون مجرد أجسام غاصت في المعاطف السمكية ، كما كانت تحت خوذاتهم قلنسوات من الصوف نسجت باليد ، وانسدلت على الأذان ثم انسابت فغطت الذقون والافواه . وسقط في تلك الليلة قليل من الجليد .. مجرد كمية بسيطة ، تناثرت كحبات الارز !

وكان رجال الداورية يتحدثون وهم يسرون .. يتحدثون في أمور طال بهم الشوق إليها ، كاللحم والمرق الساخن ودسم الزبد وجمال الفتيات واشراق ابتساماتهن وشفاههن وعيونهن .. كانوا يتحدثون في هذه الامور ، وكانوا يتكلمون أحيانا عن مقتهم لما كانوا يؤدون من اعمال ، وما كان يكتنفهم من الوحدة ! وكان ثمة منزل صغير محدودب السقف يقع الى جوار

متجر الحديد ، ويشبه المنازل الاخرى ، كما كان يعلوه الجليد مثلها . ولم يكن ينبعث أى ضوء من نوافذه المغلقة ، كما أن ابوابه المتينة ، المنيعه ، كانت مغلقة غلقا محكما .. أما فى الداخل فكان ثمة مصباح مضاء فى غرفة الجلوس الصغيرة . وكان الباب المؤدى الى غرفة النوم مفتوحا ، والباب المؤدى الى المطبخ مفتوحا ، بينما استقرت فى الجدار الخلفى مدفأة من الحديد تشتمل على فحم انبعثت منه نار صغيرة .. وكانت الغرفة دافئة ، بادية الفقر ، ولكنها مريحة ، تغطى أرضيتها سجادة بالية ، ويكسو جدرانها ورق بنى ضارب الى الحمرة ، طبع على زهرة الزنبق العتيقة بلون ذهبى . وعلى الجدار الخلفى كانت ثمة صورتان ، احدهما لسמكة ميتة على طبق من الاعشاب ، والاخرى لطائرميت على فرع من شجر الشربين . اما الجدار الايمن فكان يحمل صورة للسيد المسيح وهو يسير على الامواج صوب الصيادين الذين تملكهم اليأس ! وكان فى الغرفة مقعدان مستقيما الظهر ، وأريكة تغطيها ملاء ناصعة البياض ، بينما استقرت فى وسط الغرفة منضدة مستديرة صغيرة وضع عليها مصباح يشتعل بالكروسين ، عليه مظلة مستديرة رسمت عليها زهور .. وكان الضوء فى الغرفة دافئا ناعما . والى جانب المدفأة ، قام الباب الداخلى الذى كان يفضى من الباب الخارجى المنيح الى الغرفة ، عبر الدهليز !



♦ **وكانت** مولى موردن تجلس وحيدة فى مقعد متأرجح مبطن بالوسائد ، بجوار المنضدة فى الغرفة ، وقد راجت تفك الصوف من صديرية زرقاء قديمة وتلفه على بكرة ، حتى أصبح كرة كبيرة ضخمة . وعلى المنضدة استقر الفزل الذى كانت تنسجه ، وقد غرست فيه الأبرتان ، والى جانبه مقص كبير .. كذلك كانت نظارتها على المنضدة بجوارها ، فلم تكن

بها حاجة اليها في شغلها . وكان شعر مولى الذهبى مرفوعا الى قمة رأسها ، وقد رشقت فيه شريطا بشكل (فيونكة) .. كانت شابة أنيقة جميلة ، ذات خفة وسرعة في فك خيوط الصوف . وكانت ترمق الباب المؤدى الى الدهليز - من حين الى آخر - وهى تشتغل ، بينما مضت الرياح تصفر فى المدخنة صغيرا هادئا لطيفا . بيد أنها كانت ليلة هادئة على وجه عام ، طواها الجليد فى طياته !

وتوقفت مولى فجأة عن عملها ، وسكنت يداها ، ونظرت الى الباب وهى تصيخ السمع ، فاذا بوقع أقدام رجال الداورية يمر بالبيت ، وأصواتهم تصل الى أذنيها خافتة ، ثم ما لبثت ان اضمحلت وتلاشت . وفكت مولى خيوطا جديدة لفتها حول البكرة ، ثم عادت فتوقفت ، اذ سمعت حفيفا عند الباب ثم تلتها ثلاث طرقات قصار . . ووضعت مولى شغلها ، وقصدت الباب ، وقالت : « نعم ؟ »

وأعملت المفتاح فى القفل ، وفتحت الباب ، فدخل الى الداخل شخص تدثر بعباءة ثقيلة . . واذا بها آنى الطاهية . . وكانت حمراء العينين ، وقد التفت بكثير من الوشاحات . ومركت من الباب بسرعة كأنها قد تمرست على المروق من الابواب ، وألفت اغلاقها خلفها . . ووقفت حمراء الانف ، تخن وتتنفس بعناء ، وهى تلقى نظرات سريعة على الغرفة . وما لبثت مولى ان قالت : « طاب مساؤك يا آنى ، لم أكن أتوقع حضورك الليلة . اخلعى ملابسك الخارجية ، وتعالى خذى قسطا من الدفء ، فالطقس بارد فى الخارج ! » . فقالت آنى : « لقد جاء الجنود بالشتاء مبكرا . . كان أبى يقول دائما ان الحرب تأتى معها بالطقس الرديء ، أو ان الطقس الرديء يأتى معه بالحرب ، لا اذكر أيهما ! »

— اخلعى ملابسك الخارجية وتعالى الى المدفأة

فقالت آنى فى لهجة حملتها أهمية ما ستقول : « لا أستطيع

« هذا ، فانهم قادمون » .. وسألتها مولى : « من هم القادمون ؟ » .. فأجابت آنى : « صاحب السعادة والطبيب والاخوان أندرس »

وتساءلت مولى قائلة : « هنا ؟ ولماذا ؟ » .. فمدت آنى إليها يدها ، وقد انقبضت على لفة صغيرة ، وقالت : « اليك هذه ، فقد سرقتها من طبق الكولونيل . انه لحم ! »

ونزعت مولى الغلاف عن قطعة اللحم ووضعتها في فمها ، ثم قالت وهي تلوكلها : « هل تناولت شيئا من هذا اللحم ؟ » .. فأجابت آنى بقولها : « ألس أنا التى أطهيه ؟ اننى أتناول بعض ما أطهى دائما ! »

— ومتى يأتون ؟

فجذبت « آنى » الهواء خلال أنفها « المزكوم » وهي تقول : « ان الاخوين اندرس سيبحران الى انجلترا ، فانهما مكرهان على الرحيل ، وهما مختبئان الآن » .. فتساءلت مولى : « حقا ؟ ولم ؟ »

— لقد قتل أخوهما جاك اليوم جزاء تحطيمه تلك السيارة الصغيرة ، والجنود يبحثون الآن عن بقية أفراد الاسرة .. وأنت تعلمين ما قد يفعلون بهم !

وأجابت مولى قائلة : « أجل ، اننى أعلم ماذا يفعلون .. اجلسى يا آنى ! » .. فقالت الطاهية : « ان وقتى ضيق ، اذ يجب على أن أعود لأطمئن صاحب السعادة الى أن كل شيء بخير هنا ! » .. فسألتها مولى : « هل رآك أحد قادمة ؟ » .. واذا ذلك ابتسمت آنى فى زهو وخيلاء ، وقالت : « كلا ، فاننى أجيد التسلل تماما »

— وكيف سيخرج العمدة ؟

وضحكت آنى وهي تقول : « سيحتل جوزيف فراش العمدة خشية أن يسعوا للتحقق من وجوده .. بل سيرتدى قميص نوم العمدة ، ويتمدد الى جوار السيدة ! » ، ثم أطلقت

ضحكة أخرى وقالت: «يجدر بجوزيف أن يلتزم أقصى درجات السكون في رقاذه !»
وقالت مولى: «انه لمن البلاء الاقلاع في البحر في مثل هذه الليلة !»

— ولكنه أفضل من الاعدام رميا بالرصاص !
— أجل ، انك على حق .. ولماذا يأتي العمدة الى هنا ؟
— لست أدري .. لعله يريد محادثة الاخوين أندرس ! ..
يجب أن أنصرف الآن ، فما جئت الا لأخبرك !
وسألته مولى: «ومتى يأتون ؟» .. فأجابت آنى قائلة:
«بعد نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة .. وسأتى أنا أولا ،
اذ ليس هناك من يهتم بالطاهيات المسنات !» .. ودلفت الى
الباب ثم التفتت في منتصف الطريق ، وكأنها تؤاخذ مولى ،
كما لو كانت هى التى نطقت بالعبرة الاخيرة . وقالت : «لم
تتقدم بى السن الى هذا الحد !» ، ثم انفلتت من الباب وأغلقت
خلفها



♦ واستمرت مولى تشتغل بالأبرة برهة ، ثم نهضت
وزهبت الى الموقد ، فرفعت عنه الغطاء .. وأضاء وهج النار
وجهاها ، بينما حركت الفتاة النار وأضافت اليها بعض قطع
الفحم ثم أغلقت الموقد كما كان . وقبل أن تصل الى مقعدها
سمعت طرقا على الباب الخارجى ، فعبرت الفرفة وقالت
تحدث نفسها: « ترى ماذا نسيت آنى ؟ » . وقطعت الدهليز
وهى تقول : « ماذا تريدن ؟ » .. وأجابها صوت رجل ،
ففتحت الباب ، واذا بها تسمع رجلا يقول : « اننى لا أقصد
بك شرا ، اننى لا أقصد بك شرا » .. فتراجعت مولى الى
الفرفة ، بينما تبعها الملازم توندر . فقالت مولى : « من أنت ؟
وماذا تريد ؟ ليس لك حق الدخول الى هنا . ماذا تريد ؟ »

وكان الملازم توندر يرتدى معطفه الرمادى الكبير . ودخل
الغرفة ، وخلع خوذته ، ثم قال متوسلا : « لا أقصد بك شرا ،
ارجوك السماح لى بالدخول ! » . . . فقالت مولى : « وماذا تبقى ؟ »
.. وأغلقت الباب خلفه ، فقال : « انما أريد ان اتكلم يا آنستى ،
أريد أن أسمعك وانت تتكلمين ، هذا كل ما أبغيه ! » . . . فهبت
مولى تسأله : « أتفرض نفسك على ؟ »
- كلا يا آنستى ، وانما دعينى أبقى برهة ، وسأنصرف
من تلقاء نفسى !

- ما الذى تريده ؟

وحاول توندر أن يشرح لها الامر : « أيمكنك أن تفهمى هذا ؟
أيمكنك أن تؤمنى به ؟ . . . ألا يمكننا أن ننسى هذه الحرب برهة ؟
برهة وجيزة ! . . . ألا يمكننا أن نتحدث كما يتحدث غيرنا من
الناس برهة وجيزة . . . معا ؟ ! »

ونظرت اليه مولى طويلا ، ثم افتر ثغرها عن ابتسامة
وقالت : « انك لا تعرفنى ، أم تراك تعرفنى ؟ » . . . فأجاب :
« لقد شاهدتك فى البلدة ، وأعرف أنك جميلة ، وأعرف اننى
أتوق الى محادثتك ! » . . . فقالت مولى فى لهجة رقيقة ،
والابتسامة ماتزال تداعب شفثيها : « انك لا تعلم من أنا » ، ثم
جلست فى مقعدها بينما وقف توندر كأنه الطفل تبدو عليه
الحيرة والارتباك . وأردفت مولى تقول فى هدوء : « انك تشعر
بالوحدة ، هو هذا . . . أليس كذلك ؟ »

ولحق توندر شفثيه ، واخذ يقول فى جد : « أجل هو هذا . . .
انك تدركين ! كنت أعلم أنك ستدركين ، بل كنت أحس أنك
ستدفعين الى هذا دفعا ! » ، وانطلقت الكلمات من فمه يزاحم
بعضها بعضا : « اننى وحيد حتى لا أشعر بالمرض من الوحدة . . .
اننى وحيد فى هذا الهدوء الشامل وهذا الحقد الجامح ! » . . .
واسترسل فى توسل وابتهاال : « الا نستطيع أن نتحدث برهة
وجيزة ؟ »

والتقطت مولى شغلها ، وألقت نظرة عاجلة على الباب
الامامى ، ثم قالت : « يمكنك أن تبقى ربع ساعة على الأكثر ..
اجلس قليلا أيها الملازم ! » .. وعادت تلقى نظرة أخرى على
الباب ، فصرى الى آذانها صوت صريف بعض أخشاب البيت ،
وأذا بأعصاب توندر تتوتر وهو يسألها : « أوجد أحد في
المنزل ؟ »

— كلا ، ولكن الجليد قد ثقل على السقف ، ولم يعد لى
رجل يدفعه الى أسفل !

فقال توندر فى رقة : « ومن الذى حرمك منه؟ أهو عمل
من صنعنا ؟ » .. واومأت مولى برأسها، وقالت وهى تنظر بعيدا :
« نعم » . فقال وهو يجلس : « اننى آسف » ، ثم استطرد
بعد لحظة يقول : « ليتنى أستطيع شيئا . سأعمل على دفع
الجليد عن السقف ! » .. فقالت مولى : « كلا ، كلا ! »
— ولم لا ؟

— لئلا يعتقد الناس اننى انضممت اليكم فيطردوننى ،
وأنا لا أريد أن أطرد !

وقال توندر : « أجل .. اننى لادرك تأثير هذا ، فانكم
جميعا تكرهوننا ، ولكننى سأسهر عليك اذا سمحت بذلك ! »

* * *

♦ وأدركت مولى انها استعدادات السيطرة على نفسها فى
تلك الاثناء ، فضاقت عينها فى شىء من القسوة وقالت : « لماذا
تسألنى ؟ انك الفازى ، ورجالك لا يسألون بل يأخذون
ما يريدون ! » .. فقال توندر : « ليس هذا ما أريد ، ولا هذا
هو السبيل الذى أسلكه لانال ما أريد ! »

وضحكت مولى وما زالت لهجتها تنبىء بالقسوة : « تريدنى
أن أعجب بك .. أليس كذلك أيها الملازم ؟ » .. فقال ببساطة :
« أجل » . ورفع رأسه ثم أردف يقول : « انك لشديدة الفتنة ،

شديدة الدفء ، وشعرك لامع متألق ! اننى لم ار عطفا يفيض من وجه امرأة منذ أمد بعيد ! »

فسألته : « وهل ترى عطفا فى وجهى ؟ » .. فحدق فيها ثم قال : « أريد أن أراه » .. وخفضت بصرها آخر الامر وقالت : « انك تطارحنى الغرام .. اليس كذلك أيها الملازم ؟ » .. فأجابها وهو لا يدرى ما يقول : « أريدك أن تعجبى بى ! .. لا شك فى اننى أريد أن تعجبى بى .. بل لا جدال فى اننى أريد مشاهدة هذا فى عينيك ! .. لقد رأيتك فى الطرق ، وراقبتك وأنت تمرين بى ، وأصدرت الاوامر بأن لا يعاكسك احد ، فهل ثمة من عاكسك ؟ »

وأجابته مولى فى هدوء وسكينة : « شكرا لك ، كلا لم يعاكسنى احد » .. فتدفقت الكلمات من فمه وهو يقول : « بل اننى كتبت قصيدة لك ! أتحبين أن تطلعى على قصيدتى ؟ » .. فسألته متهمكة : « أهى قصيدة طويلة ؟ ان عليك أن ترحل بعد فترة وجيزة » .. فأجاب : « كلا ، انها قصيدة صغيرة جدا .. قصيدة غاية فى الایجاز » .. ودس يده فى جيب سترته فأخرج ورقة قدمها اليها ، فمالت بقرب المصباح ، ووضعت نظارتها على عينيها ، وشرعت تقرأ فى هدوء :

ان عينيك وهما فى زرقتهما العميقة

قد استولتا على ، ولن تفارقانى !

ومنها انبثق نبع من الافكار السماوية

يندفع ويتدفق على قلبى !

وطوت الورقة ووضعتها فى حجرها ، ثم سألته : « هل كتبت أنت هذه القصيدة أيها الملازم ؟ »

— أجل !

فسألته ، وقد شاب لهجتها شىء من التقرير : « وكتبتها الى ؟ » .. فأجابها توندر وقد أخذ القلق يتملكه : « أجل ! » .. فحدقت فيه ثم ابتسمت وقالت : « انك لم تكتب هذه القصيدة

أيها الملازم .. أليس كذلك ؟ » ، فابتسم ابتسامة الطفل الذي افتضح كذبه وقال : « كلا »

وسأله مولى : « أتعرف ناظمها ؟ » ، فقال توندر : « أجل ، فهو هيليني .. لقد أحببت هذه القصيدة دائما ! » .. وضحك وقد اعتراه الخجل ، فضحكت مولى معه ، ووجدا نفسيهما على حين بفتة يضحكان معا ، ثم كف توندر عن الضحك على حين فجأة أيضا ، وخيم الحزن على عينيه وهو يقول : « لم أضحك هكذا منذ وقت لا تعيه ذاكرتي ! » ، ثم استرسل يقول : « لقد أخبرونا بأن الناس سيحبوننا ، وسيعجبون بنا ، ولكن الحال ليست كما أخبرونا ، فالناس يكرهوننا ! » ، ثم غير الموضوع كأنه يقاوم الزمن : « أنك لفاتنة ، بل أنك في جمال الابتسامة المشرقة ! »

وقالت مولى : « لقد بدأت تطارحني الفرام أيها الملازم ، ويجب أن تنصرف بعد لحظة ! » .. فقال توندر : « لعلني أريد أن أطارحك الفرام فعلا ، إذ ليس للرجل غنى عن الحب ، وإذا حرم الحب مات ، إذ تذبل أحشاؤه ويصبح صدره وكأنه الشظية الجافة .. اننى وحيد ! » .. ونهضت مولى عن مقعدها ونظرت بعصبية الى الباب ، ثم سارت الى الموقد ، ولما عادت كانت ملامحها قد اكتسبت قسوة وصرامة ، ولاحت الرغبة في الانتقام في عينها ، وقالت له : « أتريد أن تشاركني فراشي أيها الملازم ؟ »

— لم أقل هذا ! .. لماذا تتكلمين بهذه اللهجة ؟
وأجابت مولى بلهجة انطوت على القسوة : « لعلنى أحاول أن أحملك على الاشتمزاز منى ، فلقد تزوجت مرة ، ومات زوجي ، فها أنت ترى اننى لست بكرا ! » .. وشاعت المرارة في صوته . فقال توندر : « انما أريد أن توليني ودك ! » .. فقالت مولى : « اننى لادرك هذا ، فأنت رجل متمدين ، وتعرف أن

مطارحة الحب لا تكون أتم وأوفى وأبهج الا اذا اقترنت بالود ايضا !»

وهتف توندر يقول : « لاتتحدثى هكذا ! أرجوك أن لا تتحدثى هكذا ! » . فرمقت مولى الباب بنظرة سريعة وقالت : « نحن قوم غلبنا على أمرنا أيها الملازم . لقد منعتم عنا الطعام ، وانا جائعة ، وسأودك أكثر اذا أنت أطعمتنى » . فهتف توندر : « مالذى تقولين ؟ »

- هل أبعث فى نفسك الاشمئزاز منى ؟ ربما كنت أحاول هذا . . ان أجرى سحقتان !

وصرخ توندر قائلاً : « لا تسترسلى فى هذا الحديث »
- وماذا كانت عليه حال فتياتكم بعد الحرب الاخيرة ؟ كان بوسع الرجل أن يختار من بينهن من تروق له لقاء بيضة أو كسرة خبز . . أفتريد أن تنالنى دون مقابل أيها الملازم ؟ ! أترى أن الاجر جد مرتفع ؟

فأجابها قائلاً : « لقد خدعتنى لحظة ، ولكنك تكرهيننى أنت الاخرى . . اليس كذلك ؟ كان يخالجنى الشك فى هذا . »
 فقالت : « (كلا ، اننى لا أكرهك ، ولكننى جائعة و . . وأكرهك !) »
 وأجابها توندر بقوله : « سأعطيك كل ما تحتاجين اليه ، ولكن . . »

فقاطعته قائلة : « أتريد أن تطلق على اسما آخر ؟ أنت لاتريد مومسا . . أهذا ما تعنى ؟ »
 فأجابها توندر : « لا أدرى مالذى أعنى . . فقد جعلت الشئ الذى أبغيه يبدو مثقلا بالكراهية ! »

فضحكت مولى وقالت : « ليس الجوع بالشئ المستحب . ان سحقتين ، سحقتين كبيرتين دسمنين قد تصبحان - مع الجوع - أغلى ما فى هذا العالم ! »
 فقال لها : « لا تتفوهى بهذه العبارات . . أرجوك الا تفعلى ! »

— لم لا ؟ انها لحقيقة صادقة !

— لا ، انها ليست صادقة ! .. لا يمكن ان تكون صادقة !
وتطلعت اليه لحظة ، ثم جلست وأخذت تحديق في حجرها ،
وقالت : « كلا .. انها ليست صادقة .. فأنا لا أكرهك ، بل
اننى أشعر بالوحدة أنا الاخرى .. والجليد يثقل على السقف ! »
فنهض توندر واقترب منها ، وضم احدى يديها بين يديه
وقال فى رفق : « أرجوك أن لا تكرهينى ، فما أنا الا ملازم .. »



اننى لم أطلب المجرى الى هنا .. ولا اخترت انت أن تكونى من
أعدائى .. أنما أنا رجل ، ولست غازيا ! »
وطوقت أصابع مولى يديه لحظة ، ثم قالت فى رقة :
« أعرف هذا ، أجل أعرفه ! » .. فقال توندر : « ان لنا بعض
الحق فى الحياة وسط كل هذا الموت ! » .. فرفعت يدها الى
خده لحظة ، ثم قالت : « أجل ! » .. وقال : « لسوف أسهر
عليك ، فان لنا بعض الحق فى الحياة وسط كل هذا الاغتيال »
.. واستقرت يده على كتفها .. وعلى حين غرة ، تصلبت أطرافها
واتسعت عيناها وحملقتا كأنهما رأتا شبحا ، فتراخت يده عن
كتفها ، ثم سألتها : « ما الخبر ؟ ماذا جرى ؟ » ، وكانت عيناها
تحدقان الى الامام ، فكرر قوله : « ما الخبر ؟ »

وتحدثت مولى وكأنها انتقلت الى عالم آخر بسحر غريب :
 « لقد عاونته على ارتداء ملابسه كأنه طفل يذهب الى المدرسة
 لأول مرة .. وكان خائفا ، فزرت له قميصه ، وحاولت أن
 أسرى عنه ، ولكنه كان في حال يتعذر معها التسرية .. كان
 خائفا ! » .. فهتف توندر : « ماذا تقولين ؟ »

وبدا على مولى انها تصف منظرا بدا لعينيها ، فاستطردت
 تقول : « لست أدري لماذا تركوه يعود الى الدار .. وكان حائرا
 مرتبكا .. لم يكن يعلم ماذا يجري ، بل انه لم يقبلني عندما
 رحل ، فقد كان خائفا .. وكان شجاعا جدا ! .. كأنه طفل
 يذهب الى المدرسة لأول مرة ! »

فنهض توندر وقال : « هل كان هذا زوجك ؟ » .. فأجابت
 مولى : « أجل ، كان هو زوجي ! .. وذهبت الى العمدة ، ولكنه
 كان عاجزا ، لاحول له ولا قوة .. ثم سار زوجي في خطى
 بطيئة مهتزة .. وأخذتموه وأطلقتهم عليه الرصاص فقتلتموه .
 كانت غرابة الامر وقتئذ تفوق فظاعته ، وكدت أن لا أصدق
 في ذلك الحين ! » .. فعاد توندر يتساءل : « زوجك ؟ ! »

— أجل ! .. على اننى أصبحت الآن أصدق ما حدث ، اذ
 يخيم السكون على المنزل . اننى أصدق الآن ما حدث ، اذ
 يتراكم الجليد على السقف .. بل وأعرف أنه حقيقة ، في
 الوحدة التي الاقيها في الفراش الذي لا يكمل دفئه قبل أن ينبج
 الصبح !

ووقف توندر أمامها وقد لاحت أمارات التعاسة على
 وجهه ، وقال : « طابت ليلتك ، فليحفظك الله ، هل أعود ؟ »
 .. فتطلعت مولى الى الجدار واستعادت ذكرياتها ثم قالت :
 « لست أدري »

— سأعود !

— لست أدري

فنظر إليها ثم دلف الى الخارج في هدوء ، ومازالت مولى
تحملق في الجدار ، وتتمتم : « فليحفظنى الله ! »

ه وظلت مولى برهة تحملق في الحائط ، ثم فتح الباب
في هدوء ودخلت « آنى » .. ولم تشعر بها مولى ، بل انها لم
ترها ! .. وقالت آنى تؤنبها : « لقد كان الباب مفتوحا » ..
فأدارت مولى نظراتها اليها ومازالت عيناها على اتساعهما ،
وقالت : « أجل ، أجل يا آنى »

— كان الباب مفتوحا ، وقد خرج منه رجل . لقد رأيته
.. كان يبدو كالجندي !

وقالت مولى : « أجل يا آنى »

— اكان الذى هنا جنديا ؟

— أجل ، كان جنديا !

وسألتها آنى وقد ثارت شكوكها : « ماذا جاء يفعل هنا ؟ »

— جاء يطارحنى الفرام !

وقالت آنى : « ماذا تفعلين ياسيدتى ؟ .. اترك انضمامت
الى صفوفهم ؟ هل أنت معهم مثل كوريل ؟ »

— كلا ، لست معهم يا آنى

وقالت آنى : « اذا عادوا والعمدة هنا ، فسيقع عليك
وزر اى مكروه يحدث .. سيكون الذنب ذنبك ! »

— لن يهود .. لن أدعه يهود !

ولكن الشكوك لم تزايل آنى ، فقالت : « هل أخبرهم ان
يأتوا الآن ؟ . انتظنين أن المكان مأمون ؟ »

— أجل ، انه مأمون . أين هم ؟

فقالت آنى : « انهم فى الخارج ، خلف السياج »

— دعيهم يدخلون !

وخرجت آنى ، فنهضت مولى ونسقت شعرها ، وهزت
رأسها محاولة أن توقظ نفسها من سباتها .. وسمع صوت

ضئيل في الدهليز ، ثم دخل شابان طويلان أشقران ، يرتديان سترتين في لون الحمص ، وصديريتين سوداوين ، وقبعتين مصنوعتين من الجوارب استقرتا على رأسيهما . . وكانت القوة بادية عليهما ، وقد لوحتهما الرياح . . وكان الناظر اليهما يحسبهما توأمين . ذاك هما : ويل اندرس ، وتوم اندرس ، صيادا السمك

— طاب مساؤك يامولى . هل سمعت الخبر ؟
— لقد نقلته آنى الى . . ان الرحيل في ليلة كهذه لامر شاق !

فقال توم : « انها لافضل من الليلة الصافية ، فالطائرات ترى الشخص في الليلة الصافية . . ماذا يريد العمدة يامولى ؟ »
— لست أدري ، ولقد نمى الى ما وقع لاختيك ، واننى لاسفة !

وساد الصمت بين الاثنين ، وتملكتهما الحيرة ، ثم قال توم : « انك أدري من الكثيرين بوقع هذا الامر ! »
— أجل ، اننى أعرف وقعته !

وجاءت آنى الى الباب ثانية ، وقالت تهمس في صوت أجش : « لقد جاء ! » . . ودخل العمدة أوردن والدكتور وينتر ، فخلعا معطفيهما وقبعتيهما ووضعاهما على الاركة . وذهب أوردن الى مولى وطبع قبلة على جبينها ، وهو يقول : « طاب مساؤك ياعزيزتى » . . ثم التفت الى آنى وقال : « قفى في الدهليز يا آنى ، واطرقى الباب طرقة عند مرور الداورية ، وأخرى عند انصرافها ، ثم طرقتين في حالة الخطر ، ويمكنك أن تتركى الباب الخارجى مفتوحا قليلا حتى اذا قدم أحد سمعته »

فأجابت آنى قائلة : « سمعا وطاعة ياسيدى » . وذهبت الى الدهليز بعد أن أغلقت باب الغرفة خلفها

وكان الدكتور وينتر عند المدفأة ، يلتمس الدفء ، فقال :
 « بلغنى انكما راحلان الليلة يابنى » .. فقال توم : « انماكرهان
 على الرحيل » .. وأوماً أوردن وهو يقول : « أجل ، أعرف
 هذا ، وقد علمنا انكما ستأخذان المستر كوريل معكما » . وضحك
 توم ضحكة مريرة وهو يقدل : « لقد خيل إلينا أن هذا هو
 الصواب ، فاننا سنأخذ قاربه ، ولا نستطيع أن نتركه هو هنا ،
 إذ ليس من الخير مشاهدته يهرج في الشوارع ! » .. فقال
 أوردن في لهجة تنم عن الحزن والاسى : « ليته رحل ! .. ولكن
 من الخطر عليكم أن تأخذه معكما » .. فردد ويل قول أخيه :
 « ليس من الخير مشاهدته في الشوارع .. ليس من الخير
 للناس أن يروه هنا »

وسألهما وينتر قائلاً : « هل يمكنكما أخذه ؟ اليس هو
 على شيء من الحرص ؟ »

— بل انه حريص بعض الشيء . على أنه ألف العودة الى
 منزله في الساعة الثانية عشرة ، وسنكون خلف السور ، واعتقد
 اننا نستطيع نقله من حديقته الى الماء ، فان قاربه يرسو هناك ،
 وقد ذهبنا الى القارب اليوم وأعددناه للرحيل
 وعاد أوردن يقول : « كنت أتمنى لو أن الظروف لم تكررهما
 على هذا ، فان فيه مزيداً من الخطر ، إذ أن الداورية قد تشعر
 بكما لو انه أثار أية ضجة » .. فقال توم : « انه لن يثير
 ضجة ، ومن الخير أن يختفى في البحر ، فان بعض أهل البلدة
 قد يقضون عليه ، فتقع حوادث قتل كثيرة .. كلا ! من الافضل
 أن يخرج الى البحر ! »

والتقطت مولى شغلها وقالت : « هل ستلقيان به الى
 البحر ؟ » .. فسرت حمرة الخجل في وجه ويل وهو يقول :
 « سيخرج الى البحر ياسيدتى ! » .. ثم التفت الى العمدة
 متسائلاً : « أكنت تريد مقابلتنا ياسيدى ؟ »

— أجل ، أريد محادثكما .. لقد حاولت أنا والدكتور

وينتر أن نفكر .. فقد كثر الحديث عن العدل والظلم والغزو .
لقد تعرض شعبنا للغزو ، ولكنني لا أعتقد أنه غلب على أمره!»

* * *

♦ وسمعت طريقة حادة على الباب ، فخيم السكون على
الغرفة . وتوقفت أبرتا مولى عن عملهما ، وظلت يد العمدة
ممدودة في الهواء ! وكان توم يحك أذنه ، فترك يده حيث هي ،
وكف عن الحك ! .. وظل كل من في الغرفة بلا حراك ، وتحولت
الاعين كلها صوب الباب . وجاء صوت وقع أقدام الدائرية
خافتا ، ثم أخذ يشتد شيئا فشيئا . وسمعوا صريف أحذية
رجالها على الجليد ، وصوت حديثهم وهم يمشون .. ومالبثوا
أن جاوزوا الباب ، ثم أخذ وقع أقدام الرجال يخف رويدا
وهم يتبعدون .. وسمعت طريقة أخرى على الباب ، فتنفس
كل من في الغرفة الصعداء !

وقال أوردن : « لا بد أن الطقس بارد في الخارج لا تقوى
عليه آنى » ، ثم أخذ معطفه من فوق الأريكة وفتح الباب
الداخلي ، ومد يده بالمعطف قائلا : « ضعى هذا حول كتفيك
يا آنى ! » .. ثم أغلق الباب وهو يقول : « لست أدري ماذا
كنت أفعل بدونها ، فانها تذهب الى كل مكان ، وترى وتسمع
كل شيء ! »

وقال توم : « يجب أن نرحل في الحال ياسيدى .. »
فقال وينتر : « ليتكما لا تفكران في كوريل » .. فقال الشاب :
« لا نستطيع هذا ، فليس من الخير مشاهدته في الشوارع ! » ،
ونظر متسائلا الى العمدة أوردن ، فشرع هذا يقول ببطء :
« أريد أن يكون حديثي معكما بسيطا واضحا .. هذه بلدة
صغيرة ، والعدل والظلم فيها يتمثلان في أمور بسيطة ..
فلقد أعدم أخوكما وأعدم الكس موردن أيضا .. وكان هذا
الاعدام وذاك باسم الانتقام من خائن . وقد ثارت ثائرة الناس
غضباً وحقداً ، ولا سبيل لهم الى رد العدوان ، ولكن كل هذا

على قدر محدود .. انه شعب ضد شعب ، وليست فكرة ضد فكرة ! »

وقال وينتر : « من الغريب أن يفكر طبيب في الإباداة والافناء ، ولكنني أعتقد أن كل من غزيت أرضه تستبد به الرغبة في المقاومة .. اننا قوم عزل ، ولاتكفى روحنا المعنوية ولا أجسامنا .. فان الروح المعنوية لرجل أعزل سرعان ما يدركها الضعف ويتطرق اليها الوهن ! »

وتساءل ويل أندرس قائلا : « قيم كل هذا ياسيدى ؟ ماذا تريد منا ؟ » .. فقال أوردن : « نريد قتالهم ولا نستطيع الى هذا سبيلا .. انهم يحاربون الناس بالجوع الآن ، والجوع يورث الضعف . انكما ستبحران الى انجلترا ، ولعلكما لن تجدوا اذنا صاغية ، ولكن انقلأ اليهم عنا — نحن أهل هذه البلدة الصغيرة — اننا في حاجة الى السلاح ! »

وسأل توم : « أتريدون بنادق ؟ »

وسمعت طرقة سريعة على الباب ، فجمد كل من كان في الغرفة حيث هو . وجاء من الخارج صوت وقع أقدام الداورية مرة أخرى ، ولكنهم كانوا يسرعون الخطى في هذه المرة ، بل يركضون . وأسرع ويل صوب الباب .. وحاذت خطى الرجال المسرعين باب البيت ، وسمعت أوامر مبهممة ، ثم هرعت الخطى في طريقها ، وطرق الباب طرقة أخرى

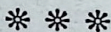
وقالت مولى : « لا بد أنهم يطاردون شخصا ، ترى من يكون هذه المرة ؟ » .. فقال توم في قلق : « لقد حان موعد رحيلنا . أتريدون بنادق ياسيدى ؟ هل نطلب البنادق ؟ »

— كلا ، بل أشرح لهم الموقف كما هو عليه الآن . قل لهم اننا مراقبون ، وان أية حركة نقوم بها تقابل بالانتقام ، وان بودنا الحصول على أسلحة بسيطة .. أسلحة سرية تستخدم خفية ، كالمفرقات والديناميت ، لنسف السكة الحديدية .. والقنابل اليدوية اذا أمكن .. بل والسم أيضا ! . ثم أردف

يقول والفضب يملكه : « ليست هذه حربا شريفة ، بل هي حرب خداع وقتل ، فلنحارب بالوسائل التي حوربنا بها .. فلنلق قاذفات القنابل البريطانية قنابلها على المصانع ، ولكن فلنلق اليينا نحن أيضا بقنابل صغيرة نستعملها ونخفيها ونضعها سرا تحت الخطوط الحديدية وتحت الصهاريج ، وبذلك يتم تسليحنا .. تسليحنا خفية ، ولن يعلم الغازى قط من منا السلاح ! فلتأت لنا قاذفات القنابل بأسلحة بسيطة ، وسنعرف كيف نستخدمها »

وهتف وينتر يقول : « لن يعرفوا من أين تنزل بهم الضربات .. لن يعرف الجنود ولا الداوريات مطلقا من منا السلاح » .. فمسح توم جبهته وقال : « سننقل اليهم هذا ياسيدى ، اذا افلحنا فى الهرب . ولكننى سمعت ان الذين يتولون الحكم فى انجلترا رجال لا يهتمون بتسليح عامة الشعب » .. فحلق أوردن فيه وقال : « لم أفكر فى هذا ، وليس لنا الا أن ننتظر ما سوف يقولون .. ولو أن مثل هؤلاء القوم لا يزالون يحكمون انجلترا وأمريكا ، فقل على العالم السلام! .. انقل اليهم ما قلنا اذا استمعوا اليك ! .. يجب أن نحصل على معاونة ، وما أن تصلنا .. » ، ثم قست ملامح وجهه وأردف يقول : « اذا وصلتنا فسنعاون أنفسنا ! »

وقال وينتر : « ليتهم يعطوننا حتى الديناميت لنخفيه .. لندفنه فى الارض حتى يكون فى متناول أيدينا عند الحاجة .. ولن يعرف الغازى الراحة بعد هذا قط ! .. سننسف مخازن مؤنه وذخائره »



♦ وطففت على الغرفة موجة من الحمية والحماس ، فقالت مولى فى شدة وعنف : « أجل ، نستطيع بذلك أن نقض

مضاجعه ، وأن نتلف أعصابه ، ونجعل من يقينه شكا وريبة!«
وسأل ويل في هدوء : « أهذا كل ماتطلب ياسيدي ؟ » ..
فأوماً أوردن برأسه وقال : « نعم ، هذا هو لب الموضوع »
— وإذا أبوا الاستماع إلينا ؟

— ماعليك الا المحاولة ، كما ستحاول عبور البحر الليلة !
— ألا تريد شيئاً آخر ياسيدي ؟

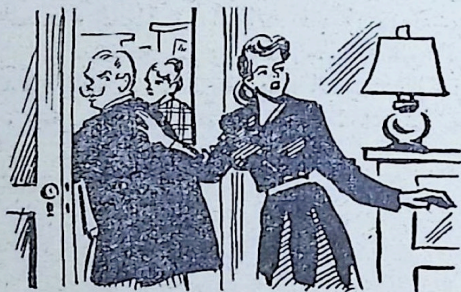
وفتح الباب ودخلت آنى في هدوء ، بينما مضى أوردن
يقول : « هذا كل مافى الامر ، فاذا كان موعد رحيلكما قد حل
فلارسل آنى الى الخارج لتطمئن الى سلامة الطريق » .. ثم
نظر فرأى أن آنى قد جاءت من الخارج . وقالت آنى : « هناك
جندى قادم ، وهو يشبه الجندى الذى كان هنا من قبل ..
فقد كان هنا جندى مع مولى قبل الآن »

ونظر الآخرون الى مولى ، بينما قالت آنى : « لقد أغلقت
الباب » .. فتساءلت مولى : « ماذا يريد ؟ ما الذى يدعوه الى
العودة ؟ »

وسمع صوت طرق رقيق على الباب الخارجى ، فذهب
أوردن الى مولى وسألها قائلاً : « ما هذا يامولى ؟ هل أنت فى
مأزق ؟ » .. فأجابته : « كلا ، كلا ! اخرجوا من الباب الخلفى ..
يمكنكم الخروج من الباب الخلفى . اسرعوا ! اسرعوا الى
الخارج ! »

واستمر الطرق على الباب الامامى ، وكان صوت رجل
ينادى فى رقة ولطف . وفتحت مولى الباب المؤدى الى المطبخ
وقالت : « اسرعوا ! اسرعوا » .. فوقف العمدة أمامها وقال :
« هل أنت فى مأزق يامولى ؟ ما أظنك ارتكبت ذنباً ؟ » . فقالت
آنى فى لهجة شابها البرود : « يبدو أنه هو نفس الجندى ،
فلقد زارها جندى من قبل ! » . وقالت مولى موجهة الحديث
الى العمدة : « أجل ، لقد زارنى هنا جندى من قبل » ..
فسألها العمدة قائلاً : « وماذا كان يريد ؟ »

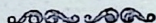
— كان يريد مطارحتى الفرام !
فقال أوردن : « ولكنه لم يتمكن منك ؟ » .. فأجابت :
« كلا ، لم يتمكن منى .. والآن اذهبوا ، ولا تخشوا على بأسا »
وقال موردين : « اذا كنت فى مأزق يامولى فدعينا نساعدك »
.. فأجابت قائلة : « لا يستطيع أحد معاونتى فى المأزق الذى
انا فيه .. انصرفوا الآن » .. ودفعتهم خارج الباب . ولكن



آنى تخلفت عن الجماعة ، ونظرت الى مولى ثم قالت : « ماذا
يريد هذا الجندى ياسيدتى ؟ »
— لست أعلم ما الذى يريده !
— هل ستقولين له شيئاً ؟
فقالت مولى : « كلا » ، ثم عادت فكررت فى ذهول : « كلا »
.. وانثنت تقول فى لهجة حادة : « كلا يا آنى ، لن اقول له
شيئاً ! » .. وعبست آنى فى وجهها وهى تقول : « يحسن
بك أن لاتقولى له شيئاً ! » ، ثم خرجت وأغلقت الباب خلفها
واستمر الطرق على الباب الامامى ، وكان من الممكن سماع
صوت رجل من خلال الباب ، فذهبت مولى الى المصباح
الملقى على المنضدة ، وقد أثقلها الهم والحيرة . ونظرت الى
المصباح ، ثم الى المنضدة ، فرأت المقص الكبير الذى كان بجانب

شغلها .. وأمسكته من نصليه - في شرود وذهول - فانقلت
النصلان من أصابعها حتى أضحت تمسك بالمقص نفسه كأنه
السكين ، وقد بدأ الرعب في عينيها . وعادت تنظر الى المصباح
وقد غمر الضوء وجهها ، ثم رفعت المقص ببطء ودسسته
في طيات ثوبها

واستمر الطرق على الباب ، وسمعت صوتا يناديها ، فمالت
على المصباح لحظة ثم أطفأته فجأة . وغشى الغرفة ظلام
دامس ، لا يتخلله سوى بقعة حمراء من الوهج كانت تشع
من مدفأة الفحم .. ثم فتحت الباب . وكان صوتها متوترا ،
عذبا ، رخيما ، وهى تهتف قائلة : « اننى قادمة أيها الملازم
.. اننى قادمة ! »



الفصل السابع

♦ لم يكن القمر الأبيض ، المضمحل ، يرسل من الضوء ما يكفى لتبديد ظلمة الليل . وكانت الرياح تهمهم على سطح الجليد .. رياح هادئة تصب بانتظام وبدرجة متساوية من مركز القطب البارد ، وقد تساقط الجليد في غزارة على الأرض ، فنشأت عنه طبقة كثيفة جافة هي والرمل سواء بسواء .. واستكنت البيوت في تجاوىف الجليد المتراكم . وكانت النوافذ معتمة ، مغلقة ، وقاية لأهلها من البرد . وما كان ينبعث عن نيران تلك البيوت الا القليل من الدخان ..

وجمد الجليد في دروب البلدة وتصلب .. وكانت الشوارع مقفرة من المارة ، يخيم عليها سكون لا يعكره الا مرور الدائرية التسعة المقرورة .. وساد الظلام المنازل في تلك الليلة ، وقد تخلف فيها شيء من دفء الصباح . وكان الحراس المعينون عند مدخل المنجم يرقبون السماء ، ويوجهون آلاتهم صوبها ، ويتسمعون الاصوات . اذ كانت تلك الليلة صافية تصلح لالقاء القنابل . ففي مثل هذه الليلة ، كانت تلقى الاسطوانات الفولاذية ذات الزوائد المجنحة ، فتنقض على من كانت تلقى عليهم في صغير مزعج ، وتنفجر مخلفة الشظايا .. فلقد كانت الأرض تبدو واضحة لمن في السماء ، ولو أن ضوء القمر كان خافتا باهتا !

وفي أحد طرفي البلدة - بين المنازل الصغيرة - كان ثمة كلب يعوى متأثرا بالبرد والوحدة . وأخذ يرفع أنفه الى ربه يشكو اليه ، بعوائه الطويل المير ، ما آلت اليه حال الدنيا ، وما عاد عليه من جراء ذلك .. وكان مغنيا مدربا له حنجرة كالجرس تعلو فيها الطبقات وتنخفض ! .. وسمع الرجال الستة الذين يؤلفون الدائرية - وهم يذرعون الشوارع فاترى العزم

ثابطي الهمة - « غناء » هذا الكلب ، فقال أحد الجنود : « يبدو لى أن هذا الكلب يزداد سوءا ليلة بعد ليلة ، واعتقد أن من واجبنا قتله ! »

وأجابه واحد منهم : « ولماذا ؟ دعه يعوى ، فانه لا يزعجنى . لقد كان لى فى الوطن كلب يعوى ، ولم أستطع ترويضه مطلقا ، اذ كانت تغاب عليه الكآبة . ان العواء لا يزعجنى . وقد أخذوا كلبى فيما أخذوا من الكلاب ! » . وكان الحزن يسود لهجته ، فقال الملازم : « ما كان لك ان تقتنى كلابا ، فان الحاجة ماسة الى الطعام الذى قد تغذيها عليه ! »

- لست أشكو ، فانبى أعلم ان للضرورة احكاما ! . ليس بوسعى ان أنحو فى تفكيرى نحو الزعماء ، ولكننى لا أملك الا العجب من أن بعض الناس هنا يقتنون الكلاب ، مع أن ما عندهم من الطعام يقل عما عندنا . . ومع ذلك فالناس والكلاب هنا غاية فى النحافة والهزال !

فقال الملازم : « انهم لبلهاء ، ولذلك خسروا المعركة بهذه السرعة . . ان تفكيرهم لا يرقى الى مستوى تفكيرنا » . . وقال الجندى : « ترى أياكون لنا كلاب ثانية بعد أن تضع الحرب أوزارها ؟ . . اعتقد أننا مستطيعون الحصول عليها من أمريكا أو من بلد آخر ، لنبدأ انسالها من جديد ! . . أى نوع من الكلاب فى أمريكا فيما تحسب ؟ »

فأجاب الملازم قائلا : « لست أدرى . . لعلها كلاب مجنونة ككل شئ عندهم هناك ! » ، ثم أردف يقول : « وعلى كل فقد لا يكون للكلاب أى نفع ، فحرى بنا ان لا نفكر فيها الا بقدر ما يلزمنا منها لأعمال البوليس » . . فقال الجندى : « قد يكون الامر كما تقول ، فقد علمت ان الزعيم لا يحب الكلاب ، وقد سمعت أنه يصاب بالسعال والعطاس اذا اقتربت منه ! » . . فقال الملازم : « انك تسمع أشياء كثيرة ! انصتوا ! » وتوقفت الدورية فى سيرها . . وطرق آذانهم صوت ازين

الطائرات قادما من بعيد ، فقال الملازم : « ها هي قد جاءت ! .. حسنا ، لا يوجد أى ضوء .. ألم ينقض اسبوعان منذ جاءت الطائرات آخر مرة ؟ » .. فأجاب الجندي : « بل اثنا عشر يوما »

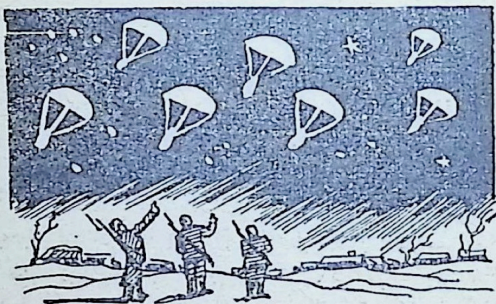
وسمع الحراس الذين كانوا فى المنجم أزيز الطائرات العالية ، فقال جاويش : « انها تطير على ارتفاع شاهق ! » .. فطوح الكابتن لوقت رأسه الى الوراء حتى يستطيع أن يرى من تحت حافة خوذته ، ثم قال : « أعتقد أنها تطير على ارتفاع يزيد على ٢٠٠٠ قدم ، وربما كانت تحلق فوق رؤوسنا الآن ! » .. فأنصت الجاويش قليلا ثم قال : « ليس عددها كبيرا جدا ، ولا أعتقد أن عددها يزيد على ثلاثة . هل أخطر المدفعية ؟ » - كلا ، بل اطمئن الى أن رجالها ساهرون ، ثم استدع الكولونيل لانسر . بل . . لا ، لا تستدعه ، فقد لا تأتى الطائرات الى هنا .. انها فوقنا تقريبا ولم تبدأ فى الانقراض بعد !

- يبدو لى أنها تدور فى دوائر ، ولا أعتقد أن عددها يزيد على اثنتين

وسمع الناس وهم فى أسرهم أصوات الطائرات ، ففرقوا فى أطواء الاسرة يصيخون السمع . وأيقظ الصوت الضئيل الكولونيل لانسر فى قصر العمدة ، فانقلب على ظهره ينظر الى السقف المظلم بعينين مفتوحتين ، وقد حبس أنفاسه ليسمع جيدا ، ولكن قلبه أخذ ينبض بقوة حتى استحال عليه السمع جيدا .. وسمع العمدة أوردن أزيز الطائرات فى نومه ، ففسح خياله منها حلما ، وأخذ يتحرك ويهمس فى نومه !

وكانت قاذفتا القنابل فى لون الطين ، وقد راحتا تحومان وتدوران على ارتفاع كبير ، وقد أغلقتا صمام النفس فى محر كانهما ، واخذتا تحلقان فى الجو وهما تحومان فى دوائر .. وتساقطت من بطن كل منهما أشياء صغيرة جدا .. مئات

من هذه الاشياء ، الواحد منها في اثر الآخر . . وقد سمحت
الاشياء في الجو بضعة اقدام ، ثم انفتحت مظلات صغيرة
متصلة بها ، أخذت تتهادى في هبوطها في سكون ، حاملة طرودا
صغيرة الى الارض التي تحتها . ثم فتحت الطائرتان صمام
النفس مرة اخرى ، فارتفعتا في الجو ، وما لبثتا ان أغلقتا



باب النفس وعادتا لتحويمهما فألقتا مزيدا من تلك الطرود
الصغيرة ، ثم استدارتا وعادتا من حيث جاءتا !

♦ وسبحت المظلات الصغيرة في الفضاء كأنها زغب الحسك ،
فحملها الريح وتكفل بتوزيعها . . وظلت تسبح ببطء حتى
استقرت آخر الامر على الارض في رفق وهوادة ، حتى ان
طرود الديناميت التي يبلغ طولها عشر بوصات كانت تقف
مستقيمة أحيانا في الجليد ، تحيط بها مظلاتها الصغيرة . .
وكانت تبدو سمراء اللون بالنسبة للجليد ، وقد هبطت في
الحقول البيضاء وفي غابات الجبال وفي الاشجار ، وتدلت من
فروعها . واستقر بعضها على سقوف منازل البلدة الصغيرة ،
والبعض في أفنية البيوت الامامية الصغيرة . . بل ان طرودا منها

استقر على قمة رأس تمثال القرية الذي يمثل القديس « البرت » الرسول

وهبطت مظلة صغيرة من هذه المظلات في الشارع أمام الدورية ، فقال الجاويش : « حذار ! انها قنبلة زمنية ! » .. فقال أحد الجنود : « انها ليست كبيرة ! »
— حسنا ، لا تقترب منها !

وأخرج الجاويش مشعله الكهربائي وسلطه على هذا الشيء ، فاذا به مظلة صغيرة لا يزيد حجمها على حجم المندبل ، ذات لون أزرق فاتح ، يتدلى منها طرد لف بورق أزرق .. وقال الجاويش : « حذار ان يلمسها أحدكم ! .. اذهب انت يا هاري الى المنجم وادع الكابتن ، بينما نرقب نحن هذا الشيء اللعين ! » وبرز فجر المتأخر ، وخرج الناس من بيوتهم في الريف ، فشاهدوا البقع الزرقاء على الجليد .. وذهبوا اليها والتقطوها ، ثم فكوا الورق الذي لفت به وقرأوا الكلمات المطبوعة .. وراوا الهدية . وسرعان ما أصبح كل من وجد طردا من هذا القبيل كتوما ، يحرص على سره حرصه على نفسه ، فيخفي الأنوبة الطويلة تحت سترته ، ويذهب الى مكان سري فيخفيها فيه . وسمع الاطفال نبا الهدية ، فأخذوا ينقبون عنها تنقيبهم عن بيض عيد الفصح ، فاذا وفق طفل الى المظلة الزرقاء ، اندفع الى الهدية وفتحها ثم أخفى الأنوبة وحدث والديه بأمرها .. وتملك الخوف بعض الناس ، فسلموا الاناييب الى السلطات العسكرية ، ولكنهم لم يكونوا كثيرين .. وهرع الجنود هم الآخرون الى البلدة ينقبون عن هذه المظلات الصغيرة تنقيب الاطفال عن بيض عيد الفصح ، بيد أنهم لم يوفقوا توفيق الاطفال !

أما في غرفة الاستقبال بقصر العمدة ، فقد ظلت مائدة الطعام — وحولها المقاعد — كما كانت يوم أعسد « الكس موردين » . بيد ان الغرفة لم تعد تحتفظ بالفتنة التي كانت

لها عندما كان القصر قصر العمدة ، وقد بدت الجدران جرداء ،
اذ حرمت من المقاعد التي كانت مسندة اليها . . . وخلفت
المائدة على الفرفة ، بالاوراق المبعثرة عليها ، منظر المكتب
التجاري ! ودقت الساعة التي على رف المدفأة التاسعة . وكان
اليوم مظلماً ، تخيم عليه الفيوم . . . فقد جاء الفجر معه بفيوم
الجليد الثقيلة !

وخرجت آنى من غرفة العمدة ، وهرعت الى المائدة فرمقت
الاوراق التي كانت عليها . ودخل الكابتن لوفت ، فوقف في
مدخل الباب عندما رأى آنى ، وسألها قائلاً : « ماذا تفعلين
هنا ؟ » . . . فأجابت آنى عابسة متجهمة : « نعم يا سيدى »
- أقول ماذا تفعلين هنا ؟

- فكرت في أن أنظف هذه الفرفة يا سيدى !

- دعك من هذا الآن ، وانصرفى الى حال سبيلك !

فقالت آنى : « سمعا وطاعة يا سيدى » . وانتظرت حتى
أفسح لها ، ثم انطلقت خارجة لا تلوى على شيء . . . واذ ذاك
استدار الكابتن لوفت في مدخل الباب وقال : « حسنا ، انت
بها » . فخف جندى من خلال الباب القائم خلفه ، وقد علق
بندقيته على كتفه ، وحمل بين يديه عددا من الطرود الزرقاء ،
وقد تدلت من اطرافها قطع الدوبارة الصغيرة والقماش الازرق
وقال لوفت : « ضعها على المائدة » . فصعد الجندي بما
أمر به ، ووضعها على المائدة في حرص وحذر . فقال لوفت
: « والآن ، اذهب الى الكولونيل لانسر في الطابق الاعلى ، وقل
له اننى جئت ومعنى . . . الاشياء ! » ، فدار الجندي على عقبيه
وبارح الفرفة

وذهب لوفت الى المائدة فالتقط طردا من هذه الطرود .
وارتسمت على وجهه علائم النفور والكراهية ! . . . وامسك
بالمظلة الزرقاء الصغيرة ، ورفعها فوق رأسه ، ثملقى بها ،
فانفتحت وسبجت في الجو حتى استقرت على الارض . ثم

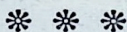
التقط الطرد ثانية وشرع يفحصه . وما لبث الكولونيل ان جاء مسرعا الى الغرفة ، وفي أعقابه الماجور هنتر . . وكان يحمل في يده قطعة مربعة من الورق الاصفر . وقال لانسر : « طاب صباحك يا كابتن ! » . . وذهب الى رأس المائدة وجلس ، وأخذ ينظر برهة الى الكومة الصغيرة من الانابيب ، ثم التقط احداها وامسك بها في يده ، وقال : « اجلس يا هنتر . هل فحصت هذه ؟ »

وجذب هنتر مقعدا جلس عليه ، ثم نظر في الورقة الصفراء التي في يده ، وقال : « لم أفحصها جيدا . لقد نسف خط السمكة الحديدية في ثلاثة مواضع ، كلها في مسافة عشرة أميال » . . فقال لانسر : « انظر اليها وحاول أن تكون رابيا عنها ! » . . فمد هنتر يده وأخذ انبوبة نزع عنها غلافها الخارجى ، فوجد طردا صغيرا الى جوار الانبوبة . وأخرج هنتر سكيناً وأحدث شقا في الانبوبة - وكان السكاكين لوفت يقف وراءه يشاهده - وتشمم الشق ، ثم دحك أصابعه معا وقال : « ان هذا لسخف ، فانه لديناميت تجارى ، ولا أعلم نسبة ما فيه من نيتروجليسرين حتى اختبره » . ثم نظر الى طرف الانبوبة واسترسل يقول : « ان لها غطاء الديناميت المعتاد ، وفلمينات الزئبق - وهى الفضة المتفجرة - ثم فتيل يستغرق اشعاله نحو الدقيقة فيما أظن » . . وألقى بالانبوبة على المائدة ثانية وهو يقول : « انها لغاية فى الرخص والبساطة ! »

ونظر الكولونيل الى لوفت وقال : « كم تظن ألقى من هذه الانابيب ؟ » . . فأجاب لوفت بقوله : « لست أدري يا سيدى ، فقد جمعنا منها نحو الخمسين ، ونحو تسعين مظلة مما تلقى به الانابيب . والناس - لبعض الاسباب - يأخذون الانابيب ويتركون المظلات . . ولعل هناك عددا كبيرا لم نعثر عليه بعد ! » . . واولح لانسر بيده وهو يقول : « ليسى للأمور أية أهمية فى الواقع ، فليلقوا ما يشاءون من الانابيب ، فليس فى استطاعتنا

ان تحول دونهم ودون القائما ، ولا نستطيع استعمالها ضدهم ايها . . وهم بهذا لا يكونون قد هزموا احدا ! . فقال لوفى فى قسوة وعنق : « نستطيع ان نمحوهم من على وجه الارض ! » وكان هنتر ينتزع الغطاء النحاسى لاحدى هذه الانابيب . وقال لانسر : « اجل ، نستطيع ان نفعل هذا . هل نظرت الى هذا الغلاف يا هنتر ؟ »

— كلا ، فلم يتسع لى الوقت بعد فقال الكولونيل لانسر : « انه لعمل شيطانى ، فالغلاف ازرق لكى تسهل رؤيته ، فاذا نزع الغلاف الخارجى وجدت . . . » ، والتقط الطرد الصغير ، واستأنف يقول : « قطعة من الشيكولاته ، سيبحث عنها الكل . . اراهن ان جنودنا يسرقون الشيكولاته ، بل سيبحث عنها الاطفال بحثهم عن بيض عيد الفصح ! »



♦ ودخل جندى وضع قطعة مربعة من الورق الاصفر امام الكولونيل وانسحب . ورمقها لانسر ، ثم ضحك ضحكة أجشة وهو يقول : « هذا لك ياهنتر . . انهما كسران آخران فى خطك الحديدى »

ورفع هنتر رأسه عن الغطاء النحاسى الذى كان مكبا على فحوصه ، وسأل الكولونيل قائلا : « هل كان القاء هذه الانابيب عاما ؟ . . هل القوها فى كل مكان ؟ » . . وظهرت الدهشة على وجه لانسر وهو يجيب قائلا : « هذا هو الشئ الغريب . . فقد اتصلت بالعاصمة فعلمت انهم لم يلقوا هذه الانابيب الا هنا »

وسأله هنتر : « وما رأيك فى هذا ؟ » . . فقال : « يتعذر على ان ابدى رأيا . . لقد اختاروا هذا المكان للتجربة ، فاذا نجحوا هنا استخدموا هذه الوسيلة فى كل مكان آخر ، واذا لم تفلح هنا ، عدلوا عنها ! » . . فسأله هنتر : « وماذا انت فاعل ؟ »

لقد أمرتني العاصمة بأن أقاوم هذه الحركة بغير رحمة حتى لا يعودوا للقاء هذه الاناييب في أى مكان آخر !

وقال هنتر وقد شاب لهجته الحزن : « كيف سأصلح خمسة كسور في الخط الحديدي؟ .. ليس عندي الآن قضبان لخمس كسور » .. فأجاب لانسر : « أعتقد ان عليك ان تنزع بعض قضبان خطوط التخزين القديمة ! »

والقى الماجور هنتر الانبوبة التى مزقها على كومة الاناييب ، بينما قال لوفت : « يجب أن نتخذ اجراء سريعا يا سيدى .. يجب أن نقبض على الناس الذين يلتقطون هذه الاشياء ، وأن نعاقبهم قبل أن يقدموا على استعمالها .. ويجب أن نسرع حتى لا يظن هؤلاء الناس اننا ضعفاء ! »

وكان لانسر يبتسم ، فقال : « على رسلك يا كابتن ، فلنفحص ما أمامنا أولا ثم نفكر فى انواع العلاج » .. وأخذ طردا جديدا من الكومة وفض غلافه ، ثم تناول قطعة الشيكولاتة الصغيرة وذاقها ، وقال : « ان هذا لعمل شيطانى ، والشيكولاتة من النوع الجيد ، حتى اننى لا استطيع مقاومة اغرائها .. انها لدى بمثابة اللقية التى تسوقها المصادفات ! » .. ثم تناول الديناميت وقال : « ما رأيك فى هذا حقا يا هنتر ؟ »

— عين مائلته لك ، وهو أن الديناميت ذا الفطاء والفتيل الذى يستغرق دقيقة واحدة ، رخيص جدا .. وفعال جدا للمهام الصغيرة . وهو جيد اذا عرفت كيف تستعمله ، ردىء اذا لم تعرف ! » .. وأخذ لانسر يدرس الكلمات المكتوبة داخل الغلاف ، ثم سأل هنتر قائلا : « هل قرأت هذا ؟ » .. فأجاب هنتر : « أقيت عليه نظرة فقط ! » .. واذا ذاك قال لانسر : « لقد قرأته أنا ، وأريدك ان تنصت الى جيدا » .. ثم أخذ يقرأ من الورقة : « الى القوم الذين لا يقهرون : اخفوا هذا ولا تفصحوا أنفسكم ، فستحتاجون اليه فيما بعد ! .. انها هبة من اصدقائكم اليكم ، ومنكم الى غازى بلادكم ! .. لانحاولوا

أن تستخدموها في الأعمال الكبيرة» .. وتحول يقرأ بعد ذلك فقرات من المنشور : « اليك بيان الأعمال : خطوط السكة الحديدية الممتدة في الريف .. والعمل ليلا .. وتعطيل وسائل النقل ! .. واليك هذا الآن : تعليمات بشأن الخطوط الحديدية .. ضع أنبوبة تحت الخط بقرب التوصيلة تماما ، واحكم شدها برباط ، ثم غطها بالطين أو بالجليد الجامد حتى تثبت مكانها . فإذا أشعلت الفتيل ، فان الديناميت ينفجر بعد أن تعد الى الستين .. عدا بطيئا ! »

ثم رفع لانسر رأسه الى هنتر ، فقال هذا ببساطة : « انها لطريقة فعالة » . وعاد لانسر ينظر في ورقته ويقرأ منها بعض الفقرات : « الجسور : اضعفها ولا تدمرها ! .. وهاك أيضا : أعمدة التلفراف ، وكذلك « البرابخ » .. وعربات الشحن ! » .. ووضع لانسر ورقة التعليمات الزرقاء على المائدة وقال : « هاك كل ما يهمنا من الامر ! » .. فقال لوفت وقد شاب لهجته الفيظ : « يجب أن نفعل شيئا .. لا بد أن هناك طريقة لعلاج هذه الحال .. ماذا تقول القيادة ؟ » .. فزم لانسر شفتيه ، وعبثت أصابعه باحدى الانابيب ، ثم قال : « كنت أستطيع أن أخبرك بما عساهم أن يقولوه قبل أن ينطقوا به .. ستصدر الى الاوامر بوضع الفخاخ المزيفة ، ووضع السم في الشيكولاته ! » .. ثم سكت لحظة وأردف يقول : « انني رجل أمين ومخلص يا هنتر ، ولكنني عندما أسمع أحيانا الافكار النيرة التي تصدر عن القيادة ، أتمنى لو أنني كنت مدنيا .. بل مدنيا مسنا ، كسيحا ! .. انهم يعتقدون دائما انهم يتعاملون مع قوم أغبياء .. لست أقول أن هذا مقياس ذكائهم .. الا ترى ذلك ؟ »

وبدا المرح على هنتر وهو يقول : « أهذا رأيك ؟ » فأجاب لانسر بحدّة : « كلا ، ولكن ما الذي سيحدث ؟ .. سيلتقط رجل أحد هذه الفخاخ فينسف ويتمزق اربا .. وقد

ياكل طفل الشيكولاتة فيموت متسهما بالزرنوخ ، ثم ماذا ؟
 .. ونظر الى يديه واضاف قائلا : « سيحرقونها بالعصى الطويلة
 أو بالحبال قبل أن يلهسوها ، وسيلقون بقطع الشيكولاتة الى
 القلط أولا ليعرفوا تأثيرها عليها .. الحق أن هؤلاء قوم أذكاء
 يا ماجور ، ولن يلدغوا من الفخاخ الزائفة مرتين ! »

وتنحنج لوفت وقال : « ان هذا حديث داعية من دعاة
 الهزيمة ياسيدى .. يجب أن نفعل شيئا ! ولماذا تفترض أن
 هذه الانابيب لم تلق الا هنا يا سيدى ؟ » . فأجاب لانسر
 بقوله : « لأحد سبيين : أما ان هذه البلدة قد اختيرت جزافا ،
 أو أن ثمة اتصالا بين هذه البلدة والخارج .. فنحن نعلم
 ان بعض الشبان قد تمكنوا من الفرار »

وكرر لوفت يقول في لهجة تنم عن الكآبة والملل : « يجب أن
 نفعل شيئا يا سيدى ! » .. فالتفت اليه لانسر قائلا : « اعتقد
 اننى سأوصى باختيارك في هيئة أركان الحرب العليا ، فأنت
 تتوق للعمل حتى قبل أن تعرف كنه المشكلة ! .. ان هذا
 نوع جديد من الغزو ، فقد كان من الممكن قبلا تجريد السكان
 من السلاح وتركهم في جهالتهم ، أما اليوم فهم يسمعون
 الاذاعات ، ونحن لا نستطيع منعهم ، بل اننا لا نعثر لمذيعاتهم
 على أثر ! »

* * *

♦ وأطل جندى براسه من الباب قائلا : « المستر كوريل
 يريد مقابلتك ياسيدى » .
 فأجاب لانسر بقوله : « قل له ان ينتظر ! » .. واستمر
 في حديثه مع لوفت : « انهم يقرأون المنشورات ، وهم يزودون
 بالاسلحة من الجو ، اليوم بالديناميت ياكابتن ، وربما زودوا
 بالقنابل اليدوية ثم بالسسم ، قريبا ! » فقال لوفت في قلق :
 « انهم لم يلقوا بالسسم بعد ! »

— كلا ، ولكنهم سيفعلون . أيمكنك أن تتخيل مدى ماينال من الروح المعنوية لرجالنا ، بل مدى ماينال من روح المعنوية أنت ، لو أن الناس كانوا مزودين بتلك الألعاب من السهام الصغيرة . . تلك الأشياء الصغيرة النافهة التي تلقىها على هدف معين ، وقد تكون أطرافها مغمورة في السيانون . . أنها لعب صغيرة ، قاتلة ، صامتة ، لا تسمع صوتها وهي مصوبة اليك ، وتخترق البذة العسكرية دون أن تحدث صوتا . . ثم ماذا تكون عليه الحال إذا عرف رجالنا أن الزرنبيخ موجود بوفرة ؟ . . أيمكنهم ، بل أيمكنك أنت أن تأكل وتشرب وأنت مستريح لما تأكل أو تشرب ؟
فقال هنتر بجفاء : « هل تضع أسس حملة الأعداء ياكولونيل ؟ »

— كلا ، وإنما أنا أحاول التكهّن بها !
وقال لوفت : « نحن نجلس هنا ياسيدى لانحرك ساكنا ، في حين يقتضينا واجبا أن نبحث عن هذا الديناميت . . وإذا كانت ثمة منظمة ربطت بين هؤلاء القوم ، فيجب أن نجد في البحث عنها وأن نعمل على القضاء عليها ! » . . فأجاب لانسر قائلا : « أجل ، يجب أن نقضى عليها ، وبشدة وعنف فيما أحسب . خذ أنت سرية يالوفت ، وليأخذ براكل سرية أخرى . . كنت أتمنى لو أن عندنا مزيدا من الضباط الصغار . أن توندر لم يكن يرجى منه أقل نفع لنا . . لست أدري لم لم يفض عن النساء ؟ » . . وهنا قال لوفت : « اننى لست مطمئنا لتصرفات الملازم براكل ياسيدى »
— ماذا يفعل ؟

— أنه لايفعل شيئا ، ولكن أعصابه متوترة . . وهو الى هذا كثير الحزن ، كثير الكتابة !
فأجاب لانسر بقوله : « أجل ، أعرف هذا ، وهو أمر تحدثت عنه كثيرا ، ولو لم أكثر الحديث عنه لاصبحت لواءا !

.. لقد دربنا شبانا على الفوز ، ولا بد لك من الاعتراف بانهم
فاية في الروفة في استخلاص الفوز ، ولكنهم لا يعرفون ماذا
يعملون عند الهزيمة .. لقد قلنا لهم انهم اذكي واشجع من
غيرهم من الشبان ، فصدموا عندما عرفوا انهم ليسوا أشجع
ولا اذكي في شيء من غيرهم من الشبان !»

وقال لوفت في صوت أجش : « ماذا تعنى بالهزيمة ؟ اننا
لم نهزم !» .. فتطلع اليه لانسر ببرود لحظة ولم ينبس ببنت
شفة . وأخيرا تذبذبت عينا لوفت وقال : « سيدى » .. فقال
لانسر : « شكرا لك »

— انك لاتطلب هذا من غيرى ياسيدى !

— انهم لايفكرون في الامر ، فلا يعد عدم مصارحتى لهم
بالحقيقة اهانة . أما اذا أخفيت الحقيقة عنم يعلمها فان هذا
الاخفاء يعتبر اهانة !

فأجاب لوفت بقوله : « أجل ياسيدى »

— هلم الآن ، وحاول أن تملك زمام براكل .. ابدأوا
البحث ، ولا أحب أن تطلقوا النار الا في الاحوال العلية . .
أتفهمنى ؟

فقال لوفت : « أجل ياسيدى » . ثم أدى التحية العسكرية
وبارح الغرفة . فنظر هنتر الى الكولونيل لانسر وقال مداعبا :
« ألم تكن قاسيا عليه ؟ »

— لقد اضطررت لهذا ، فان الخوف يملأ قلبه ! ومن
الواجب تأديبه عندما يستبد به الخوف والا أنهارت أعصابه .
ان قوام حياته التأديب والنظام ، كما ان قوام حياة غيره
العاطفة والحنان ! .. أعتقد انه يحسن بك الذهاب لاصلاح
خطوطك الحديدية ، اذ يجدر بك أن تتوقع ان تكون الليلة هى
الموعد الذى ينسفونها فيها !

ونهض هنتر وهو يقول : « أجل ، وأعتقد أن القيادة توشك
ان تصدر الاوامر من العاصمة »

— أجل

— وهل هم ...

فقاطعه لانسر بقوله : « أنت تعرفهم على حقيقتهم .. أنت تعلم كيف يريدون أن يكونوا .. اقبضوا على الزعماء ، اقتلوا الزعماء .. خذوا الرهائن ، اقتلوا الرهائن ! .. خذوا المزيد من الرهائن ، واقتلوهم ! » ، وكان صوته قد ارتفع ، ولكنه لم يلبث أن انخفض ثانية حتى أصبح همسا وهو يقول : « والحقد يتزايد والواقعة بيننا تزداد تأصلا ! » . فقال هنتر في تردد : « هل حكموا بالموت على واحد ممن تضمنتهم القائمة ؟ .. » . وأوما إيماءة خفيفة صوب مخدع الصمدة . ولكن لانسر هز رأسه قائلا : « كلا ، لم يصدر عليهم الحكم بعد ، وهم حتى الآن مقبوض عليهم فقط ! »

فقال هنتر بهدوء : « أتريدني أن أوصي ياكولونيل ... لعلك مرهق ياكولونيل ، أسمح لي أن أبلغ السلطات بأنك مرهق ، منهوك القوى ؟ » . وغطى لانسر عينيه لحظة بيده ، ثم شد كتفيه ، وبدت الصرامة على أسارير وجهه وهو يقول : « لست مدنيا ياهنتر . ان الضباط ينقصوننا وأنت تعلم هذا .. اذهب الى عملك ياما جور ، أذ يجب أن أقابل كوريل » . وابتسم هنتر ، وذهب الى الباب وفتحه ، ثم قال من خارج الباب : « أجل هوهنا » ، ثم التفت وقال للانس : « انه براكل ، وهو يريد مقابلتك »

فأجابه لانسر قائلا : « دعه يدخل »

♦ ودخل براكل ، وقد ارتسمت الكتابة على وجهه ، وقال في لهجة انطوت على العداء : « سيدي الكولونيل لانسر ، بودى لو .. » ، فقطع عليه لانسر الحديث قائلا : « اجلس ، اجلس واسترح قليلا . كن جنديا مطيعا أيها الملازم »

وسرعان ما زائلت الصلابة براكل ، فتهاوى على مقعد
 بجوار المائدة ، واستند بمرفقيه عليها وقال : « بودى لو... » .
 فقال لانسر : « لا تحدث لحظة . اننى أدرك حقيقة شعورك .
 لم تكن تظن أن الامر سينتهى الى هذه الحال ، اليس كذلك ؟
 كنت تظن أن الامر سيسير على أحسن حال »
 فقال براكل : « انهم يكرهوننا .. انهم يكرهوننا أشد الكره
 وأعظمه ! »

فابتسم لانسر وهو يقول : « أترانى أصيب الحقيقة اذا
 قلت ان الشبان هم الذين يصبحون جنودا بواسل ، والشبان
 فى حاجة الى الشابات .. أترانى أصبت كبد الحقيقة ؟ »
 - أجل ، هذه هى الحقيقة !

فقال لانسر فى عطف : « حسنا ، أهى تكرهك ؟ » ..
 فنظر اليه براكل فى دهشة وهو يقول : « لست أدري ياسيدى ،
 وبخيل الى أحيانا ان شعورها لايجاوز الاسف »
 - وأنت تشعر بتعاسة كبيرة ؟
 - ان البلدة لاتروق لى ياسيدى !

- كلا ، ولكنك كنت تظن ان الامر لايعدو أن يكون لهوا .
 اليس كذلك ؟ .. لقد انهارت أعصاب الملازم توندر ، وخرج ،
 فطعنوه بسكين ! .. اننى استطيع أن أعيدك الى الوطن ، فهل
 تود أن تعود الى الوطن وأنت تعلم حاجتنا اليك هنا ؟
 فقال براكل والقلق يستبد به : « كلا ياسيندى ، فهذا مالا
 أوده »

- حسنا ، سأصارك الآن . وأرجو أن تدرك ما أقول :
 انك لم تعد رجلا .. لم تعد انسانا ، وانما أنت جندى ، فلا
 أهمية لراحتك .. بل ليست لحياتك أهمية كبيرة أيها الملازم !
 واذا امتد بك الاجل ، عشت على ذكرياتك .. وهذه هى كل
 ما ستخرج به تقريبا من الحرب ! وفى الوقت نفسه يجب أن
 تصدع بالاوامر الصادرة اليك وأن تنفذها ! .. ستبتدو لك

معظم الاوامر مقبنة بغيضة ، ولكن ليس هذا من شأنك . لن
اكذب عليك ايها الملازم . . . كان يجب أن يدربوك على هذا ، لا على
الشوارع المفروشة بالزهور والرياحين ! . . . كان يجب أن يسمعوا
روحك بالحقائق لا أن يضللوها بالكاذيب ! . . . وأخذ صوته
يشدد صرامة وهو يقول : « ولكنك قبلت المهمة ايها الملازم ،
فهل أنت مؤديها أم ستتخلى عنها ؟ . . . ليس في وسعنا أن نغنى
بروحك ونتعهدا بالتهذيب ! »

فنهض براكل وقال : « شكرا لك ياسيدى . . . واسترسل
لانسر يقول : « اما الفتاة ، ايها الملازم ، فلك أن تفتصبها أو
تفرض عليها حمايتك أو تتزوجها ، كل هذا لا أهمية له طالما
انك تقتلها عندما تؤمر بذلك ! » . . . وقال براكل في ضيق وملل :
« أجل ياسيدى . شكرا لك ياسيدى »

— أؤكد لك أن من الخير لك أن تعلم . . . أؤكد لك هذا .
من الخير لك أن تعلم ! . . . انصرف الآن ايها الملازم ، وإذا كان
كوريل ما زال منتظرا فدعه يدخل

وأخذ لانسر يراقب الملازم براكل وهو يغادر الغرفة ،
وما لبث أن أقبل المستر كوريل وقد بدا عليه التغير الشامل ،
اذ كانت ذراعه موضوعه في قالب من الجبس ، كما انه لم يعد
كوريل المرح الودود الضاحك ، وانما لأح صارم الملامح ، تعلو
وجهه سمات الحزن والالم ، وقد احولت عيناه كأنهما عينا
خنزير صغير نفق !

وقال كوريل : « كان يجب أن أحضر قبل الآن ياكولونيل ،
ولكن عدم معاونتك جعلتنى أتردد »
فأجاب لانسر : « كنت تنتظر جوابا على تقريرك فيما
أذكر »

— بل كنت أنتظر شيئا أكثر من هذا بكثير ، فقد أبيت
على مركزا من مراكز السلطان ، وقلت عنى اننى غير ذى قيمة ،
ولم تدرك اننى كنت فى هذه البلدة قبلك بزمان طويل . . . ثم



انك ابقيت العمدة في منصبه على عكس مانصحتك به !
وأجاب لانسر بقوله : « لولاه لكان من الأرجح ان تزيد
الاضطرابات على ما هي عليه ! » . فقال كوريل : « لكل رأيه .
ان هذا الرجل زعيم لقوم متمردين ! » . فأجاب لانسر :
« هراء ! ان هو الا رجل بسيط ! » . واذ ذاك أخرج كوريل
بيده السليمة دفتر أسود من جيبه الايمن ، وفتح بأصابعه ،
وقال : « لقد نسيت ياكولونيل ان لي مصادر ، واننى في هذه
البلدة قبلك بزمان طويل . . ومن ثم فانى اود ان أبلغك ان
العمدة أوردن كان على اتصال وثيق بكل ما وقع في هذه البلدة
من حوادث . وفي الليلة التى قتل فيها الملازم توندر ، كان العمدة
في المنزل الذى ارتكبت فيه جريمة القتل ، فلما هربت الفتاة التى
قتلت توندر الى الجبال ، أقامت عند أحد أقاربه . لقد تعقبته
الى هناك ، ولكنها كانت قد لاذت بالفرار . وكان أوردن على
علم دائما بهرب من يفادر البلاد من الرجال ، بل انه مد يد
المساعدة اليهم ، واننى لقوى الاشتباه فى أن له ضلعا فى قصة
تلك المظلات الصغيرة ! »

فأجاب لانسر في حمية : « ولكنك لا تستطيع اقامة الدليل على هذا »

فقال كوريل : « كلا ، لا أستطيع اقامة الدليل عليه . والموضوع الاول أعرفه عن يقين ، أما الثاني فمجرد اشتباه . . فلكل الآن مستعد أن تنصت الى » . . وأجاب لانسر بهدوء : « وما الذى تقترحه ؟ »

— ان اقتراحاتى ياكولونيل أقوى قليلا من أن تكون مجرد اقتراحات . . أن أوردن يجب أن يحتفظ به رهينة الآن ، وأن تتوقف حياته على استتباب السلام في هذه البلدة ، يجب أن تتوقف حياته على اشعال فتيلة واحدة لعود واحد من أعواد الديناميت !

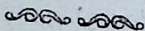
ودب يده في جيبه مرة أخرى ، وأخرج دفترا آخر مطويا ، ففتحه ووضع أمام الكولونيل قائلا : « هذا هو ياسيدى الرد الذى ورد الى من القيادة عن تقريرى . ولعلك تلاحظ انه خولنى بعض السلطان »

ونظر لانسر الى الدفتر الصغير وأجاب في هدوء : « اذن ، فقد التجأت الى القيادة من وراء ظهري ؟ » ، وتطلع الى كوريل والكره واضح في عينيه قائلا : « سمعت أنك جزحت ، فكيف وقع الحادث ؟ » . . فقال كوريل : « في الليلة التى قتل فيها الملازم توندر كان قد نصب كمين لخطفى ، وقد أنقذتنى الداورية . . وكان بعض أهل البلدة قد هرب في قاربى في تلك الليلة . . والآن ياكولونيل . . هل ألح أكثر مما ألححت في وجوب أخذ العمدة أوردن رهينة ؟ »

فأجاب لانسر بقوله : « انه هنا ولم يهرب ، فكيف نحتفظ به رهينة أكثر مما فعلنا ؟ »

وفجأة طرق اذن الرجلين صوت انفجار ، فالتفتا الى مصدر الصوت ، وقال كوريل : « هالك ياكولونيل ، وأنت تعلم جيدا انه اذا نجحت التجربة فسيكون الديناميت في كل بلد محتل ! »

- وكرر لانسر في هدوء قوله : « وما اقتراحك ؟ »
- ماقلته لتوى ، وهو أن تكون حياة أوردن رهيئة ضد
اندلاع نيران الثورة !
- وإذا ثاروا وقتلنا أوردن ؟
- يأتي إذن دور ذلك الطبيب .. فمع أنه لا يتولى منصباً ،
إلا أنه يتلو العمدة في السلطان
- ولكنه ليس من أصحاب المناصب في البلدة ؟
- أنه ينعم بثقة الناس
- وإذا قتلناه ، فماذا تكون الخطوة التالية ؟
- يؤول السلطان اليينا ونشهد الثورة . فإن التمرد يتحطم
إذا قتلنا الزعماء !
- وسأله لانسر مداعباً : « اتعتقد هذا حقاً ؟ »
- يجب أن يكون الأمر كذلك
- وهز لانسر رأسه ببطء ثم نادى يقول : « أيها الحارس ! » .
- وفتح الباب وظهر جندي على عتبته ، فقال له لانسر : « أيها
الحارس ، لقد قبضت على العمدة أوردن وقبضت على الدكتور
وينتر ، فعليك الاطمئنان الى قيام الحراسة على أوردن ، وعليك
أن تأتي بوينتر الى هنا في الحال ! »
- وأجاب الحارس بقوله : « سمعاً وطاعة ياسيدي ! »
- ونظر لانسر الى كوريل وقال : « أرجو أن تكون واثقاً مما
أنت مقدم عليه .. أرجو أن تكون واثقاً مما أنت مقدم عليه ! »



الفصل الثامن

♦ كانت الانباء تنتشر في البلدة الصغيرة انتشار النار في الهشيم . . فقد كانت تنقلها الهمسات في مداخل البيوت ، والنظرات السريعة ذات المغزى : « لقد القى القبض على العمدة » . . وسرت في البلدة موجة صغيرة هادئة من الابتهاج . . موجة صغيرة فيها قسوة وفيها عنف ، وأخذ الناس يتحدثون سويا في هدوء ثم يفرقون ، وكان الذين يدخلون منهم المتاجر لشراء حاجتهم من الطعام يميلون لحظة على أصحاب المتاجر ، فيتبادلون واياهم الهمسات !

وكان الناس يؤمون الريف ، ويتوغلون في الغابات ، بحثا عن الديناميت . وكان الاطفال يعثرون على الديناميت وهم يلعبون في الجليد ، وكانوا قد تلقوا التعليمات التي يجب عليهم اتباعها ، فكانوا يفتحون الطرود ويأكلون الشيكولاته ، ثم يدفنون الديناميت في الجليد ويخبرون اهلهم بمكانه !

وفي مكان ناء من الريف ، التقط رجل انبوبة وقرأ التعليمات ، فقال محدثا نفسه : « ترى أهذه صالحة ؟ » ، وأوقف الانبوبة على الجليد وأشعل الفتيل ، واسرع يبتعد عنها ، ثم شرع في العد ، ولكن عده كان مسرعا ، فقد وصل الى ثمانية وستين قبل أن ينفجر الديناميت ، فقال : « انها صالحة فعلا ! » ، وأسرع يبحث عن انابيب أخرى ! . . وكان الناس يهرعون الى بيوتهم في اوقات معينة ، وكانهم تلقوا اشارة بذلك ، فتفلق الابواب من خلفهم ، وتقفز الشوارع ، ويخيم عليها السكون . وكان الجنود عند المنجم يفتشون كل عامل فيه تفتيشا دقيقا عند دخوله . . يفتشونه ويعيدون تفتيشه وقد توترت أعصابهم وخشنت لهجتهم واتسمت حركاتهم بالغلظة والقسوة ! . . وكان العمال ينظرون اليهم ببرود ، وقد أومض في عيونهم لون من الابتهاج الذي

يشوبه الغل والحقد

وفي غرفة الاستقبال بقصر العمدة ، كانت المائدة قد نظفت مما عليها ، ووقف جندي يحرس غرفة نوم العمدة أوردن . . وجئت أنى أمام شباك المدفأة الحديدى تغذى النار بقطع صغيرة من الفحم ، ثم رفعت بصرها الى الحارس الذى كان يقف على باب العمدة أوردن ، وقالت فى لهجة عنيفة صارمة : « ما الذى ستفعلون به ؟ » . . فلم يحر الجندي جوابا ! . . وما لبث الباب الخارجى أن فتح ، ودخل جندي آخر يقود الدكتور وينتر من ذراعه . وأغلق الباب خلف الطبيب ، قوقف هذا مستندا الى الباب داخل الغرفة ، وقال : « هالو أنى ، كيف حال صاحب السعادة ؟ »

واشارت أنى الى غرفة النوم وقالت : « انه هنا » ، فسألها : « أليس مريضا ؟ » . . فأجابت أنى بقولها : « كلا ، لم يكن يبدو عليه المرض . سأحاول أن أنقل اليه نبأ حضورك . » وذهبت الى الحارس وخاطبته فى لهجة عاتية مستبدة : « قل لصاحب السعادة ان الدكتور وينتر هنا . . أسمعنى ؟ » ولم يجب الحارس ، بل ولم يتحرك ، ولكن الباب فتح من خلفه وأقبل العمدة أوردن قوقف على عتبة ، ثم تجاهل



الحارس وانفلت من جانبه ودلف الى الغرفة . وفكر الحارس لحظة في أن يعيده الى غرفته ، ولكنه تراجع ولزم مكانه بجوار الباب . وقال أوردن : « شكرا يا آنى ، أرجوك أن لا تبتعدى ، فقد احتاج اليك » . . فأجابت آنى قائلة : « كلا ياسيدى ، لن أبتعد . وهل سيدتى بخير ؟ »

— انها تصفف شعرها ، هل تودين مقابلتها يا آنى ؟
فقالت آنى : « أجل ياسيدى » ، وانفلتت هى الاخرى من جانب الحارس ، ودخلت الغرفة وأغلقت الباب . وقال أوردن : « أتريد شيئا يادكتور ؟ » . . فابتسم وينتر فى تهكم وسخرية ، وأشار من فوق كتفه الى حارسه ، وقال : « أعتقد انى مقبوض على ، فلقد جاء بى صديقى هذا الى هنا » . . فقال أوردن : « أعتقد ان هذا كان مقدرا أن يحدث ، ترى ماعساهم ان يفعلوا الآن ؟ »

ونظر الرجلان احدهما الى الآخر نظرة طويلة . . كان كل منهما يعرف مايدور فى خلد الآخر . وقال أوردن ، وكأنه يستأنف حديثا بداه : « انت تعلم انه ما كان فى استطاعتى أن أحول دون هذا لو أردت »

فأجاب وينتر : « أعلم هذا ، ولكنهم هم لا يعلمون ! » ، وأردف يعرب عن فكرة كانت تدور فى مخيلته : « انهم قوم فى دقة الساعة ، وقد حانت ساعتهم . . انهم يظنون اننا مثلهم : لنا زعيم واحد ، ورأس واحد . . انهم يعلمون ان الاطاحة بعشرة رؤوس تقضى عليهم القضاء المبرم ، ولكننا قوم أحرار ، لنا من الرؤوس قدر مالنا من الناس ، وفى وقت الشدة يثبت بيننا الزعماء كأنهم النباتات الفطرية السريعة النمو ! » . . ووضع أوردن يده على ذراع وينتر وقال : « شكرا لك . كنت أعلم هذا ، ولكن كان من الخير أن أسمعك منك . أتظن ان عزائم الناس ستخور ؟ » . . وأخذ يفحص وجه وينتر فى قلق ، بينما قال الطبيب مطمئنا : « كلا ، لن تهون عزيمتهم ، بل انهم سيزدادون

قوة على قوتهم ، بالمعونة الخارجية ! »

« وساد الصمت في الغرفة لحظة ، وتحرك الحارس من مكانه قليلا فأصابته بندقيته زرا من أضرار سترته .. »
وقال أوردن : « اننى أحدثك يادكتور ، وقد لأستطيع محادثتك مرة أخرى ، ففي ذهني بعض الاشياء المخجلة ! » ..
ثم سعل وألقى نظرة على الجندي الذي كان يقف جامدا ، فلما لم يبد عليه انه سمع شيئا ، أردف يقول : « لقد كنت أفكر في موتي ، فانهم اذا اتبعوا الاجراء المعتاد ، لوجب ان يقتلوني ، ثم لوجب أن يقتلوك ! » .. فلما سكت وينتر سأله العمدة قائلا :
« اليس هذا صحيحا ؟ » .. فأجاب وينتر بقوله : « نعم ، أعتقد هذا » ، وسار الى أحد المقاعد المذهبة ، وشرع يجلس عليه ، ولكنه لاحظ أن كساء المقعد ممزق ، فربت بأصبعه عليه كأن هذا يصلح من أمره ، ثم جلس في رفق عليه واستطرد أوردن يقول : « اننى خائف ، وأنت تعلم هذا .. »
وقد فكرت في بعض الوسائل للهرب حتى أخرج من هذا المأزق .. لقد فكرت في الفرار ، وفكرت في أن التمس الإبقاء على حياتي ! وان الخجل ليتولاني وأنا اذكر كل هذا .. فقال وينتر وهو ينظر اليه : « ولكنك لم تفعل شيئا من هذا ؟ »

— كلا لم أفعل

— ولن تفعل ؟

فتردد أوردن وهو يجيب : « كلا ، لن أفعله ، ولكنني فكرت فيه »

وأجاب وينتر في لطف ورقة : « انى لك ان تعلم ان الناس جميعا لا يفكرون تفكيرك ؟ انى لك ان تعلم اننى لم أفكر فيما فكرت فيه أنت ؟ »
وتساءل أوردن : « ترى لماذا قبضوا عليك أنت ايضا ؟ .. »

لابد لهم من قتلك كذلك فيما أعتقد ! » .. فأجاب وينتر بقوله :
« أعتقد هذا » ، ثم أخذ يلف ابهاميه الواحد حول الآخر ،
ويرقبهما وهما يدوران ويدوران !

وقال أوردن : « أنت تعرف هذا » .. وسكت برهة ثم
أردف يقول : « أنت تعلم يادكتور اننى رجل قليل الشأن ، وهذه
بلدة قليلة الشأن ، ولكن الشرارة التى تنبعت من أمر تافه
الشأن قد تشعل حريقا ! .. اننى خائف ، ويكاد الخوف يقتلنى !
وفكرت فى كل وسيلة يمكن أن أتوسل بها لانقاذ حياتى .. ثم
انقضى كل هذا ، وأصبحت أشعر أحيانا بشيء من الابتهاج ، كما
لو كنت قد أصبحت أكبر وأفضل مما كنت ! .. أو تعرف فيم
كنت أفكر يادكتور ؟ » .. واقتر ثفره عن ابتسامة ، وقد تواردت
على خاطره الذكريات ، وراح يقول :

« اتذكر درس « الاعتذار » فى المدرسة ؟ .. اتذكر سقراط
وهو يقول : « سيقول البعض : أو لست خجلا ياسقراط من
مجرى حياة قد تؤدى بك الى نهاية مبكرة ؟ » .. ان لدى ردا
طيبا يصلح له ، الا وهو : « انكم مخطئون ، فان الرجل الذى
يصلح لأى شيء ، يجب أن لا يحسب حساب لحظة فى الحياة
أو الموت ، بل يجب أن ينحصر تفكيره فيما اذا كان على حق أو
على خطأ فيما يفعل ! »

ثم توقف أوردن محاولا أن يتذكر ، بينما جلس الدكتور
وينتر وهو يميل الى الامام وقد أهاجته الذكرى ، وأخذ يتم
مانقص من حديث أوردن عن سقراط : « وهو يؤدى دور الرجل
الصالح أو الرجل الشرير ! » .. لا أعتقد انك تحفظه ، فماكنت
قط طالب علم مجد ، ثم انك أخطأت فى الحكم عليه كذلك !

فضحك أوردن وهو يقول : « أو تذكر هذا أيضا ؟ »
فقال وينتر فى حمية : « أجل ، أذكره جيدا .. وأذكر انك
نسيت سطرًا أو لفظًا ، فى يوم الاحتفال بالترخرج .. بل انك
نسيت أن تدخل اطراف قميصك فى « البنطلون » ، فظل

للمقيص مطلا من الخلف .. وكنت تعجب من ضحكهم ..
 فابتسم أوردن لنفسه ، وامتدت يده خفية خلفه ليطمئن الى
 ن أطراف قميصه ليست متهدلة ، ثم قال : « لقد جعلت من
 نفسي « سقراط » آخر ، فحملت على مجلس ادارة المدرسة .
 وما كان أشد حملتي عليهم ! .. لقد كنت أجار بالتشهير في
 وجوههم التي اصطبغت بحمرة قانية !
 وقال وينتر : « كانوا يجلسون انفاسهم حتى لا يستغرقوا
 في الضحك ، فقد كان ذيل قميصك خارجا » ، فضحك العمدة
 ووردن وقال : « كم انقضى على هذا الحادث ؟ أربعون عاما ؟ ! »
 - بل ستة وأربعون !



♦ **وانتقل الحارس المعين على غرفة النوم في هدوء الى**
 الحارس القائم على الباب الخارجى ، فأخذ الاثنان يتحدثان
 خلسة في صوت خافت ، وكأنهما طفلان يتحدثان في مدرسة .
 قال أحدهما : « منذ متى توليت نوبتك هذه ؟ »
 - قضيت الليل بطوله في النوبة ، ولا اكاد أستطيع فتح
 عيني !
 - وأنا كذلك . هل اتصلت بزوجتك على الباخرة امس ؟
 - أجل ! وهى ترسل اليك تحياتها ، وقد قالت انها علمت
 انك جريح .. وهى تعتذر لانها لا تكتب كثيرا
 - قل لها اننى بخير
 - سأفعل ، عندما اكتب اليها !
 ورفع العمدة رأسه ونظر الى السقف ، ثم تتم يقول :
 « هم - م - م ! .. ترى أستطيع أن أتذكر باقى القطعة ؟ » .
 فأسعفه وينتر بقوله : « والآن أيها الرجال .. » فقال أوردن في
 رقة : « والآن أيها الرجال الذين حكمتهم على .. »
 وفي تلك اللحظة دلف الكولونيل لانسر الى الغرفة بهدوء ،

فشد الحارسان من قامتيهما . وسمع لانسر كلمات العمدة ، فوقف مكانه واخذ ينصت ، بينما تطلع أوردن الى السقف وقد استغرق في التفكير ، محاولاً أن يتذكر هذا النص القديم ، ثم قال : « والآن ، ايها الرجال الذين حكمتهم علي : ان الرغبة لتتملكني في ان اتنبأ لكم . . ذلك انني على وشك الموت ، وفي سماعة الموت يوهب الناس ملكة التنبؤ . . انني لاتنبأ لكم ، انتم ياقتلتني ، بأنكم بعد موتى مباشرة . . »

ونهض وينتر وهو يقول : « رحيلي » ، فنظر اليه أوردن وقال : « ماذا ؟ »

فأجاب وينتر : « ان النص هو « رحيلي » لا « موتى » . . لقد وقعت في هذا الخطأ قبلاً . . لقد ارتكبت هذه الغلطة منذ ستة وأربعين عاماً »

— كلا ، بل النص « موتى » ، أجل ، النص هو : « موتى » . ثم التفت فوجد الكولونيل لانسر يراقبه ، فقال : « أليس اللفظ هو موتى ؟ » . . وأجاب الكولونيل لانسر بقوله : « بل «رحيلي» ، ونص العبارة هو : بعد رحيلي مباشرة ! » وقال الدكتور وينتر مصراً : « أرايت ؟ . . اثنان ضسيد واحد ! اللفظ هو « رحيلي » ، انها نفس الغلطة التي ارتكبتها قبلاً »

وحقق أوردن النظر أمامه ، وبدا كأنه ينقب في ذاكرته يستوحيها باقى القطعة ، وكأنه لا يرى شيئاً مما كان حوله . وما عثم أن أردف يقول : « انني لاتنبأ لكم ، انتم ياقتلتني ، بأنكم بعد رحيلي مباشرة ستتلقون من غير بد عقاباً أشد هولاً من العقاب الذى أنزلتموه بى ! »

وأوماً وينتر برأسه مشجعاً ، كما أوماً الكولونيل لانسر ، وكأنهما يحاولان أن يعيناه على التذكر . . بينما استرسل أوردن يقول : « لقد قتلتمونى أنا لانكم أردتم أن تهربوا ممن يتهمكم ، وان لاتقدموا حساباً عن حياتكم ! »

وهنا اقتحم الملازم براكل الغرفة ثائرا يقول : « كولونيل لانسر ! » .. فقال الكولونيل : « صه ! » ، ورفع يده ليحول دون استمراره في الحديث !

واستطرد أوردن يقول في صوت خافت : « ولكن الامر لن يكون كما ظننتم ، بل انه على النقيض »
ثم اشتد صوته : « لاننى اقول لكم ان عدد من يتهمونكم سيزداد عما هو عليه الآن ! » .. وأشار بيده كالخطيب وهو يسترسل قائلا : « لسوف يتهمكم أولئك الذين كنت أصدهم عنكم حتى اليوم .. وبما انهم أصغروا منى سنا ، فسوف يكونون أكثر تهورا في معاملتكم ، وسوف يشتمد استيائؤكم منهم ! » .. ثم قطب حاجبيه وهو يحاول ان يتذكر مزيدا من مرافعة «سقراط» امام الذين حاكموه !

وقال الملازم براكل : « لقد وجدنا الديناميت في حوزة بعض الرجال يا كولونيل » .. فأجابه لانسر بقوله : « صه ! » ..
بينما استرسل أوردن في التلاوة : « اذا ظننتم انكم بقتلكم الناس تستطيعون منع شخص من انتقاد حياتكم الشريرة ، فانكم تخطئون ! » ، ثم قطب حاجبيه ، وفكر قليلا . ورفع بصره الى السقف ، وابتسم في حيرة وهو يقول : « هذا كل ما أستطيع ان اذكركه ، لقد غاب عنى الباقي ! »

وقال الدكتور وينتر : « هذا قدر طيب جدا بعد ستة واربعين عاما .. بل انك لم تكن تحسنه الى هذا الحد منذ ستة واربعين عاما ! »

وقطع عليه الملازم براكل حديثه قائلا : « وجدنا الديناميت مع بعض الرجال يا كولونيل لانسر »
— هل قبضت عليهم ؟

— أجل ياسيدي ، فان الكابتن لوفت ..
وقال لانسر : « قل للوفت ان يشدد الحراسة عليهم » ،
ثم استعاد وعيه وتقدم في الغرفة قائلا : « ان هذه الحوادث

يجب أن تمتنع يا أوردن .. فابتسم العمدة في عجز وهو يقول : « لا يمكن أن تمتنع ياسيدى »
وقال الكولونيل لانسر في صوت شابه العنف : « لقد قبضت عليك رهينة لحسن سلوك الشعب ، وقد أصدرت أنا هذا الامر ! » .. فأجاب أوردن ببساطة : « ولكن هذا لن يحقق امتناع الحوادث .. أنك لا تدرك الحقيقة .. اننى اذا أصبحت حائلا دون ارادة الشعب فلن يتردد الشعب في التصرف دون الرجوع الى ! »

فقال لانسر : « حدثنى صراحة عما تعتقد .. اذا علم الناس اننا سنقتلك لو انهم اشعلوا فتيلًا آخر ، فماذا تراهم يفعلون ؟ »
.. فنظر العمدة الى الدكتور في حيرة !



♦ **واذ ذاك** فتح باب غرفة النوم ، وخرجت زوجة العمدة تحمل قلادة العمودية وشارة منصبه في يدها ، وقالت : « لقد نسيت هاتين ! »
فقال أوردن : « ماذا ؟ اى نعم » .. وطأطأ رأسه ، فرفعت السيدة القلادة فوق رأسه والبسته اياها ، فقال : « شكرا لك ياعزيزتى »

وأخذت السيدة تشكو قائلة : « أنك تنساها دائما ! أنك لاتذكرها قط ! » .. فنظر العمدة الى طرف القلادة التي يمسكها في يده - الوسام الذهبى - وقد نقشت عليه شارة منصبه .. والى عليه لانسر فى السؤال وهو يردد : « ماذا تراهم يفعلون ؟ »

وأجاب العمدة : « لست أدري ! أظنهم يشعلون الفتيل ! »
- هب أنك طلبت منهم ان لا يفعلوا ؟

فقال وينتر : « شاهدت هذا الصباح ياكولونيل صبيا صغيرا يبني من الجليد هيئة رجل ، فى حين وقف ثلاثة من

جنودكم البالغين يراقبونه حتى لا يقلد صورة زعيمكم ، ومع ذلك فإنه اتقن الشبه في الوجه الذى رسمه قبل أن يعمد الجنود الى اتلاف الشكل الذى بناه !»

وتجاهل لانسر الطبيب ، وعاد يردد قائلا للعمدة : « هب انك طلبت اليهم ان لا يفعلوا » . . وبدا كأن أوردون يقاوم النوم ، وحاول ان يفكر ، ثم مالبت أن قال : « لست رجلا شجاعا جدا ياسيدى ، ولكننى أعتقد أنهم يشعلون الفتيل على كل حال ! » . . وبدا كأنه ينتزع الكلمات انتزاعا وهو يردف : « أرجو أن يفعلوا . على أنهم سيستاءون اذا طلبت منهم غير ذلك ! »

وتساءلت زوجة العمدة : « فيم كل هذا ؟ »
فأجاب العمدة : « الزمى الهدوء قليلا يا عزيزتى »
والح لانسر فى سؤاله قائلا : « ولكن هل تظن أنهم سيشعلونه ؟ »

فأجاب العمدة فى زهو وكبرياء : « أجل ، سيشعلونه . ليس لى الخيار فى الحياة أو الموت ياسيدى ، ولكن لى الخيار فى الوسيلة التى أسعى بها الى احدى هاتين الفأيتين ! واذا أنا قلت لهم لا تقاقلوا ، فسيشتد بهم الاسف ، ولكنهم سيقاقلون . أما اذا قلت لهم قاقلوا ، فسيستفزعهم الطرب ، وأكون أنا الذى لم أوت قدرا كبيرا من الشجاعة - قد زدت من شجاعتهم قليلا ! » ، وابتسم وكأنه يعتذر عما يقول ثم استطرد : « فأنت ترى ان الامر سهل على مادامت نهايتى لن تتغير فى الحالين ! »

فأجاب لانسر بقوله : « اذا قلت نعم فسنقول لهم انك قلت لا ، وسنخبرهم انك التمسيت الابقاء على حياتك ! » ، فقاطعه وينتر وقد تملكه الغضب : « سيعرفون الحقيقة ، فانكم قوم لا تحافظون على الاسرار ! لقد خانت أحد رجالكم أعصابه ذات ليلة ، وقال ان الدباب قد غلب ورق صيد الدباب على أمره ، فسربت هذه العبارة الى الامة جمعاء . . بل ان الناس جعلوا

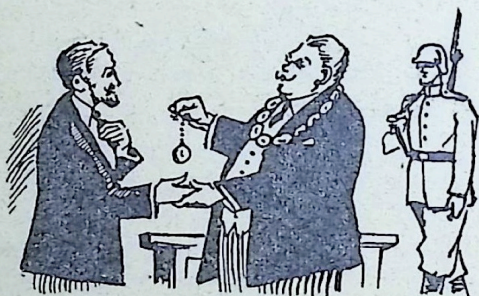
منها أغنية . لقد غلب الذباب ورق صيد الذباب على أمره ! ..
 انكم لاتحافظون على الاسرار ياكولونيل ! »
 ورن في آذانهم صفير مدو من ناحية المنجم ، وهبت لفحة
 سريعة من الرياح حملت معها الجليد وألقت به على النوافذ ..
 وأخذ أوردن يعبث بوسامه الذهبي ، ثم قال في هدوء : « أرايت
 ياسيدي ؟ لاشيء يمكن أن يغير من مجرى الاحوال . ستوردون
 مورد التهلكة ، وستطردون من البلاد ! » .. ثم قال في لهجة
 رقيقة : « ان الشعب لا يحب ان يقهر ياسيدي ، وهكذا لن
 تستطيعوا أن تغلبوه على أمره . ان الاحرار لا يمكن أن يبدأوا
 حربا ، ولكن ما أن تبدأ الحرب حتى يقتتلوا ولو وقعت بهم
 الهزيمة . أما قطعان الناس الذين ينساقون لزعيم واحد ، فلا
 يمكن أن يفعلوا هذا .. ومن ثم فإن القطعان هم الذين يفوزون
 دائما في المعارك والاشتباكات .. أما الاحرار فهم الذين يفوزون
 في نهاية الحروب ! .. ستجد الامر كما أقول ياسيدي ! »
 وكان لانسر منتصب القامة ، وقد جمدت اطرافه ، فقال :
 « ان أوامري صريحة ، وقد حددت الساعة الحادية عشرة
 لتنفيذها ، وأخذت الرهائن ، فاذا وقع شيء من حوادث العنف
 أعدمت الرهائن »

وسأل الدكتور وينتر الكولونيل قائلا : « هل ستنفذ
 الاوامر وأنت تعلم أن مآلها الى الفشل ؟ »
 وكست مسحة من الصرامة وجه لانسر وهو يقول :
 « سأنفذ أوامري مهما تكن قسوتها ، ولكنني أعتقد ياسيدي
 أن تصریحا منك قد ينقذ أرواحا كثيرة » .. وهنا تدخلت
 السيدة في الحديث ، وقالت لزوجها في لهجة استعطاف : « بالله
 خبرني فيم كل هذا الهراء »
 - انه هراء يا عزيزتي !

وأخذت تجادله قائلة : « ولكن لا يمكنهم القبض على العمدة »
 .. فابتسم أوردن لها وهو يقول : « كلا ، لا يمكنهم القبض

على العمدة ، فالعمدة فكرة تتمثل للاحرار .. وستقلت من الاعتقال ! »

وسمع من بعيد صوت انفجار رددت صداه الجبال . وما لبث ان ارتد ثانية ، فأطلقت صافرة المنجم انذارا حادا مدويا . ووقف أوردن وقد توترت أعصابه لحظة ، ثم ابتسم .. ودوى صوت انفجار ثان ، أقوى في هذه المرة دويا وأقرب موقعا ، فنظر العمدة الى ساعته ، ثم تناول الساعة وسلسلتها ووضعها



في يد الدكتور وينتر ، وسأله : « ماذا فعل الذباب ؟ » فأجابه وينتر قائلا : « لقد غلب الذباب ورق صيد الذباب على أمره ! »

ونادى أوردن قائلا : « آنى ! » ، ففتح باب غرفة النوم في الحال . وقال العمدة : « أكنت تتسمعين الحديث ؟ » .. فأجابت آنى وقد غلبها الخجل : « أجل ياسيدى ! » ثم دوى صوت انفجار ثالث قريب ، وسمع صوت تكسر الخشب والزجاج . وانفتح الباب القائم خلف الحارسين ، وقال أوردن : « أحب يا آنى ان تبقى مع سيدتك طالما هي في حاجة اليك ، ولا تتركها وحدها ! » . ووضع ذراعه حول السيدة ، وطبع قبلة على جبينها ، ثم سار ببطء نحو الباب حيث كان

الملازم براكل ينتظره . والتفت وهو على عتبة الباب الى الدكتور وينتر ، وردد ما قاله سقراط في الزمن الغابر لصديقه كريستو : « اننى مدين لاسكليپوس (١) بديك يا كريستو (٢) ، فهل لك أن تذكر وفاء دينى ! » . وكانت عبارته مصوغة في لهجة رقيقة ناعمة .

وأغلق وينتر عينيه لحظة قبل أن يجيبه قائلا : « سأوفى دينك ! »

وضحك أوردن عندئذ وهو يقول : « لقد تذكرت هذا الدين ، ولم أنسه ! » ، ووضع يده على ذراع براكل ، فجذب الملازم ذراعه بعيدا عن ملمسه . واذا ذاك أوماً وينتر برأسه في بطء وقال : « أجل ، انك تذكرته ، وسأوفيه أنا ! »

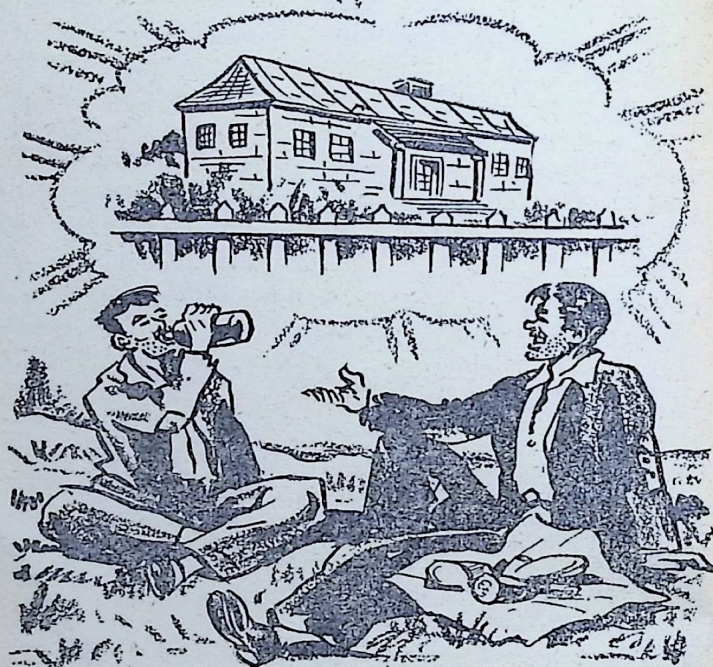
انتهت

(١) كان اسكليپوس اله الطب والشفاء في الاساطير الاغريقية ، وتضحي له الذبيحة

(٢) كان كريستو صديق سقراط ، وقد حاول أن يمهّد له سبيل الفرار

الساكنان

(عن "تورتيل فلات")



TORTILLA FLAT

طريقة جديدة .. في تأليف القصص !

♦ ابتكر « جون شتاينبيك » طريقة طريقة في تأليف الروايات .. فهو يجعل من كل فصل في الرواية قصة قائمة بذاتها ، وفي الوقت ذاته تؤولف الفصول معا قصة كبيرة متماسكة . وفي الصفحات التالية ، نقدم لك فصلين من رواية « تورتيلا فلات » ، التي تعتبر بداية مجد « شتاينبيك » .. وستلمس ان كل فصل منهما يكون قصة تصويرية فكهة ، وان الفصلين معا يكونان قصة كاملة ذات مغزى وحبكة ! ونردف هذين الفصلين باحدى القصص القلائل التي كتبها « شتاينبيك » ونشرها على انها قصص قصيرة مستقلة .. وستلمس في تلك القصة - عبد زوجته أو « سرج الحصان » ! - روعة أسلوب « شتاينبيك » ، وجمال الفكرة !

(١) داني

كيف عاد داني الى وطنه بعد الحرب ليجد نفسه وارثا ، وكيف آلى على نفسه ان يكون حاميا للضعفاء !

♦ علم داني - حين عاد الى الوطن ، بعد ان سرح من الجيش - انه صار وارثا ، ومالكا عقاريا . فان جده الشيخ قد مات ، وخلف له البيتين الصغيرين الثائمين على هضبة (تورتيلا) وعندما علم داني بهذا الميراث ، أثقل الشعور بالمسئولية - كمالك - قلبه .. فابتاع جالونا من النبيذ الاحمر ، وتجرجع معظمه قبل ان ينهب ليتفقد عقاره . واذا ذلك فارقه هم المسئولية ، وطفقت على سطح شخصيته أسوأ معالم فطرته ، فراح يصيح ، وحطم بعض المقاعد في حانة بشوارع (الغارادو) ، وخاض غمار مشاجرتين قصيرتين ، ولكنهما مظفرتان .. ومع ذلك فان أحدا لم يول داني كثير اهتمام ، فما لبثت ساقاه المقوسستان ،

الفرنحجان ، ان حملته صوب الميناء ، حيث كان صيادو السمك الايطاليون يتوافدون في هذه الساعة المبكرة من الصباح - وقد ارتدوا احذية خفيفة من المطاط - لينطلقوا الى عرض البحر ..

وتغلب التحمس العنصرى على تعقل دانى ، فراح يتوعد الصيادين ، ويرميهم بأقذع النعوت ، صائحا : « ايها الصقليون .. يا اولاد السفاح ! » .. و « ايها الطغام الوافدون من جزيرة السجن ! » ، و « يا كلاب ، يا سلالة الكلاب ! » .. وراح يضع اصبعه على انفه ، ويهز ما تحت وسطه في حركات وقحة مستهجنة ! ولكن الصيادين لم يجيبوه باكثر من ابتسامات رائية ، ثم حركوا مجاذيفهم وهم يقولون : « اهلا بك يا دانى .. متى عدت الى الوطن ؟ .. تعال الليلة ، فلدينا نبيذ جديد ! »

ولم يزد هذا دانى الا هياجا ، فصاح بأعلى صوته يسبهم .. ولكنهم اجابوه قائلين : « مع السلامة يا دانى .. تعال الليلة ! » ، ثم حركوا مجاذيفهم حتى خرجت زوارقهم من المياه الضحلة ، واذا ذاك اداروا محرركاتها ، وابتعدوا في عرض البحر !

ورأى دانى في مسلكهم اساءة له ، فكر راجعا الى شارع (الفارادو) ، وحطم زجاج نافذتين في طريقه ، حتى اذا بلغ الصف الثانى من بيوت ذلك الشارع ، تلقفه رجل البوليس . ولما كان دانى يحترم القانون احتراماً بالغا ، فقد بادر الى الهدوء . ولولا انه كان قد سرح لتوه من الجيش - بعد الانتصار على المانيا ! - لقضى عليه بالسجن ستة اشهر . اما والحال هذه ، فان القاضى اكتفى بان حكم عليه بالسجن لثلاثين يوما فقط !

ومن ثم ، جلس دانى على فراشه في سجن مدينة (مونتيرى) شهرا . وكان يرسم أحيانا على الجدران صورا مستهجنة ، بينما يسترجع - في أحيان أخرى - ذكرى خدمته في الجيش . وثقلت عليه وطأة الوقت وهو يمر متباطئا اثناء وجوده في سجن المدينة . وكان يزج في السجن بسكر بين أن وآخر ، ولكن اقامته لم تكن تزيد على ليلة واحدة . وفيما عدا ذلك كانت حرفة الاجرام راکدة السوق في (مونتيرى) ، فكان دانى وحيدا في سجنه أغلب الوقت . ولقد اقض البق مضجعه بمض الشيء في البداية ، ولكنه لم يلبث ان انسجم معه بعد ان اعتاد مذاق دمه ، وبعد ان ألف دانى ليلاته !



• وبدأ يمارس لعبة ساخرة ، فأمسك ببقة وسحقها في الجدار ، ثم رسم حولها دائرة بالقلم الرصاص ، وأسمها « العمدة كلو » ! وأمسك بعد ذلك ببقات أخرى ، أطلق عليها أسماء أعضاء مجلس المدينة . ولم ينقض طويل وقت ، حتى ازدان الحائط ببقات مسحوقة تحمل أسماء أعيان المدينة . ثم رسم لها داني آذانا وذيو لا ، وخلع عليها أنوفا وشوارب طويلة ! .. وبهت « تيتو رالف » - السجبان - وأحس باستنكار ، ولكنه لم ينبس بأية شكوى ، لأن داني لم يكن قد ضم الى معرضه القاضى الذى أصدر الحكم عليه ، ولا أحدا من قوة البوليس .. فقد كان عظيم الاحترام للقانون !!

وفي ذات ليلة ، أمضت الوحدة « تيتو رالف » ، فوفد على زنزانة داني وهو يحمل زجاجتين مليئتين بالنبيذ .. وان هى الا ساعة ، حتى خرج ليحضر مزيدا من النبيذ ، فصحبه داني الى الخارج ، اذ كان جو السجن خاليا من البهجة ! .. ومكثا في حانة « توريلى » يعبان الخمر عبا ، حتى ألقى بهما توريلى الى الرصيف .. فيهم داني عقب ذلك شطرقابات الصنوبر ، حيث استسلم للنعاس ، بينما اتخذ « تيتو رالف » طريقه عائدا الى السجن وهو يترنج ، وأبلغ المسئولين ان داني قد هرب !

وعندما ايقظت الشمس الوضاحة داني حوالى الظهر ، قرر أن يختبئ طيلة النهار ليفلت ممن قد يطارده ، ومن ثم أخذ يجرى محتما بالادغال ، مرسلا بصره خلال الاشجار المنخفضة كما لو كان ثعلبا مطاردا . وعندما هبط المساء ، واطمان الى انه نجا بجلده من أية مطاردة ، خرج من مخبأه ، وبدأ العمل من أجل « مهمته » ! .. وكانت مهمة صريحة ، اتخذ سبيله اليها مباشرة . فقد سعى الى الباب الخلفى لاحد المطاعم ، وسأل الطاهى : « هل أجد لديك شيئا من الخبز القديم لكلبى ؟ » . وبينما كان الرجل الطيب يلف له غداء « الكلب ! » ، سرق داني شريحتين من لحم الخنزير ، وأربع بيضات ، وقطعة من فخذ الضأن ، وطائرا ذبيحا !

وقال للطاهى وهو يتناول منه كيس الخبز : « لسوف أدفع لك الثمن فيما بعد »

- لا داعي لان تدفع ثمننا لفصلات .. اننى مضطر لان أقيها خارج

المطبخ ، اذا انت لم تأخذها !

وارتاح بال داني اذ ذاك ازاء السرقة .. فقد اعتبر قول الطاهى شاملا لكل ما أخذ ، ومن ثم لم يكن عليه أى جناح أو وزر .. فى الظاهر ، على الأقل .. وتسلسل داني عائدا الى حانة « توريللى » ، حيث استبدل بالبيضات الاربع ، وفخذ الضأن ، والطنائر ، ملء كوب ماء من الحساء ، ثم ارتد الى القابات ، ليعد عشاءه ..



• وكانت الليلة معتمة ، رطبة ، وقد أطبق الضباب على اشجار الصنوبر السوداء التى كانت تقوم كحراس ساهرين على اطراف (مونتييرى) . واندس داني بين الاشجار ، وأخذ يجرى موقلا فى القابات ، باحثا عن ملجأ ، فما لبث ان رأى أمامه شجعا آخر ايمضى مهرعا . واذ جهد فى الجرى ليقترّب منه ، أدرك من مشيئته انه صديقه القديم « بيلون » . وكان داني رجلا كريما سخيا ، ولكنه تذكر انه قد باع كل ما كان معه من طعام ، اللهم الا قطعتي لحم الخنزير ، وكيس الخبز الجاف ، ومن ثم قال لنفسه :

— ساتفاضى عن بيلون وأسبقه ، فانه يبدو كرجل امتلا بطنه بديك رومى وما الى ذلك .. فهو فى غير حاجة الى كرمى !

على ان داني لم يلبث أن لاحظ ان « بيلون » كان يضم طرفى سترته الى صدره فى شغف واعتزاز ، فصاح : « ايب .. ه ! بيلون .. ايبها الصديق ! » وأوسع بيلون من خطاه ، فجعد داني فى ملاحقته راكضا ، وهو يقول : « بيلون ، ايبها الصديق الصغير ! .. الى اين تراك مسرعا ؟ »

ولم يجد بيلون حيلة ازاء أمر لا مفر له منه ، فتوقف وانتظر . ولحق به داني وقد أخذ الاعياء منه ، ولكن لهجته ظلت رقيقة ، حارة ، وهو يقول : « لقد كنت أبحث عنك يا أعز الاصدقاء من الملائكة الصغار ! .. كنت أبحث عنك ، لأننى أحمل شريحتين من لحم الخنزير ساقهما الله لى ، وكيسا من الخبز الابيض اللذيذ .. فشاركنى هذا الخير يا بيلون الصغير العزيز ! »

وهز بيلون كتفيه وتمتم فى جفاء : « وهو كذلك ! » .. وسارا معا موقلين فى القابة ، وقد استبدت الحيرة ببيلون . على انه لم يابث فى النهاية ان توقف ، والتفت الى صديقه ، ثم ساله فى اسى : « صارحنى يا داني .. كيف

تسنى لك ان تعرف اننى احمل تحت سترتى زجاجة براندى ؟ »
 وصاح داني : « براندى ؟ .. هل معك براندى ؟ » .. ثم انقلبت لهجته
 الى دعابة وهو يقول : « لعله لام عجوز مريضة .. او لعلك تحتفظ به لمولانا
 يسوع المسيح عندما يعود الى الارض ثانية ؟! .. ولكننى لست سوى صديق ،
 فباى حق اسالك عن غايتك من هذا البراندى ؟ .. بل اننى غير متأكد
 من انك تحمل براندى ، على الاطلاق ! .. ثم اننى لست ظامًا ، ولن امس
 هذا البراندى . ولكننى ارحب بك لتشاطرنى ما لدى من لحم الخنزير ..
 اما البراندى ، فهو لك .. انه برانديك ! »
 فاجاب بيلون في حزم : « اننى لا احجم عن ان اشرك معى في هذا
 البراندى يا داني .. فلنقتسمه مناصفة ، لان واجبى يقضى على بان لا ادك
 شربه كله فتشمل ! »



• وتفاضى داني عن الموضوع فترة ، ولكنه لم يلبث ان قال : « ها هى
 ذى بقعة خالية من الاعشاب ، فتعال اليها .. وسانضج لحم الخنزير ، بينما
 تقعد انت قطع الخبز التى يحويها هذا الكيس . ضع برانديك هنا يا بيلون
 .. هذا المكان انسب ، اذ ييسر لنا السبيل الى مراقبته دون ان يشغل كل
 منا من الآخر ! »

وجمعا بعض الاغصان والاوراق فاتخذها وقودا لنار اشعلها ، وانضجا
 عليها لحم الخنزير ، والتهما الخبز القديم . واخذ البراندى ينكمش بسرعة
 فى الزجاجة .. فقد استلقيا الى جوار النار بعد ان فرغا من الاكل ، واخذا
 يحترسان من الزجاجة على مهل ورفق ، كنهلتين ترتشفان الرحيق .. بينما
 هبط عليهما الضباب فكسا سترتيهما بالندى . وتنهدت الريح باسى بين
 افنان اشجار الصنوبر التى كانت تحيط بهما ..

وبعد فترة ، اكتنف داني وبيلون شعور من الوحدة الموحشة ، اذ اخذ
 داني يفكر فيمن فقد من اصدقاء .. وما لبث ان راح يتحسس ذراعيه بكفيه ،
 وهو يتساءل : « اين ارثر مورالس ؟ » .. ثم اجاب بنفسه عن السؤال ،
 وهو يترك ذراعيه تترائخان فى اسى : « لقد مات فى فرنسا .. مات فى سبيل
 الوطن .. مات فى بلد اجنبى ! .. ان الاغراب يسهرون على مقربة من مثواه ،

يون ان يعرفوا ان ارثر مورالس يرقد في جوف الثرى هناله ! « .. ثم عاد
يرحف براحيته الى اعلى ذراعيه ، ويتسائل : « واين بابلو .. ذلك الرجل
الطيب ؟ »

وجاء الجواب من بيلون في هذه المرة ، اذ قال : « في السجن ! .. لقد
سرق بابلو اوزة ، واخفاها في احد الادغال .. ولكن الاوزة عصت بابلو ،
فصرخ ، وفصح نفسه ! .. وهو الان ملقى في السجن لسته اشهر ! »

وتنهى داني في حزن ، ثم عدل عن الموضوع وتحول الى سواه ، اذ فطن
الى انه قد تحدث عن الصديق الوحيد الذى يستطيع ان يستغل ذكره ليمرض
بالغته في الرئاء ! .. ولكن الوحشة عادت تمضه وتثقل عليه ، فاخذ يبحث
عن مهرب منها . وما لبث ان قال اخيرا : « ها نحن نجلس ... » ، فقاطعه
بيلون وهو يكمل العبارة بأسلوب شاعرى : « كسرى القلب ! »

ولكن داني قال : « لسنا ننظم شعرا .. انما اردت ان اقول اننا نجلس
هنا شريدين بلا ماوى .. لقد وهبنا ارواحنا للوطن ، وها نحن نمود فلا نجد
سقفا يظلمنا ! » .. فعقب بيلون مواسيا : « ولكننا لم نؤت في حياتنا من قبل
سقفا يطلو رؤوسنا ! »



• واقبل داني على الزجاجة يعب منها وهو غالب الوعى ، حتى مسر
بيلون ساعده ، واخذ الزجاجة منه ، فقال داني : « ان هذا يذكرنى بقصة
رجل كان يملك بيتين ... » ، وامسك فجأة عن الكلام ، وفرفاه ، ثم صاح :
« بيلون ! .. بيلون ، يا صديقى الطفل الشبيه بالبطة الصغيرة السمينة !
.. لقد نسيت ! .. نسيت اننى ورثت ! .. اننى املك بيتين ! »
فتسائل بيلون ساخرا : « لعلهما بيتان للدعارة ؟ ! » ، ثم اردف قائلا :
« يا لك من كذاب ثمل ! »

— لا يا بيلون .. انما اقول الحقيقة . لقد مات « الشيخ » واصبحت
ورثه .. فانا احب حفيد لديه !
فقال بيلون الذى كان يؤثر الواقعية : « انك الحفيد الوحيد له .. واين
هذان البيتان ؟ »

- اتعرف بيتي الشيخ على هضبة تورتيللا يا بيلون ؟

- هنا .. في مونتيري ؟

- اجل ، هنا في مونتيري .. على هضبة تورتيللا

- وهل هما صالحان .. هذان البيتان ؟

فتها لك داني على العشب ، وقد انهكه اصطخاب المشاعر في نفسه ،

ثم قال : « لست أدري .. لقد نسيت انني أصبحت مالكهما ! »

وظل بيلون في مجلسه مستغرقا في التفكير ، وقد ازداد تسلط الوجوم

والأسى على أساريه .. ثم ألقى بحفنة من أقماع الصنوبر في النار ، وراح

يرقب اللهب وهو يذكو ويندلع حتى أتى عليها وعاد الى الخفوت . وتحول

بعد ذلك يتفرس في وجه داني طويلا ، وقد تجلى عليه القلق ، ثم أرسل زفرة

عالية . وزفر مرة أخرى ، قبل ان يقول في صوت حزين : « ها قد انتهى

كل شيء .. ها قد انقضت الاوقات العذبة الحافلة .. لسوف يحزن

أصدقاؤه ، ولكن الحزن لن يجدي فتيلا ! »

فوضع داني الزجاجاة على الارض .. والتقطها بيلون فوضعها في حجره ..

وما لبث داني ان تساءل : « ما هذا الذي انقضى ؟ .. ماذا تعنى ؟ »

فاجاب بيلون وكأنه يستأنف حديثه السابق : « انها ليست المرة

الاولى ! .. ان المرء يقول لنفسه اذا ما كان فقيرا : « لو انني أوتيت مالا ،

لاقتسمته مع اصدقائي » .. ولكن ، ما ان يواتيه المال ، حتى تتبخر روح

الخير من نفسه . وهكذا الحال معك .. أنت يا من كنت صديقي يوما ! ..

لقد ارتفعت فوق مستوى أصدقائك ! .. أصبحت من أصحاب العقارات

.. لسوف تنسى اصدقائك الذين تقاسموا معك كل شيء .. حتى البراندى !!

وحركت كلماته أشجان داني ، فهتف : « لا .. انني لست من هذا

النوع ! .. لن أنساك قط يا بيلون ! » .. ولكن بيلون قال في فتور : « هكذا

يخيل إليك ، ولكنك لن تلبث ان ترى نقيض ذلك ، اذا ما أصبح لك بيتان

تاوى اليهما ! .. لسوف يظل بيلون فلاحا فقيرا ، في الوقت الذي تجلس انت

فيه مع العمدة على مائدة واحدة ! »

فهب داني من مجلسه مترنحا ، ثم استند الى شجرة ريثما يتمالك

توازنه ، وقال : « انني أقسم لك يا بيلون ان مالي سيصبح مالك .. ولسوف

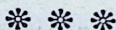
اكتفى ببيت ، ليكون لك أنت الآخر بيت ! .. الا اعطنى رشفة من الشراب !
 .. ولكن بيلون قال في صوت متعاس : « لن أصدق هذا حتى أراه رأى
 العين .. ولو صح لكان أعجوبة من أعاجيب الدنيا ، ولسوف يتوافد الناس
 من آلاف الاميال ليشاهدوه ! .. والى جانب هذا أحب أن أقول لك إن
 الزجاجة قد فرغت ! »

(٢) بيلون

كيف ان الطمع في استغلال الموقف أغرق
 بيلون على أن يستثمرى كرم داني !
 تركهما المحامى عند الباب الخارجى للبيت الثانى ، وصعد الى
 سيارته « الفورد » ، وانحدر بها على السفح ميمما شطر (مونترى)
 ووقف داني وبيلون أمام السياج المجرد من الطلاء ، وراحا يتأملان المبنى
 فى اعجاب : كان بيتنا منخفضا ، ملطخا بآثار قديمة لطلاء الجير ، وقد بدت
 نوافذه بلا ستائر ولا مصاريع خشبية . ولكن « السلامك » كان مزدانا بشجرة
 ورد أحمر كبيرة ، كما كانت زهور « الجيرانيوم » - التى زرعها الجد -
 تنمو بين الاعشاب الطفيلية فى الساحة الامامية للدار !
 وقال بيلون : « هذا أفضل البيتين .. فهو أكبر من الآخر ! »
 وكان داني يمسك فى يده مفتاحا كبيرا ، فسار على أطراف أصابع قدميه
 عبر « السلامك » المهشم الارضية ، ثم فتح باب الدار ..
 وكانت القاعة الرئيسية على حالها المألوفة أيام كان الشيخ يقيم فى البيت
 .. فهناك تقويم سنة ١٩٠٦ (نتيجة الحائط) الوردى اللون . وكان العلم
 الحريرى مثبتا الى الجدار ، وكذا لوحة تمثل بارجة ضخمة يطل من ثناياها
 المحاربون ، فى الايام الاولى لتعمير أمريكا . وكانت تتدلى من الجدار باقة من
 الورد المصنوع من الورق الاحمر ، وحبال محملة بالفلفل الاحمر والثوم ، وقد
 تراكم عليها القبار .. وثمة مدفأة بالنفس (كوابور الغاز) ومقعدان هزازان
 متداعيان !

واطل بيلون خلال الباب وقال وهو متهدج الانفاس :
 - ثلاث غرف .. وسرير ومدفأة .. لسوف نعيش سعيدين هنا يا داني !
 وكان داني طيلة الوقت يقف غارقا فى ذكريات اليمة تدور حول جده .

ولكنه لم يلبث ان شرع يجوس في أرجاء البيت بحذر . ومرق بيلون من جانبه ليتقدمه ، ثم سار الاثنان الى المطبخ .. وهتف بيلون : « وهذا حوض ذو صنوبر ! » ، ثم ادار مقبض الصنوبر ، وعاد يقول : « لا ماء هنا يا داني .. يجب ان تطلب الى الشركة ان توصل الماء ثانية ! »
ووقفا وجهها لوجه ، ثم ابتسم كل منهما للآخر . ولاحظ بيلون ان هموم الملكية والثروة قد بدأت تثقل أسارير داني ، فحقق قلبه رثاء : لن يخلو هذا الوجه من الاكدار طيلة العمر ! .. ولن يعود داني الى تحطيم نوافذ الناس ، بعد ان صارت له نوافذ يمتلكها ! .. لقد صدق بيلون في حدسه ، فقد ارتفع داني فوق مستوى زملائه !



• وشد داني قامته ، وبسط كتفيه ، ليصمد لمتاعب الحياة . على انه افلت صرخة متوجعة قبل ان يهجر حياته السابقة البسيطة ، ويتجرد منها ما بقى له من عمر .. وقال في اكتئاب : « بيلون .. ليتك كنت انت صاحب الدار ، وكنت انا الصديق الذي قدم ليعيش معك ! »
وبينما ذهب داني الى (مونتيرى) ليخطر شركة المياه كي تعود الى امداد البيت بالماء ، اخذ بيلون يجوس خلال الساحة الخلفية التي انبتت فيها الاعشاب الفطرية . وكانت ثمة اشجار فاكهة معروفة ، هزيلة سوداء ، لفرط قدمها ، وقد ذوت اوراقها وتكسرت افنانها لطول ما أهملت ! .. كذلك كانت ثمة عشش للدجاج - على شكل خيام - بين الاعشاب ، وكومة من اطواق البراميل التي تكاثف عليها الصدا ، وكومة اخرى من الرماد وبقايا النار ، وحشية مهلهلة !

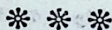
والقى بيلون نظرة عبر السياج الى الساحة التي كانت مسز مورالس تربي فيها دجاجها - في البيت المجاور - وبعد ان فكر لحظة ، فتح بضع ثغرات في السياج ، ليستدرج خلالها الدجاج ، وهو يقول : « ان الدجاجات تحب ان تقيم اعشاشها بين الاعشاب العالية » .. وخقق قلبه عطفًا عليها ، ثم تحول يفكر في صنع فخ على شكل رقم « ٤ » بالانجليزية ، ليضلل الديكة اذا ما جاءت وحاولت ازعاج الدجاجات وشغلها عن ان تظل راقدة على بيضها في الاعشاش .. وعاد يقول لنفسه : « لسوف نسمد بالاقامة هنا ! »

ورجع داني من (مونتيرو) مستاء ، فقال : « ان تلك الشركة تبغى ان
تودع لديها تأميننا »
- تأمين ؟ !

- أجل .. انهم يريدون ثلاثة دولارات قبل ان يسمحوا للمياه بأن تجرى
ثانية الى البيت !

فقال بيلون في تفكير جدى : « ثلاثة دولارات .. اى ثلاثة جالونات من
النيبيذ ! فخير لنا أن نشرب النيبيذ ، ثم نقترض ملء دلو من الماء من مسز
مورالس ، صاحبة البيت المجاور »

- ولكننا لا نملك الدولارات الثلاثة التى نشتري بها النيبيذ ؟ !
فقال بيلون : « اننى أعرف هذا ، ولكن بوسعنا ان نستعير قليلا من
النيبيذ من مسز مورالس ! »



• وانصرم الوقت - بعد الظهيرة - سريعا . وما لبث داني ان قال :
« (لسوف نستقر فى معيشتنا غدا) » .. ثم عاد يقول : «(غدا نقوم بتنظيف البيت
وازالة الاوساخ . وعليك انت يا بيلون ان تجتث الاعشاب ، وان تلقى
القاذورات فى مقلب الفضلات ! »

فصاح بيلون فى جزع : « (الاعشاب ؟ .. ما أظنك تقصد تلك الاعشاب ؟!) »
.. ثم طفق يشرح لصديقه نظريته فى استدراج دجاجات مسز مورالس ، فوافق
داني فى الحال ، وقال : « (لشد ما أنا مفتبط لانك قدمت للاقامة معى هنا
يا صديقى ! .. والآن ، عليك ان تدبر لنا ما نتعشى به ، بينما أجمع أنا بعض
الخشب لاشعل نارا ! »

وتذكر بيلون البراندى الذى قدمه لداني ، وقارن بينه وبين ما اتاحه
له داني من مشاطرته داره ، فخيّل اليه ان الصفقة غير عادلة ، وقال لنفسه
فى مرارة : « (اننى أوشك ان أغدو مدينا له ، ومن ثم فلن البت أن أفقد
حريتى .. وسرعان ما أصبح عبدا بسبب بيت اليهودى هذا !) » .. ومع ذلك
فقد خرج ليدبر أمر العشاء !

واجتاز صفيين من البنايات ، حتى اذا صار عند حافة غابة الصنوبر ،
صادف ديكا فى اواسط العمر ، من سلالة « (بلايموث روك) » ، ينبش أرض

الطريق .. وكان قد أشرف على سن المراهقة .. السن التى يخشوشن فيها صوته ، وتتعرق فيها ساقاه ورقبته وصدره من الريش .. ولعل العطف الذى سرى فى قلب بيلون نحو ذلك الديك ، كان راجعا الى انه فكر طويلا فى دجاجات مسز مورالس ، وفى الطريقة التى يقضى بها الديوك عنها ، اشفاقا عليها من ان تنصرف عن احتضان بيضها .. ومن ثم سار فى تؤدة نحو أشجار الصنوبر المعتمة ، والديك يجرى امامه !

وفكر بيلون فى نفسه : « يا للفرخ العارى المسكين ! .. ما أقسى البرد عليك فى الصباح الباكر ، عندما يتساقط الطل ، وتشتد برودة الهواء مع مقدم الفجر .. ان الاله الرحيم لا يستمر فى الاشفاق على الحيوان فى كل الاوقات ! » .. ورمى بيلون الديك ، وعاد يقول له فى خاطره : « هانتذا تلعب فى الطريق أيها الفرخ .. من يدري ؟ ربما دهمتك يوما سيارة فداستك وقتلتك .. بل ان القتل يكون خيرا لك ، ولكنها قد تكتفى بان تكسر لك ساقا ، أو تقصف لك جناحا ، فتعيش طيلة عمرك عاجزا تتخبط فى التعاسة .. ما اقسى الحياة عليك أيها الطائر الصغير ! »

وتحرك فى بطء وحذر . وكان الديك يحاول - بين آن وآخر - أن يرتد عائدا من حيث أتى ، ولكنه كان فى كل مرة يجد بيلون فى المكان الذى اختار أن ينفذ منه .. وما لبث فى النهاية أن غاص فى القابة ، فسار بيلون فى اثره وثيدا وكأنه يتسكع على غير هدى ! .. وقدر لهذا الديك الصغير ، الذى تنبا له بيلون بأنه قد يعيش فى ألم وعذاب ، أن يموت فى دعة وسلام .. أو فى هدوء ، على الاقل ! .. وليست هذه بالشهادة البسيطة لاساليب بيلون الفنية !

وما هى الا عشر دقائق ، حتى برز بيلون من القابة ، واتجه عائدا الى دار داني . وكان الديك الصغير قد جرد من ريشه ، ومن احشائه وأطرافه ، ووزع على جيوب بيلون ! .. ذلك لانه اذا كان ثمة مبدأ من مبادئ السلوك مقدما على سواه لدى بيلون ، فهذا المبدأ هو : اياك أن تحمل الى البيت - مهما تكن الظروف - ريشا ، أو رأسا ، أو أقداما ، اذ أن من المستحيل التعرف على أى ديك اذا جرد من هذه المعالم ! !



• وفي المساء ، أشعل الصديقان النار في أقماع الصنوبر التي كدسها في الموقد ، فاخذت السنة اللهب تزمجر في المدخنة . وكان داني وبيلون قد أكلا حتى شبعوا ، وسرى اليهما الدفء ، فشعرا بالسعادة ، وجاسا في المقعدين الهزازين يتأرجحان في رفق الى الامام والى الخلف ! .. وكانا قد استخدما - خلال العشاء - قطعة من الشمع أمدتهما بشيء من الضوء ، ولكن ظلام الغرفة لم يتبدد الا عندما انبعث وهج النار خلال شقوق الموقد .. ولمسكى يكمل هناؤهما ، أخذ المطر يتساقط فيطرق السقف بقطراته .. ولم يتسرب خلال شقوق السقف سوى قدر ضئيل من الماء .. وحتى هذا القدر - على ضآلته - لم يهبط الا على أماكن لم تكن بالصديقين حاجة الى الجلوس فيها ، ومن ثم ظلا بمأمن من البلل !

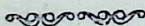
وقال بيلون : « نعم الحال هذه ! .. تصور الليالي التي كنا نضطر فيها الى النوم في البرد ! .. هذه هي الحياة حقا ! »

فقال داني : « حقا ! .. وما أغرب الظروف ! .. لقد ظلمت أعواما بلا مأوى ، فاذا بى أحظى فجأة بدارين .. وليس بوسعى أن أنام في بيتين في آن واحد ! » .. وكان بيلون يكره الاسراف ، وقد رأى في عدم استقلال البيت الثاني تبديدا واسرافا ، فقال : « لقد ظل هذا الموضوع بالذات يشغل بالى .. لماذا لا تؤجر البيت الآخر ؟ »

وانزلقت قدما داني عن قاعدة المقعد ، فاصطكتا بالارض .. وصاح : « عجبا يابيلون ! .. كيف لم تخطر لى هذه الفكرة من قبل ! » .. واذا ازداد اقتناعا بالفكرة ، تساءل : « ولكن ، منذ الذى يستأجر البيت ؟ » .. فقال بيلون : « أنا أستأجره .. سادفع عشرة دولارات في الشهر ! » .. ولكن داني قال في اصرار : « بل خمسة عشر ! .. انه بيت جيد ، يستحق خمسة عشر دولارا »

ووافق بيلون على مضض ، بل انه كان مستعدا لان يوافق على مايزيد على هذه الاجرة ، اذ بدا يشعر بما يصيب الانسان من سمو اذا ما عاش في بيت خاص به .. وكان جد تواق الى هذا السمو ! .. وما لبث داني أن قال : « اذن فقد اتفقنا .. لسوف تستأجر دارى .. آوه ، لسوف تجدنى مالكا

طيبا يابيلون ، فلن اصايك قط ! »
ولم يكن بيلون قد أمثلك في حياته كلها - فيما عدا العام الذي قضاه في
الجيش - خمسة عشر دولارا ، ولكن فكره أوحى اليه بأن الاجرة لن تغدو
مستحقة لدانى قبل انقضاء شهر .. فمن يدري ما قد يجرى خلال الشهر ؟
وهكذا أخذ الاثنان يسمران في هناء الى جوار النار . وما لبث داني أن
غادر الفرفة بعد برهة ، فغاب بضغ لحظات ، ثم عاد يحمل عددا من ثمار
التفاح ، وقال يبرر عمله : « كان المطر خليقا بأن يفسدها .. على أية حال ! »
ولم يشأ بيلون أن يكون أقل منه حيلة ، فما لبث أن نهض وأشعل الشمعة ،
ثم سار الى غرفة النوم ، فغاب برهة ، وعاد يحمل وعاء للاغتسال (طستا) ،
وآنيتين للزهور من الزجاج الاحمر ، ومروحة من ريش النعام .. وقال :
« ليس من الخير أن نحفظ بكثير من الاشياء القابلة للكسر أو التلف .. فانها
اذا كسرت أو تلفت ، أورتت المرء حزنا . بل أن الخير كل الخير في أن لا نبقىها
على الاطلاق ! » .. ثم انتزع باقة الورد الورقى الاحمر عن الجدار ، وقال
مبررا عمله : « سأقدمها تحية للسنيورا توريللى » .. وانفلت مفادرا الدار
وما لبث أن عاد بعد قليل ، وقد ابتل بالمطر ، ولكنه كان بادی النصر ،
اذ كان يحمل في يده ابريقا به جالون من النبيذ الاحمر . واندمجا - فيما
بعد - في جدال حامى الوطيس ، ولكنهما لم يحفلا بتعرف من الذى انتصر منهما
على صاحبه ، اذ كانا مكدودين ، بعد أن أرهقهما ما صادفهما أثناء النهار من
انفعالات . كما أن النبيذ أثقل راسيهما وأجفانهما ، فلم يلبثا أن انطرحا على
الارض ، واستغرقا في النوم !
وخبت النار ، فاخذت جوانب الموقد تططق وهى تزدد برودة ..
وتضاءلت الشمعة ، ثم غاص القليل في الشمع المذاب فانطقا نوره ، وأرسل
بضعة خيوط من دخان أزرق ..
وسيطر على البيت الظلام ، والهدوء والسكينة !



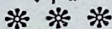
حديقة (أوسرج الحصان)



THE HARNESS

كان (بيتر راندال) من اكثر مزارعى مقاطعة (مونتيرى) حظوة باحترام القوم . وقد حدث عندما دعى يوما الى القاء خطبة قصيرة في مجمع ماسوتى ، ان وصفه (الاخ) الذى قدمه بانه مثال يجب ان يقتدى به شباب الماسونيين في كاليفورنيا . وكان يقترب من الخمسين من عمره ، ذا طبع مهيب متزن ، كما كان ذا لحية انيقة ، ومن ثم كان يحظى من كل مجتمع بما لذوى اللجى من سلطان ! وكانت عيناه وقورتى النظرات كذلك . . كانتا زرقاوين ، وقورتين الى الحد الذى يكاد الوقار ينقلب عنده الى حزن ! . . وكان الناس يدركون ان فى شخصيته قوة ، ولكنها قوة حبيسة ! . . وفى بعض الاحيان ، كانت عيناه تتخذان مظهرا غريبا ومهينا ، كعينى الكلب الشرير . . ولكن هذه النظرة كانت سرعان ماتزول ، ليسترد وجهه رزائنه واستقامته . وكان طويلا ، عريض الصدر ، مستقيم المنكبين ، ضامر البطن ، كانه جندى ! . . ولما كان المزارعون عادة متروكين ، مكرشين ، فان بيتر اكتسب مزيدا من الاحترام بسبب قامته ! اما (ايما) ، زوجة بيتر ، فقد اجمع الناس على انه كان من العسير ان يعرف المرء كيف تظل امرأة كهذه - جلدا على عظام ! - على قيد الحياة ، لا سيما وانها كانت سقيمة معظم الوقت ، فقد كانت تزن سبعة وثمانين رطلا ، وكانت - وهى فى الخامسة والاربعين - ذات وجه مفضن ، أسمر ، كما لو كانت امرأة عجوزا . . بيد ان عينيها السوداوين كانتا تتقدان بالرغبة فى الحياة . . وكانت امرأة عزيزة النفس ، قل ان تشكو !

وكان بيتر يرحل مرة فى العام ، فيقرب اسبوعا ، تاركا زوجته وحيدة فى المزرعة . وكانت تقول للجارات اللاتي يزرنها ليؤنسها : (لقد رحل ليعض الاعمال !) . . وكانت ايما ، كلما عاد بيتر من رحلة الاعمال هذه ، تستسلم للمرض شهرا او اثنين . وكان هذا المرض يشق على بيتر ، لان ايما كانت تؤدى اعمال البيت بنفسها وتكره ان تستأجر فتاة لتؤديها عنها ، فاذا ما مرضت ، كان بيتر يضطر الى القيام باعمال البيت . .



وكانت مزرعة (راندال) تمتد على ضفة نهر (ساليانس) ، ملاصقة

للتلال ، فكانت المزرعة خليطا مثاليا ، متوازنا ، من أراض منخفضة وأخرى عالية . . كانت تتألف من خمسة وأربعين فدانا من أرض مستوية على هضبة خصبة حمل إليها النهر الطمي من أخصب بقاع المقاطعة - في العصور القابرة . . . وثمانين فدانا من أرض بسيطة الارتفاع لزراعة البساتين : أما الدار ، فكانت بيضاء ، في نظافة صاحبها ووقارهما . . وكانت الساحة الملاصقة للبيت مباشرة ، محوطة بسيياج . وقد زرع بيتر في الحديقة بعض الزهور الجميلة بارشاد ايماء . . ومن الشرفة الامامية للدار ، كان المرء يرى الهضبة ، والنهر من ورائها ، بما يحف به من مروج وأشجار القطن الكثيفة . . وعلى الضفة الأخرى للنهر كانت حقول البنجر تبدو من ورائها قبة محكمة (ساليانس) . وكثيرا ما كانت ايماء تجلس في مقعد هزاز في الشرفة الامامية ، حتى يضطرها النسيم الى دخول الدار . وكانت دائما تنهمك في أشغال الأبرة ، وهي ترفع بصرها بين آن وآخر ، لترقب بيتر وهو يعمل على الهضبة ، أو في البستان ، أو على السفح !

ولم تكن مزرعة « راندال » مثقلة بالديون أكثر من سواها من مزارع الوادى . وكانت المحصولات تنتقى بحكمة ، وتتلقى عناية طيبة ، فتكفى لسداد فوائد القروض ، وتكفل مستوى معقولا للمعيشة ، ثم يتبقى منها بضع مئات من الدولارات في كل عام تدفع للوفاء بجزء من الدين الرئيسى . لذلك لم يكن من العجيب أن يحظى بيتر راندال باحترام جيرانه ، وأن تلقى الكلمات القلائل التى يقولها اهتماما منهم ، ولو كانت عن الجوى أو عن غيره من الأمور الجارية . فلو قال بيتر : « سأذبح خنزيرا في يوم السبت » ، لذبح سامعوه جميعا - تقريبا - خنازير يوم السبت ! . . وما كانوا يعلمون السبب ، بل كان يكفيهم أن يعرفوا أن بيتر راندال يعترم ذبح خنزير . . فقد كان هذا يبدو لهم شيئا طيبا ، محمودا ، يتفق والاصول !

وكان بيتر وايماء قد تزوجا منذ واحد وعشرين عاما، جمعا خلالها ملء بيتهما من الاثاث الجيد ، وعددا من الصور ذات الاطارات ، وأوانى للزهور من كافة الاشكال ، والكتب الوقورة . ولما لم تكن ايماء قد أنجبت أطفالا ، فإن البيت لم يصب باى خدوش أو شقوق أو تشوهات . وكانت الحوائث المصنوعة من لحاء الكاواو السميك مفروشة امام البابين الامامى والخلفى ، لتمنع ما قد يكون

عالقا بالأقدام عن التسرب الى داخل البيت !.. وكانت ايما في الفترات التي تتخلل مرات سقامها، تعنى بالبيت ، فكانت تحرص على تزييت مفصلات الابواب والصواوين ، وتتفادى ان يفقد أى مقبض أحد مساميره . أما الاثاث والاشياء الخشبية فكانت تظلى وتصفل مرة في كل عام . وكانت الاصلاحات تجرى عادة بعد عودة بيتر من رحلات أعماله السنوية .

وكان الجيران يعترضون طريق الطبيب وهو منطلق في الطريق المحاذي للنهر ، كلما ذاع في المزارع أن ايما مريضة ، فيسألونه عنها .. وكان يجيب : « اظن أنها بخير ، وان كان عليها أن تلزم الفراش أسبوعين ! » .. فكانت الجارات يحملن الفطائر الى مزرعة راندال ، ويتسللن على اطراف أقدامهن الى غرفة المريضة ، حيث كانت ترقد المرأة الشبيهة بالصفور الهزيل ، في سرير كبير من خشب الجوز . وكانت ترمقهن بعينيها السوداوين البراقتين ، فيسألنها : « ألا تحبين أن نزيح الستائر عن النوافذ ؟ »

— لا ، شكرا .. ان الضوء يزعج عيني !

— أما من شيء نستطيع أن نوّديه لك ؟

— لا ، شكرا .. ان بيتر يؤدي كل شيء على مايرام !

وكانت ايما تصر على رفض كل خدمة ، فلم يكن أمامهن ما يفعلنه من أجلها

— وهى مريضة — سوى أن يحملن الفطائر والكحك الى بيتر ، الذى من يجدنه في المطبخ ، وقد ارتدى مرولة انيقة نظيفة !



• وفي خريف أحد الاعوام ، سرى نبا بأن ايما كانت مريضة ، فاعدت زوجات المزارعين الفطائر لبيتر ، وياهن للقيام بزياراتهن المألوفة . ووقفت مسز شابيل — ربة المزرعة المجاورة — في طريق الدكتور وسانته : « كيف حال ايما راندال يادكتور ؟ »

— ما اظنها في حال طيبة يامسز شابيل .. ارى أنها مريضة جدا !

وانتشر في المزارع المجاورة أن ايما راندال توشك أن تموت ، فان الدكتور « مارن » كان يرى أن المريض « في حال طيبة » طالما أنه لم يكن جثة هامدة !.. ولكن ايما راندال ظلت تغالب المرض زمنا طويلا . وكان بيتر يعنى بخدمتها بنفسه ، فلما اقترح الطبيب استخدام ممرضة ، قوبل اقتراحه بنظرات

غنيمة ، مصرة على الرقص ، انبعثت من عيني المريضة . ومع ما كانت عليه من مرض ، فان مطالبتها كانت تقابل باحترام .. ومن ثم ظل بيتر يقيدها ، وينظفها ، ويسوى فراشها بنفسه !.. وظلت الستائر مسدلة على نوافذ غرفة النوم . وانقضى شهران قبل ان ترين على العينين السوداوين الحادثين غشاوة ، ويستسلم العقل الحاد للفيسوبة . واذا ذلك فقط ، وفدت على الدار ممرضة .. وكان بيتر قد أصبح هو الآخر نحيلًا ، سقيمًا ، توشك قواه ان تتداعى !.. وكانت الجارات يحملن اليه الفطائر والكعك ، فيجدن ما أحضرنه من قبل لا يزال في المطبخ لم يمس !

وكانت مسز شابيل في البيت مع بيتر ، في ذلك الاصيل الذي ماتت فيه ايما ، وجرفت بيتر نوبة هيسترية في الحال ، فاسرعت مسز شابيل الى الاتصال تليفونيا بالطبيب ، ثم بزوجها الذي سألته ان يخف لمعوتها ، اذ راح بيتر يعول كرجل مخبول ، ويضرب خديه الملتحين بقيضتيه .. وأحس « ايد شابيل » باستنكار عندما رآه ، اذ كانت لحية بيتر مخضلة بالدموع ، وشهقاته العالية تسمع في البيت كله . وحين وضع « ايد شابيل » يده على كتف بيتر وقال له : « كفى يا بيتر ، كفى ! » ، أزاح بيتر يد « شابيل »

ووقع الطبيب شهادة الوفاة .. وعندما أقبل اللحد ، لقي الجميع عناء في السيطرة على بيتر ، اذ غدا كالمجنون . وأخذ يصارعهم عندما هموا بحمل الجثة الى الخارج ، فلم يستطيعوا نقل جثة ايما الا بعد ان أمسك « ايد شابيل » واللحد ببيتر ، بينما حققه الطبيب بمادة مخدرة .. ولكن المخدر لم يسلم بيتر الى النوم ، بل جلس منطويا على نفسه في أحد الاركان ، وأخذ يحملك في الأرض ، وأنفاسه تتتابع متهدجة . وسال الطبيب الممرضة : « من الذي سيمكث معه ؟ » ، فاجابت : « اننى لا أقوى على السيطرة عليه وحدى » .. فدعا الطبيب شابيل الى البقاء معه ، وقال له : « هالك بعض اقراص البرومايد ، فاذا عاد الى هياجه ، اعطه قرصا منها .. واذا لم تفلح الاقراص ، فاعطه بعض « اميتال الصوديوم » .. ان قرصا من هذه كفيلا بتهديته ! »

وقبل ان ينصرف القوم ، تعاونوا على نقل بيتر الى غرفة الجلوس ، فارقدهوه في رفق على أريكة ، بينما جلس « ايد شابيل » في مقعد مربع ،

وأخذ يراقبه ، وقد وضع أقراص « البرومايد » وكوب ماء على منصدة بجواره .. وكانت الغرفة الصغيرة نظيفة .. فقد عنى بيتر في صباح ذلك اليوم بالذات بمسح أرضها بورق مبتل . واوقد « ايد » نارا في المدفأة ، وغذاها بكتلتين من الخشب .. وما لبث الليل أن هبط ، وهطل مطر خفيف كان يطرق النوافذ كلما دفعته الريح . وسوى « ايد » فتيل المصباح ، ثم خفف الضوء .. وظل فترة طويلة يرقب بيتر وهو مخدر على الأريكة ، ثم مالبت النعاس أن غزا جفني « ايد »



وكانت الساعة قد قاربت العاشرة مساء ، عندما استيقظ « ايد » ، فحملق في الأريكة ، وإذا ببيتر جالس يتأمله .. وامتدت يد « ايد » الى أقراص البرومايد ، ولكن بيتر هز رأسه قائلا : « لا داعي لاي شيء ، اذ اعتقد أن الطبيب قد خدرني بمخدر قوى .. على أننى أشعر بارتياح ، وإن كنت لازال تحت تأثير المخدر قليلا ! »

— لو أنك أخذت واحدا من هذه الاقراص لنعمت بالنوم !
— ولكننى لا أريد أن أنام .. لسوف أغسل وجهى فانتعش !
وان هى الا لحظة ، حتى عاد الى غرفة الجلوس ، وهو لا يزال يجفف وجهه بمنشفة .. وكانت على شفتيه ابتسامة غريبة ، توحى بتعب لم يشهد « ايد » مثله من قبل .. ابتسامة غامضة ، تثير العجب ! وقال بيتر :
« اعتقد أن أعصابى أفلتت منى عندما ماتت ايمما »

— آه .. أجل .. الى حتما !

— لقد لاح لى كأنما انقطع شيء فى جوفى .. شيء كان يشد أطراف كيانى .. فكاننى تفككت ! .. على أننى الآن بخير !

وحملق « ايد » فى الأرض ، فرأى عنكبوتا صغيرا ، أسمر ، يزحف ، واذا ذاك مد قدمه وسحقه . وسأله بيتر فجأة : « هل تؤمن بأن ثمة حياة بعد الموت ؟ » .. فتردد « ايد شابيل » حائرا ، اذ أنه لم يكن يحب الحديث عن مثل هذه الامور ، لان الحديث عنها يقحمها على ذهنه ، فيظل يفكر فيها ! . وما لبث أن قال : « اذا شئت رأيى ، فانا أعتقد بوجود حياة بعد الموت »

— هل تؤمن بأن أى امرئ يرحل عن الدنيا يستطيع أن يظل عليها

فيشهد ما نفعل ؟ !

- لست أدري ، فانا لم أتصدق الى هذا الحد .. لست أدري !
فاستنورد بيتر وكأنه يكلم نفسه : « حتى اذا كانت تراني ، واذا انا لم
أفعل ما كانت تحب ، فخليق بها أن تشعر بارتياح ، لانني لم أقدم على هذا
الذي لا تحبه الا بعد أن غابت عن هنا .. وخليق بها أن تسر لانها جعلت مني
رجلا صالحا ! .. انني اذ أغدو غير صالح في غيابها ، فسيقوم هذا دليلا على
انها هي التي كانت تصلحني .. أليس كذلك ؟ .. انني كنت رجلا صالحا !
الا ترى ذلك يا ايد ؟ »

- ماذا تعني بقولك « كنت » ؟

- أجل ، لقد كنت صالحا ، فيما عدا اسبوع واحد في السنة ، ولست
أدري ما سوف أفعله الآن ..

واشتدت امارات الحق على وجهه ، وقال : « لست أدري سوى شيء
واحد ! » .. ونهض فخلع سترته وقمصه ، فبدا فوق ثيابه الداخلية حزام
من القماش يشد كنفه الى الوراء - كسرج الجواد - ففكه وألقاه بعيدا ، ثم
خلع « بنطلونه » فكشف عن حزام عريض من المطاط حول بطنه . وخلع بيتر
هذا الحزام أيضا ، وراح يحك بطنه في استمتاع ، ثم ارتدى ثيابه من جديد ،
وابتسم عين الابتسامة القريبة ، الفامضة ، وقال : « لست أدري كيف كانت
تعملني على تنفيذ رغباتها ؟ .. لم يكن يبدو انها تفرض سلطانها على ، ومع
ذلك كانت تحملني دائما على أن أفعل ما تبغي . أتصدق ؟ .. انني لا أكاد
أؤمن بوجود حياة أخرى ! .. لقد كنت مضطرا - عندما كانت على قيد
الحياة ، بل وحتى في اوقات مرضها ! - الى عمل ما كانت تبغي من أمور ،
ولكن .. في نفس الدقيقة التي ماتت فيها .. شعرت .. كان سرجا قد
انزاح عني ، وكان العنان اطلق لي ! .. ولم أستطع أن أصدق أن كل شيء
قد انتهى ، وانني مسوق الى أن اعتاد المضي بغير عنان ! .. لسوف يبرز
بطني ويتكرش ، وسادعه يبرز .. انني الآن في الخمسين من عمري ! »

ولم يرتج « ايد » الى هذا الحديث .. فقد بدا له غير لائق في تلك
الظروف ، ومن ثم قال في استخزاء : « لو انك تناولت واحدا من هذه الاقراص ،
لنعمت بقسط من النوم ! » .. ولم يكن بيتر قد ارتدى سترته ، بل جلس

على الارىكة وصدر قميصه مفتوح .. فقال : « لست أريد أن أنام ، وإنما أنا أهفو الى الكلام .. أحسبني سأضع ذلك الحزام والعنان (اللجام) ليشدا كتفى وبطنى أثناء الجنازة ، ولكننى سأحرقهما بعد ذلك ! .. اسمع .. ان لدى زجاجة مليئة بالويسكى فى مخزن الخلال ، وسأذهب لأحضارها » .. فبادر « ايد » الى الاعتذار قائلاً : « آه ، لا .. لست مستطيعاً أن أشرب الآن .. فى وقت كهذا ! » .. ولكن بيتر انتصب واقفا وقال : « لا بأس .. اننى أستطيع الشرب ، وفى وسعك أن تجلس وتشاهدنى ان شئت .. لقد انتهى كل شيء كما أكدت لك ! »

* * *

• وغادر بيتر الثرفة ، تاركا « ايد شابيل » فريسة للشقاء والشعور بالاستنكار . ولم تنقض لحظة حتى عاد ، وشرع يتكلم وهو ينفذ خلال الباب حاملا الويسكى : « لم يكن لى من فرص فى حياتى سوى تلك الرحلات .. لقد كانت ايماء امراة لامعة الذكاء ، وقد أدركت اننى مسوق الى الجنون اذا لم ابتعد عنها مرة فى العام .. يا الهى ! لشد ما كانت تثير ضميرى اذا ما عدت ! » .. وخفض من صوته كمن يوشك أن يدلى بسر ما ، ثم قال : « أو تدرى ماذا كنت أفعل فى تلك الرحلات ؟ » .. واتسعت عينا « ايد » ذهولا ، اذ تبين أن الذى أمامه لم يكن بيتر المصهور ، وإنما كان شخصا جديدا ! .. وتناول قدح الويسكى من بيتر وهو يجيب عن سؤاله : « لا .. ماذا كنت تفعل ؟ » .. فعب بيتر من الشراب ، وسعل ، ثم مسح فمه بيده وقال : « كنت أسكر ، وأذهب الى بيوت الهوى فى سان فرانسيسكو ! .. كنت أنمل طيلة أسبوع فى العام ، وأذهب الى بيوت الهوى كل ليلة ! » .. وأترع قدحه بالشراب وهو يمضى قائلاً : « وأحسب أن ايماء كانت تعرف ، ولكنها لم تقل شيئا على الإطلاق .. كنت خليقا بأن انفجر اذا لم تتح لى الفرصة للرحيل ! » وقال « ايد شابيل » وهو يرشف شرابه فى تردد : « لقد كانت تقول دائما انك تسافر لبعض الاعمال » .. فنظر بيتر الى قدحه ، ثم أفرغه فى جوفه ، وملاه من جديد .. وبدأت عيناه تلمعان ، ثم قال : « أشرب قدحك يا ايد .. اننى أعرف انك لاترى فى تعاطى الشراب فى مثل هذه الظروف عملا لائقا .. ولكن احدا سوانا لن يعرف بما يجرى الآن بيننا . حرك النار فى

المدفأة ، فليست حزينا ! » .. ونهض شايبيل فحرك النار ، حتى تطاير الشر في المدخنة كطيور لامعة براقعة ، بينما ملا بيتر القدحين ، واضطجع في الأريكة . وعندما عاد « ايد » الى مقعده ، رشف من قدحه وهو يتظاهر بأنه لم يفتن الى انه ملئ من جديد ! .. وبدأ خداه يتوردان ، وخيل اليه ان تصاطى الشراب في مثل تلك الظروف ليس بالأمر المنكر .. بل ان فترة الاصيل ، وحادث الوفاة ، غابا عن ذهنه في جوف الماضي !

وقال بيتر : « تصور .. أعتقد اننى لن أقرب الفطير والكعك مرة أخرى .. لقد ظل الناس عشر سنوات يواتونى بالكعك كلما مرضت ايما .. ولقد كان هذا كرما منهم ، ولكن الكعك أصبح يقترون في نظرى بالمرض .. اشرب ! » .. وطراً اذ ذلك تغير على الفرفة ، فتطلع كل من الرجلين الى الآخر محاولا أن يعرف ماجرى .. كان ثمة تغير جعل الفرفة تختلف عما كانت عليه قبل لحظة .. وما لبث بيتر ان ابتسم في استخفاء وقال : « لقد وقفت الساعة التى على رف المدفأة . ما أظننى ساملاها من جديد .. ساحضر ساعمة صغيرة ذات جرس ، وذات بندول سريع ، فان حركة بندول الساعة الكبيرة بطيئة ، توحى بالحزن ! » .. وتجرجع الويسكى الذى كان في القدرح ، ثم قال : « أحسبك ستقول للملا اننى مجنون ! » .. فرفع « ايد » رأسه عن قدحه ، واوماً مبتسماً ، ثم قال : « لا .. اننى أقدر مدى شعورك ازاء الأمور .. ما كنت أعلم انك ترتدى عنانا وحزما ! »

فقال بيتر : « لقد كانت ترى ان الرجل يجب أن يكون مستوى القامة . ولكننى أميل الى الاحدوداب بطيئتي ! » .. ثم انفجر في حقن : « بل اننى أحقق بالسليقة ! لقد ظللت عشرين عاما أظهار باننى حكيم ، طيب .. اللهم الا أسبوعا من كل عام ! .. كان كل شيء يملئ على املاء ، بل كانت حياتى ترسم لى .. الا دعنى أملا قدحك ! .. ان لدى زجاجة أخرى في مخزن الفلال ، مخبأة تحت الكياس ! » .. فقدم « ايد » قدحه ليملا ، بينما استطرد بيتر قائلاً : « لقد خطر لى ان من البديع أن أزرع كل ارضى المستوية الممتدة على ضفة النهر ، بالبازلاء .. تصور منظرها اذا جلس المرء في الشرفة الامامية ، وشاهد كل هذه المساحة وقد اكتست بهزود زرقاء ووردية .. فاذا هبت عليها الريح ، فاج منها غير يسكره ! »

- كثيرون من الناس اغرتهم البازلاء فافلسوا ! .. صحيح انك تحصل على ثمن عال للمحصول ، ولكن هناك أخطارا كثيرة تهدد هذا المحصول !
 فصاح بيتر : « لست أحفل البتة .. اننى أتوق الى أشياء كثيرة .. الى أربعين فدانا من الالوان الجميلة والعبير الشذى ! .. والى امرأة سميئة ذات ندين كأنهما وسادتان .. اننى جائع ! .. أوكد لك اننى جائع الى كل شئ !! » .. وتجههم وجه « ايد » ازاء الصباح ، وقال : « لو انك أخذت واحدا من هذه الاقراص ، لنعمت بالنوم ! » .. وتبدى الخجل على بيتر ، وقال : « اننى بخير ، وما قصدت أن أصرخ هكذا .. اننى لا أفكر فى هذه الاشياء للمرة الاولى ، بل لقد ظللت افكر فيها عشرين عاما ، كما يفكر الاطفال فى المعطلة المدرسية ! .. لقد كنت دائما فى خوف من أن أكتهل ، أو أن أموت قبل زوجتى ، فتفوتنى كل المتع ! .. على اننى لم أتجاوز الخمسين ، ولا يزال لدى كثير من القوة .. لقد حدثت اياما عن زراعة البازلاء ، ولكنها لم تدعنى أحقق رغبتى .. لست أدري كيف كانت تحملنى على أن أرضخ لها ! .. لست أتذكر ، فقد كان لها أسلوب عجيب .. ولكنها رحلت ، وانى لاشعر بأن عهدى انقضى كما انقضى عهد ذلك العنان ! .. لسوف أترهل يا ايد ، حتى املا البيت بجسمى .. وسأحمل الاوساخ فى نعلى الى داخل البيت .. وسأتى بمديرة ضخمة سميئة للبيت .. ضخمة سميئة .. من سنان فرانسيسكو ! .. وسأحرص على أن تكون على الرف زجاجة براندى دائما !! » ونهض « ايد شابيل » فتمطى قائلا : « أرى أن أعود الى دارى الآن اذا كنت تشعر بأنك بخير ، وسأنام قليلا .. يحسن بك أن تملأ الساعة يا بيتر ، فليس من الخير للساعة ان تقف معطلة ! »

♦ وشرع بيتر يعمل فى مزرعته منذ اليوم التالى للجنازة ، فلمح آل شابيل - الذين يقيمون فى المزرعة المجاورة - نور المصباح فى مطبخه قبل طلوع النهار بوقت طويل ، ولحوا مصباح اليد (الفانوس) يتحرك فى ساعته الى مخزن الفلال قبل ان يفادروا مضاجعهم بأكثر من نصف ساعة ! .. وقضى بيتر ثلاثة أيام فى تشذيب أشجار بستانه وتقليمها ، فكان يعمل منذ انبثاق ضوء النهار ، حتى تدلهم الظلمة . ثم شرح يفلح الأرض الواسعة الممتدة

الى جوار النهر ، فحرت وعزق . وما لبث ان اقبل غريبان على المزرعة ، وهما في ملابس ركوب الخيل ، فتفقدا الارض ، وتحسسا التربة بين اصابعهما ، ودقا « خابورا » في جوفها ، حتى اذا رحلا ، حملا معهما اكياسا بها عينات من التربة

وكان من عادة المزارعين ان يكثرؤا من التزاور قبل موسم الزراعة ، فيجلسون القرفصاء ، ويفترون تراب الارض ، ويفركون القطع المتماسكة منه بين اصابعهم ، وهم يتحدثون عن الاسواق ، ويتذكرون السنوات التى ارتفعت فيها اسعار « الفاصوليا » ، والسنوات التى لم يكد محصول البازلاء يدر فيها ثمن التقاوى . وكان من المعتاد بعد مداولات عديدة من هذا النوع ، ان يزرع الفلاحون جميعا صنفا واحدا . . وكان لبعض الرجال آراء راجحة بينهم . . فلو ان « بيتر راندال » - او « كلارك دى ويت » - رأى ان يزرع « لوبياء » حمراء وشوفانا ، لانتقلت معظم الزراعات الى « لوبياء » وشوفان فى ذلك العام ، اذ كان من المسلم به انه ما دام مثل هذين الرجلين محترمين وموفقين ، فلا بد ان خططهما تبنى على شىء اكثر من مجرد المصادفة والحظ ! . . وكان مما يؤمن به القوم - وان لم يجهرؤا به - ان بيتر راندال وكلارك دى ويت قد اوتيا مقدرة عقلية اكثر مما اوتى غيرهما من الناس ، وموهبة خاصة تمكنهما من معرفة الغيب !

وعندما بدأ التزاور المهود فى ذلك العام ، لوحظ ان هناك تفيرا طرا على بيتر راندال . . اذ كان يعتلى محرائه ، ويتحدث فى مرح . ولقد قال انه لم يستقر بعد على ما يزرعه ، ولكنه قالها فى شىء من الارتباك ، اوحى بانه لم يكن راغبا فى ان يصرح بالمحصول الذى اختاره ! حتى اذا صد بعض المسائلين فى جفاء ، انقطعت الزيارات لزرعته ، واتجه المزارعون بجمعهم الى كلارك دى ويت ، وكان كلارك قد قرر ان يزرع أرضه شوفانا ، فاملى قراره الراى على أغلبية المزارعين فى المنطقة !

ولكن الاهتمام بما قرره بيتر لم يقف بتوقف الناس عن سؤاله . بل كان المارون بجوار أرضه يتأملون الحقل ، محاولين ان يتبينوا من طريقة حرثه نوع المحصول المقبل . وعندما شرع بيتر يسوق آلة البذر فى أرضه ، لم يعد احد ينفذ اليها ، اذ جهر بيتر بان نوع محصوله سر يجب ان يتكتمه !

.. ولم يفش « ايد شابيل » ما كان يعرفه .. فقد كان يشعر باستحياء كلما تذكر تلك الليلة .. كان يستنكر انهيار بيتر ، ثم تحرره ، كما كان يستنكر من نفسه ان استمتع له ! وكان يرقب بيتر خلسة ، ليرى ما اذا كان قد نفذ نواياه المردولة ، أو ان كل ما سمعه كان نتيجة اختبار وانهايار عصبى اصاباه عندما ماتت زوجته ! .. ولاحظ ان كتفى بيتر لم تصودوا مستقيمتين ، وان بطنه قد برز قليلا . وذهب الى داربيتر ، فارتاحت نفسه حين لم ير اثرا للاوساخ على الارض ، وحين سمع الساعة التى تقلو المدفأة تدق ! .. وكثيرا ما كانت مسز شابيل تتحدث عن ذلك الاصيل الذى ماتت فيه ايماء ، فتقول : « كنت خليقا بان ظننه قد فقد عقله .. اذ راح يعول .. ومكث « ايد » معه شطرا من الليل ، حتى سكنت نفسه . وقد اضطر « ايد » الى ان يسقيه بعض الويسكى ليحمله على النوم .. ولكن الصمل الدائب هو خير ما يقتل الحزن .. ان بيتر راندال يستيقظ فى الساعة الثالثة من كل صباح ، فانا المبح من مخدعى النور فى نافذة مطبخه ! »

واصبحت مياه نهر (ساليناس) قاتمة ، وظل الفيضان شهرا ، ثم هبط مستوى المياه ، فخلف بحيرات خضراء صغيرة . وكان بيتر قد احسن تخطيط أرضه وحرثها ، فلم تعد بها كتل من التراب المتماسك تزيد فى الحجم على البندقة .. وكانت - عندما تهبط الامطار - تبدو قرمزية غنية بالخصب . ثم نبتت السيقان الخضراء الواهنة ، فى صفوف عبر ارض الحقل السمراء . وتسلسل احد الجيران فى جنح الظلام ، ومد يده خلال السياج ، فقطع ساقا صغيرة ، ثم قال لاصدقائه : « أحسبها بازلاء .. وفيهم تكتمه امرها ؟ » .. وسرى النبا خلال المزارع : « انها بازلاء .. لقد زرع الافدنة الخمسة والاربعين كلها بازلاء ! » .. و سعى الرجال الى كلارك دى ويت يسالونه رايه ، فكان هذا الراى : « ان الناس يخالون ان بوسعهم ان يشروا من وراء زراعة البازلاء ، لانك تستطيع ان تباع الرطل بشئ يشراوح بين عشرين وستين سنتا . ولكنها اكثر المحصولات فى العالم تعرضا للاخطار .. ان البازلاء قد تكون مربحة اذا لم تصيبها الحشرات .. ولكن قد يشتد الحر يوما ، فيتلف المحصول كله ! .. او قد يهبط بعض المطر بعد الاوان ، فيفسد المحصول كله ! .. ان من الصواب ان تزرع بضعة افدنة ، ولو ان فى هذا مجازفة ،

ولكن من غير الحكمة ان تزرع ارضك كلها .. لقد أصيب بيتر بمس من الخبل منذ موت ايماء !

وانتشر هذا الرأى ، وأصبح كل رجل يفضى به وكأنه رأيه الخاص ! .. وكثيرا ما كان اى جارين يقولانه ، فيفضى كل منهما بنصفه ! .. وعندما رده الكثيرون لبيتر راندال ، استشاط غضبا فى احد الايام وصاح : « ألا نبئونى .. ارض من هذه ؟ .. اذا كنت أريد الافلاس فهذا من حقى .. اليس كذلك ؟ » .. وبذل قوله هذا من الشعور العام ! فلقد تذكر الناس ان بيتر كان دائما مزارعا موفقا ، فلعلمه أوتى دراية خاصة .. ولا بد ان الفريين اللذين زاراه قبيل الموسم كانا من الخبراء بالتربة ! .. وتمنى كثيرون من المزارعين لو أنهم زرعوا بضعة أفدنة بازلاء ! .. واشتد هذا الشعور لديهم عندما امتدت فروع البازلاء ، وتشابكت ، وغطت الارض السمراء .. وعندما بدأت البراعم تتكون وتوحى بأن المحصول وفير . ثم تفتحت الزهور ، فاذا الالوان تنتشر فى الأفدنة الخمسة والاربعين ، واذا الشذى يفوح من الأفدنة الخمسة والاربعين ، حتى لقد قيل انك كنت تستطيع ان تشم العبير فى (ساليانس) التى تبعد عن المزرعة بأربعة أميال !

واخذ بيتر راندال يجلس فى مقعد هزاز فى الشرفة الامامية لداره بعد ظهر كل يوم ، فيسرح البصر فى الاحواض الواسعة التى انتشر فيها اللوان الموردى والازرق ، وفى الارض كلها التى اختلط فيها اللوان .. وعندما كان نسيم الاصيل يهب ، كان بيتر يستنشقه فى نهم ، وقد فتح صدر قميصه ، وكأنه كان يتوق الى أن ينفذ الصبر خلال جلده !

و سعى الرجال الى كلارك دى ويت يسألونه رأيه ، فقال : « هناك عشرة افتراضات بشأن ماقد يحدث فيفسد المحصول . ولكن ، هنيئا له ببازلائه ! » .. وأدرك القوم من انفعال كلارك ان الحسد دب الى نفسه . وأصبحوا كلما تأملوا الحقول الملونة ، ومدوا ابصارهم الى بيتر وهو يجلس فى شرفة داره .. أصبحوا يشعرون باعجاب جديد ضاعف من احترامهم اياه ! .. وزاره « ايد شابيل » ذات اصيل ، وقال له : « لقد أوتيت محصولا طيبا ياسيد ! » . فاجابه بيتر : « الظاهر انه كذلك ! » .. ثم تشهد قائلا : « ولكن موسم الازهار أوشك على نهايته ، وكما اكره ان أشهد تساقط الزهور ! »

- بل يسرنى أن أراها تسقط ، فلسوف يعود عليك المحصول بهال وفيه ،
إذا لم يحدث ما ليس في الحساب
وأخرج بيتر منديلا كبيرا ، فمسح أنفه ، وحك جانبيه ، ثم قال :
« ساشمر بالأسف حين يغيب الشذى » .. وأشار « ايد » الى ليلة وفاة
ايما ، ثم غص احدى عينيه ، وتساءل هامسا : « هل عثرت على من تدبر لك
شئون دارك ؟ » . فأجاب بيتر : « لم أبحث .. لم أجد وقتا لذلك » ..
وكانت تحيط بعينيه تجهيزات تتم عن قلق ، فقال « ايد » لنفسه : من ذا
الذى لا يلقى ، إذا كانت أنفه سحابة ممطرة كفيلة بأن تفسد عليه محصول
عام بأسره ؟

ولكن ، لو أن الموسم والجو كانا قد أعدا خصيصا للبازلاء ، لما جاء المحصول
خيرا من ذلك الذى جناه بيتر ! .. كان الضباب يهبط قريبا من الارض في
الصباح الباكر أيام الحصاد .. وعندما استلقت الفروع المثقلة على « المشمع »
الذى نشر من أجلها على الارض ، أخذت الشمس تشرق حامية ، فتجفف
قرون البازلاء . وأخذ الجيران يرقبون الاكياس الطويلة وهى تمتلئ بالحبات
السوداء السمينة ، ثم يعودون الى دورهم ويحاولون أن يحسبوا مقدار
المال الذى سيجنيه بيتر من محصوله الهائل !

عندما يسافر أحد من أبناء وادى (ساليناس) الاعلى الى (سان
فرانسيסקو) لعمل أو لنزهة ، فانه ينزل في فندق « رامونا » ، لان بوسعه
دائما أن يجد في بهو الفندق فردا من موطنه ، فيجلس معه في مقاعد البهو
الوثيرة ، ويروح الاثنان يتكلمان عن وادى ساليناس .. ولقد قدر لايد شابيل
أن ينهب الى سان فرانسيסקو ليقابل ابن عم زوجته ، الذى كان مقبلا من
(أوهايو) في رحلة للنزهة . ولما لم يكن القطار مرتقبا قبل صباح اليوم
التالى ، فقد أخذ « ايد » يبحث في بهو فندق « رامونا » عن أحد من وادى
ساليناس ، ولكنه لم ير في المقاعد الوثيرة سوى أغراب ! .. ومن ثم ذهب
الى احدى دور السينما ، حتى اذا عاد ، أخذ يبحث من جديد عن شخص
من موطنه ، ولكنه لم ير في هذه المرة ايضا سوى أغراب ! .. وفكر في أن
يلقي نظرة على سجل نزلاء الفندق ، ولكن الوقت كان متاخرا ، فجلس في البهو

ريشما يفرغ من تدخين سيجارة قبل أن يأوى الى مخدعه !
 وفجأة ، سمع جلبة ، ثم رأى كاتب الفندق يشير بيده ، فيهرع أحد
 الخدم الى الخارج .. واستدار « ايد » فى مقعده ليرى ما هناك ، فاذا سائق
 احدى سيارات الاجرة يساعد رجلا على مفادرة السيارة . ثم تقدم خادم الفندق
 فاخذ الرجل من السائق ، وراح يقوده الى الباب .. وكان ذلك الرجل بيتر
 راندال ، وقد زاغت عيناه ، وفقر فاه ، وسال لعابه . ولم تكن تعلقو شمره
 المشوش قبعة ! .. وقفز « ايد » من مقعده ، وسار اليه ، وهتف : « بيتر ! »
 .. وكان بيتر يناضل الخادم فى ضعف ، وهو يقول : « دعنى .. اننى بخير
 .. دعنى وسأمنحك دولارين ! » .. وعاد « ايد » يهتف : « بيتر ! »
 وتحولت العينان الزائفتان الى « ايد » فى تؤدة ، ثم ألقى بيتر
 بنفسه بين ذراعيه وهو يصيح : « يا صديقى الحميم ! .. أيد شابيل ، يا صديقى
 الحميم الطيب ! .. ماذا تفعل هنا ؟ .. اصعد معى الى غرفتى ، وتناول
 كأسا ! » . وساعده ايد على أن يستوى على قدميه ، وهو يقول : « سأصعد
 بالتأكيد ، فانى أميل الى تناول كأس قبل النوم ! »

- كأس ! .. لسوف نخرج فنذهب الى احدى دور السينما ، أو الى
 شئ من هذا القبيل !

وأعانه ايد على الوصول الى المصعد ، وعلى بلوغ غرفته . وهناك ،
 ارتدى بيتر على السرير . ثم جاهد حتى استطاع أن يجلس ، وقال : « هناك زجاجة
 ويسكى فى الحمام ، فاحضر لى معك كأسا ! » .. وأحضر « ايد » الزجاجة
 وكأسين ، وهو يقول : « ما الذى تفعله يا بيتر .. أنتحتفل بمحصولك ؟ ..
 لابد انك كسبت مالا وفيرا » . فبسط بيتر راحته ، وأخذ يطررها بسبابة
 اليد الاخرى ، وقال : « بالتأكيد .. ولكن الامر لم يكن أكثر من مقامرة .
 أجل ، كان أشبه بمقامرة صريحة ! »

- ولكنك كسبت ثروة

فزمجر بيتر مفكرا ، وقال : « كان من المحتمل أن أخسر ثيابى نفسها
 .. لقد ظلمت فى قلق طيلة الوقت .. العام بأسره ! .. كانت مقامرة ! »

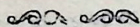
- ولكنك كسبت ثروة ، على أية حال !

وحول بيتر مجرى الحديث قائلا فى اعتذار : « لقد أصبت بقمي ودوار

.. لقد تقايات في « التاكسي » .. اننى عائد لتوى من بيت للهوى في طريق فان نيس ! لقد وصلت الليلة الى المدينة .. كنت اوشك ان انفجر لو اننى لم ات وانهم بشيء من التحول عن نظام حياتى ! «

وتطلع اليه ايد في عجب ، فاذا رأسه يتأرجح بين كتفيه ، واذا لحيته مشعثة ، مهوشة .. وشرع ايد يقول : « بيتز .. ليلة وفاة ايما .. لقد قلت ان ذاك انك تفتزم .. ان تغير مجرى حياتك ! «

فارتفع رأس بيتز المتأرجح في ببطء ، وتطلع الى ايد شابيل وجفناه يكادان ينطبقان على عينيه ، ثم قال في تشاقل : « ولكن ايما لم تمت .. انها تابى ان تدعنى اتصرف وفق هواى .. لقد أقضت راحتى طوال العام بشأن تلك البازلاء ! « .. وبدت الحيرة في عينيه وهو يمضى قائلاً : « لست ادرى كيف تتسلط على ! « .. ثم عبس ، وعاد يطرق احدى راحتيه بأصبع اليد الاخرى ، وهو يقول : « ولكن ، ثقي يا ايد شابيل اننى أبيت ان البس ذلك الصنان (اللجام) ثانية .. بل اننى لن ارتديه ماحييت .. فاذكر هذا المهد ! « وعاد رأسه يميل الى الامام ، ولكنه مالبث ان عاد يتطلع الى « ايد » بعد لحظة ، وقال : « لقد سكرت ، ولقد ارتدت بيوت الهوى » .. ثم مال على « ايد » وقال هامساً وكأنه يفضى اليه بسر : « ولكن ، لا بأس .. ساكفر عن ذلك ، عندما اعود الى المزرعة .. أفتردى ما الذى سأفعله ؟ .. سأدخل الضوء الكهربائى فى البيت .. لقد كانت ايما ترغب دائماً المصابيح الكهربائية ! « واستلقى على السرير ، فسوى ايد شابيل من اضطجاعه ، وخلع عنه ثيابه ، قبل ان يفادر الغرفة ، وهو يعجب في نفسه : لقد ماتت ايما ، ولكن الصنان ما زال يشد بيتز ويسيطر على حركاته !



محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٢٣	الشار للوطن
١٦٥	البائسان (تورتيللا فلات)
١٧٩	عبد زوجته

قصة المقاومة السلبية والإيجابية!

القصة التي بين يديك تطبيق صورة واقعية رائعة استوفاها المؤلف من
مقاومة شعب صغير معالم جيش الاحتلال الألماني، وهي صورة توضح دور كل
فرد من أفراد الشعب في مكافحة قوات الاحتلال: دور الفدائي القتال.. والأرامل
الحساء التي أعدم زوجها.. والصبي الذي تهبط عليه أصابع النيكولاة المتفجرة من السماء
.. والعامل الذي تفرض عليه المساهمة في الإنتاج لصالح العدو.. والطبيب الذي يستخدم
فنه في مقاومة المحتل.. ومحافظ المدينة الذي يتنازع الزعيم الوطني والطاعن وأمر لقناة
.. والمرأة الفولاذ التي بطرقها بابهها ضابط من الأعداء تحت هجم نظام لينين في
فراسها وصوت عينية إلى وطنه وأهلها!.. ويفضل تعاون هؤلاء

جميعاً تصبح إقامته جنود الاحتلال في البلد المحتل
صحيماً مقيماً، ومبارك لهم أمراً محمداً!

